

ادبائ العرب في اهلبيتنا

تأليف

محمد الطاهر

القاضي بالمحاكم الشرعية

(الطبعة الاولى)

(١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م)

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

مطبعة التبعاذه بجوار محافظة تبصر

أهداء الكتاب

أحب الى من عهد الشباب
وحل من الفضيلة في اللباب
كأن تميره ماء السحاب
ويرجو عنده حسن الثواب
إذا سميته خير الصحاب
سديد القول ذي الرأي الصواب
(لاجم عارف) اهدي كتابي
محمد نعمان الجارم

الى خدن الشباب ومن أراه
ومن لبس المحامد سابغات
ومن يولى الصديق الود صنفوا
لمن يخشى الأله ويتقيه
الى خير الصحاب ولست اغلو
الى الخلل الوفي الى (الوديني)
لمن ترهى بمدحته القوافي

A 2



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله تقدست ذاته وتعالى اسماؤه وصفاته والشكر له عز فضله وتوالت
آلاؤه استوجب سبحانه وتعالى الحمد الجزيل الجميل ذاته واستحق جل جلاله
عظيم الثناء لسنى صفاته وجب أن تذل الجباه لذاته لانه مصدر الموجودات
وحق أن تعنو الوجوه اليه وتخصه بالعبادة لانه فاطر الأرض والسموات لا
معبود بحق سواه قل لو كان فيهما آلهة الا الله ارسل رسوله محمداً بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله فبين مناهجه ووضع طرائقه ووضع له
الصوى (١) والأعلام حتى لا تمشى أمته من بعده في ظلام فعلية أفضل الصلاة
وازكى السلام وعلى آله واصحابه منار الاسلام (وبعد) فهذا كتاب اسهبت
فيه القول على أديان العرب قبل الاسلام وبينت فيه ما ابتدعوا من جهالة
وأوهام حتى تغير دين الهدى وطمس الطريق اليه وخفى الحق وعز الطالب
له ونشأ بعد المختلقين قبيل عاشوا في ظلمات بعضها فوق بعض فلم يدركوا نور
الهدى ولم يشوقهم مشوق اليه ثم طمست ظلمة الضلالة عقولهم فأعرضوا عن
الحق حتى مع وجود الدال عليه اللهم الا بعض أفراد لمحووا نور الاهتداء ولم
يقيد فكرهم تعليم الأمهات ولا تقليد الآباء فتركوا للفكر العنان حتى ظهر
لهم الحق بالدليل والبرهان وتجلت لهم الحقيقة تجلى الشمس في وسط النهار
فاختل صرح الكفر لديهم وانهار وهذا الكتاب هو جزء من أجزاء كتابي
(العرب في الجاهلية) يرشدك الى معتقدات العرب في الجاهلية وأوهامها التي
هدمها الاسلام والله اسأل أن يجعله مقبولاً لديه فان الامر كله منه واليه انه
اكرم مسئول ويبيده القبول

(١) الصّوة بالضم حجر يكون علامة في الطريق جمعة صوى

مقدمة

الانسان يمتاز عن سائر الحيوان بالنفس الناطقة وبقوة التفكير فيها تستدل بالأثر على وجود المؤثر ثم ينتهي بها البحث الى أن المؤثر في الأكو ان لا بد أن يكون واجب الوجود لذاته تلك فطرة في الانسان ولذلك ذهب الأمام الأَعْظَم أبو حنيفة النعمان ومن تابعه على ما هو الصحيح الموافق لظاهر الرواية الى أن التكليف منوط اما ببلوغ دعوة الرسل واما بمضى مدة يتمكن العاقل فيها أن يستدل بالمصنوعات على وجود صانعها وذلك لأن الدين من خواص النفس الناطقة كما تقدم — وذهب علماء الأخلاق الى أن الدين ليس من لوازم النفس الناطقة لأن بعض الأمم والقبائل لا تدين بدين

هذا والدين قديم وجد مع الانسان أما عند اهل الأديان السماوية فلأن آدم أبا البشر كان نبياً واما عند غيرهم فلأن الناس في أطوارهم الأولى كانوا يمتقدون باليوم الآخر وان للانسان نفساً خالدة فكانوا يدفنون مع الميت أمتعته ومقتنياته ليفتفع بها في العالم الآخر وهذا من المبادئ الدينية وجميع الأمم والقبائل الآن تعتقد بعالم الأرواح والمتوحشون منهم يسبون الموت والمرض للروح وهذه عندهم كالنفس الا أن الروح أقوى واكثر دخلا في أحوال الناس ومصالحهم فينسبون اليها الموت والمرض والمحن والخطوب لذلك ترى المتوحشين يحرصون على دفع غضب الأرواح الشريرة باسترضاء الأرواح الصالحة التي هي غالباً نفوس السلف الصالح من آباءهم وأجدادهم الذين لهم في القبيلة أثر محمود ومقام مشكور لانهم يرون أن نفوسهم أقوى وأقدر على جلب المصالح ودفع المضار فعظموهم لذلك بعد الموت ونصبوا لهم التماثيل ولجئوا اليها يستعينون بهم عند نزول الخطوب وهذا أصل عبادة الأجداد .

هذا وان الدين من غير نظر الى الوحي ابتداءً باعتقاد الانسان ان له موجداً

أوجده وغيره من الممكنات وان له نفساً أو روحاً خالدة تصير بعد الموت في عالم آخر ذلك مبدأ اعتقاده بالروح والروحانيات ثم توسع في عالم الروح فاعتقد أن لكل كائن من الكائنات روحاً تدبره حيواناً كان ذلك الكائن أو جماداً وهذه الروح تكون قوية اذا كان الكائن المتصلة به من عظيم المخلوقات وما زال يرتقى في الوهم حتى تخيل بعض الارواح آلهة فعبدها بعبادة المادة المتعلقة بها ومن ذلك عبادة الهنود لنهر الكنجج والمصريين القدماء لنهر النيل والمجوس للنار والصابئين للكواكب وعبادة أهل الهند وافريقية الغربية للأفاعى وما عبادة الشمس وغيرها مما عبد من دون الله الا من هذا القبيل والأديان تنقسم قسمين — أديان الهية وهي ما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسله الكرام . وأديان وصعية وهي ما ليس كذلك كدين المجوس عباد النار والبراهمة والبوذيين واشباههم — والأديان السماوية كثيرة وهي من حيث ذاتها قبل افسادها بالتحريف والتبديل تتضمن توحيد الله جل ثناؤه ووصفه باوصاف الكمال وتنزيهه عن مشابهة الحوادث وتحت على مكارم الأخلاق والاداب والفضائل وتنص على الأحكام التي تكفل نظام المجتمع وتناسب الزمان الذي أنزلت فيه والذي يليه الى أن تنسخ بشرع رسول آخر فيصبح الناسخ الذي جاء به الرسول المتأخر هو الحق الذي يجب اتباعه ويصبح ما تقدمه من الدين مسوخاً وذلك سر ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب حينما رأى بعضهم يقرأ ورقة من التوراة وقال لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعى وقوله تعالى ومن يدتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . والذي يوحى اليه من الله تعالى نبي أو رسول ويطلق النبي عرفاً على رجل سليم من منفر معصوم عن كل رذيلة اكمل معاصريه غير الرسل اصطفاه الله من بين عباده وأوحى اليه بشرع سواء أمره بتبليغه أم لا ولو أمر بتبليغه فرسول سواء كان له كتاب أم لا نسخ بعض شرع من قبله أو لم ينسخ ولا جزم في عدد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال أبو البقاء في الكلبيات « وأول رسول ارسله الله الى أهل الارض

نوح عليه السلام أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة انه قال ذكر لنا انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً . لكن الاكثرون على عد آدم من المرسلين

والاديان السماوية كثيرة ولم يبق منها الآن سوى اليهودية المبعوث بها سيدنا موسى الكليم عليه السلام ويعتنقها ثمانية ملايين ونصف من الانفس والنصرانية المبعوث بها سيدنا عيسى عليه السلام ويدين بها نحو اربعمائة وثلاثة وسبعين مليوناً من الأنفس والاسلام المبعوث به سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ويعتنقه نحو مائتي مليون من الانفس تقريباً

واكثر ديانات العالم اتباعاً الديانة البوذية وهي منسوبة الى بوذا رجل كان في سنة ستمائة واثنين وعشرين قبل المسيح قصد بها في الاصل اصلاح الديانة البراهمية (١) وتهذيب عالمها ولكن نشأت بين معتنقي الديانة البراهمية والبوذية منافسات ومناظرات انتهت اخيراً بفوز الديانة البوذية وانتشارها على الديانة البراهمية واكبر انتشارها في الصين واليابان وكوريا ومنشوريا وتبت ومنغوليا ويعتنقها نحو خمسمائة مليون من الأنفس

ولقد كانت العرب في جاهليتها تدين بأديان شتى كما ستراه مفصلاً في هذا الكتاب فمنهم عباد الاصنام والشمس والكواكب وغير ذلك ومنهم الموحدون الذين كانوا يستضيئون بهدى الانبياء الذين أرسلهم الله لهم أو لغيرهم من الأمم

ولقد بعث الله في العرب قديماً انبياء فبعث هوداً (٢) عليه السلام لعاد وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان والى حضرموت بين اليمن وعمان وبعث صالحاً عليه السلام لثمود وكانوا يسكنون بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام وبعث شعيباً لمدين وكانت منازلهم تجاور

(١) نسبة الى براهمة كبير آلهة الهند

(٢) علماء الانساب يسمون هودا عابراً أو عبيراً على وزن جعفر

ارض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز فكان من العرب من يدين بدين هؤلاء النبيين واكثر العرب كانوا على دين أبيهم ابراهيم عليه السلام وسبب كثرة الاديان عندهم مجاورتهم لكثير من الأمم المتدينة فتيسر لهم بالرحلة والتجارة معرفة اديان مجاورتهم وناهيك ببلاد الشام وهي الارض التي بورك فيها لكثرة من أرسل لها من النبيين فنقلوا تعاليم هذه الديانات الى بلادهم واعتنقها من اعتقدها منهم . وكان التوحيد دين اكثر العرب ثم غلبت الوثنية عليه حتى طمست معالمه وراجب عبادة الاوثان فارسل الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وما زال يغالب الكفر ويهزم جيشه ويفصل شعائر الدين ويدعو الخلق لعبادة الله وحده ويحض على مكارم الاخلاق ويبين الاحكام المتكفلة بسعادة الدنيا والآخرة حتى ردت جيوش النوحيد كتائب الكفر والزيغ مهزومة واصبحت أبطال الضلال والالحاد صرعى مكلومة ولم ينزل به الموت حتى اكمل الله للناس دينه وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الاسلام ديناً وختم به الانبياء والمرسلين فمن ادعى بعد محمد صلى الله عليه وسلم انه يوحى اليه من الله تعالى بشرع فهو ضال كافر

ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام

نسب القول في تاريخهما لان اكثر العرب تدين بدينهما فنقول . ولد ابراهيم عليه السلام بارض بابل بالعراق ونشأ بها في دولة حمورابي الدولة البابلية الأولى التي هي من سنة الفين واربعمائة وستين قبل الميلاد الى سنة الفين وواحد وثمانين قبل الميلاد وكانوا يعبدون الاصنام ولم يكن بينه وبين نوح نبي الاهد وصالح فدعا قومه لعبادة الله وحده فلم يؤمنوا فطفق يسفه أحلام قومه ويطعن على آلهتهم ثم انتهز فرصة خروجهم في يوم عيد لهم ولم يخرج وخالف الى اصنامهم فكسرها فلما رأوا منه ذلك أمر نمرود حاكمهم بأحراقه والتي في النار فجعلها الله برداً وسلاماً فلما نجاه الله أجمع امره والذين اتبعوه على فراق قومهم ومعهم لوط عليه السلام ابن أخيه فنزل

ابراهيم بالسبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم
وليلة ثم ولد لابراهيم من هاجر اسماعيل عليه السلام . وروى أبو هريرة خبر
وصول هاجر لابراهيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه
السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله
كبيرهم هذا وواحدة في شأن سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت
أحسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلمنى عليك فان
سألك فاخبريه انك أختى فانك أختى فى الاسلام فانى لا أعلم فى الأرض
مسما غيرى وغيرك (١) فاما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه
فقال لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغى لها ان تكون الا لك فارسل اليها
فأتى بها وقام ابراهيم الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يملك ان بسط يده اليها
فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله ان يطلق يدي ولا أضرك
ففعات فعاد فقبضت يده أشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد
فقبضت يده أشد من القبضتين الأولىين فقال ادعى الله أن يطلق يدي ولا
أضرك ففعلت فطاقت يده ودعا الذى جاء بها فقال له انك انما جئتني بشيطان
ولم تأتني بانسان فأخرجها من أرضى وأعطها هاجر قال فاقبلت تمشى فلما
رآها ابراهيم الصرف فقال مهيم (٢) فقالت خيراً كفى الله يد الفاجر
وأخدم خادماً قال أبو هريرة فتلك أمكم يا بى ماء السماء « (٣) وانما
كانت هاجر أم العرب لأن سارة ملكتها لابراهيم فولدت له اسماعيل أبا
العرب ولم يكن لسارة من ابراهيم ولد فأنها ولدت اسحاق بعد ولادة
اسماعيل فيما رووا بأربع عشرة سنة . قال ابن أبى زيد فى نوادره وهاجر أول
امرأة ثقبت أذناها وخفضت من النساء وأول من جرت ذيلها وذلك أن

(١) أى فى الارض التى يحكمها ذاك الجبار والا فقد آمن به ابن أخيه
لوط وآمن به جماعة من قومه (٢) كلمة استفهام بلفظة أهل اليمن أى
ما حالك وما شأنك أو ما وراءك (٣) يقال للعرب بنو ماء السماء لكثرة
ملازمتهم للفلوات التى بها مواقع المطر

سارة غضبت (١) خافت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها ابراهيم ان تبرقسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة في العرب وأوحى الله لابراهيم ان احمل اسماعيل وأمه الى مكة . وكان من أمرهم ما رواه البخارى في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق (٢) من قبل أم اسماعيل اتخذت منطلقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعة حتى وضعهما عند البيت عند دوحه (٣) فوق زمزم في أعلى المسجد (٤) وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء (٥) فيه ماء ثم قمى ابراهيم منطلقاً (٦) فتبعته أم اسماعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتركننا في هذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شىء فقالت له ذلك سراراً وجمال لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذاً لا اضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية (٧) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط (٨) فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى

(١) روى انها أخرجت هاجر غيرة منها لا غضبا (٢) المنطق بكسر فسكون ففتح ازار له حجرة (٣) الدوحة الشجرة الكبيرة (٤) أى مكان المسجد لانه لم يكن بنى (٥) السقاء (بكسر اوله) قرية صغيرة (٦) اى ولى راجعاً (٧) الثنية الجبل (٨) يتلبط يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض

الانسان المجهود (١) حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً فتمعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه (٢) تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث (٣) فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجباحه (٤) حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه (٥) وتقول بيدها هكذا (٦) وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يقور بعد ما تغرف . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء (٧) لكانت زمزم عينا معيناً (٨) قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة (٩) فان هاهنا بيت الله يدينه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأبىه السيول فأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى صرت بهم رفقة من جرهم (١٠) مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً (١١) فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعمدنا بهذا الوادي وما فيه ماء

(١) المجهود هو الذي أصابه الجهد بفتح الجيم وتضم المشقة (٢) بفتح المهلة وسكون الهاء وبكسرهما منونة كأنها خاطبت نفسها فقالت لها اسكتي (٣) بفتح أوله للأكثر وتخفيف الواو وليس في الأصوات فعال بفتح أوله غير — وجزاء الشرط محذوف تقديره فاغثني (٤) شك من الراوى (٥) بحاء مهلة وضاد معجمة وأنشديد أى تجعله مثل الحوض (٦) هو حكاية فعلها وهذا من إطلاق القول على الفعل (٧) شك من الراوى (٨) عينا معيناً أى ظاهراً جارياً (٩) الضيعة بضاد أى الهلاك (١٠) جرهم هو ابن قحطان . وفي رواية عطاء بن السائب وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة (١١) العائف هو الذي يحوم على الماء ويتردد ولا يمضى عنه

فارسلوا حريا أو جريين (١) فاداهم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا .
قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا اتأذنين لنا أن نزل عندك قالت نعم ولكن
لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
فألقى (٢) ذلك أم اسماعيل وهي تحب الانس (٣) فنزلوا وارسلوا الى أهليهم
فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم
وأنتسهم (٤) واعجبهم حين شب فلما أدرك روجه امرأة منهم (٥) وماتت
أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته (٦) فلم يجد
اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا (٧) ثم سألتها عن عيشتهم
وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكيت اليه قال فاذا جاء زوجك
أقرني عليه السلام رقولى له يغير عتبة بابك (٨) فلما جاء اسماعيل كأنه آس
شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك
فاخبرته وسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا في جهد وشدة قال فهل أوصاك بشيء
قالت نعم أمرني ان اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك أبي
وقد أمرني أن أبارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم امرأة اخرى (٩)

(١) بفتح الجيم وفتح الراء ولشديد الياء أى رسولا وقد يطلق على
الوكيل وعلى الأجير قيل سمي به لانه يجرى مجرى مرسله أو موكله
(٢) النى أى وجد (٣) الأنس بضم الهمزة ضد الوحشة
(٤) أنتسهم بفتح الفاء بلفظ افعل التفضيل من النفاسة أى كثرت
رغبتهم فيه (٥) روى ان اسمها عمارة بنت سعد بن اسامة وحكى
السهيلى ان اسمها جدى بنت سعد (٦) بكسر الراء أى يتفق حال
ما تركه (٧) يبتغى لنا أى يطلب لنا الرزق (٨) عتبة بابك كناية
عن المرأة - وقد كانت العرب ترى طلاق النساء كأبيهم ابراهيم
(٩) ذكر الواقدي ان اسمها سامة بنت مهلهل بن سعد وذكر الدارقطنى
ان اسمها السيدة بنت مضا

فلبث عنهم ابراهيم ماشاء ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما ثرا بكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو (١) عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه قال فاذا جاء زوجك فاقريء عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابيه فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشتنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك قال ذلك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا له (٢) تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد (٣) ثم قال يا اسماعيل ان الله أمرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعيني قال أعينك قال فان الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة و ابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (٤) فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال وجعلنا بيننا حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك (٥) ومن ذريتنا (٦) أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا (٧) وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا

(١) حلوت بالشئ واختليت اذا لم أخلط به غيره ويقال أخلى الرجل الابن اذا لم يشرب غيره (٢) « النبل » السهم قبل أن يركب فيه نصله وريشه وهو السهم العربي (٣) يعنى من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك (٤) بهذا الحجر يعنى مقام ابراهيم (٥) مسلمين أى خاضعين (٦) يعنى واجعل من ذريتنا (٧) أرنا مناسكنا أى عرفنا متعبداتنا في

وابعث فيهم رسولا (١) منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة (٢) ويذكهم (٣) انك أنت العزيز الحكيم . ولما فرغا من بناء البيت أمر الله ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج فاجاب دعاء ربه ونادى أيها الناس كتب الله عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ابراهيم واسماعيل ومن معهما من المسلمين . وقد أمر الله ابراهيم بذبح ولده فامتثل أمر ربه ولما هم بذبحه فداه الله بذبح عظيم . ولقد اختلف في أي ولديه الذبيح أهو اسماعيل أم اسحق وقد قال بكل من القولين جماعة من المسلمين . قال أبو البقاء في الكليات واتفقت الأحاديث الصحيحة وتضافرت نصوص العلماء على ان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام على دينه لم يكفر أحد منهم قط ولم يعبد صنما الى عهد عمرو بن لحي الخزاعي فانه أول من غير دين ابراهيم عليه السلام وعبد الاصنام وسبب السوائب - وذكر السهيلي (٤) ان اسماعيل نبي مرسل أرسله الله الى اخواله من جرهم والى العماليق الذين كانوا بارض الحجاز فأمن بعض وكفر بعض - وحكى الحلبي في سيرته ان اسماعيل ارسل الى جرهم والى العماليق والى قبائل اليمن في زمن أبيه ابراهيم وكذا بعث أخوه اسحق الى أهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين في حياة ابراهيم فكانوا أنبياء على عهد ابراهيم عليه السلام وتوفي اسماعيل عليه السلام بمكة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر . أما الشرع الذي بعث به اسماعيل فهو شرع أبيه ابراهيم

﴿ الاختلاف في نبوتهم من العرب ﴾

لقد أوحى الله دينه لمن ارتضى من خلقه فان لم يأمرهم بتبليغ فهم الانبياء وان أمرهم به فهم المرسلون ومن الانبياء المختلف في نبوته وعدهم أبو البقاء

الحج أو بصرنا بها (١) منهم أي من انفسهم وقد استجيب دعاؤه فلذلك قال رسول الله انا دعوة أبي ابراهيم (٢) الحكمة الشريعة وبيان الاحكام (٣) يذكهم يطهرهم من الشرك وسائر الانجاس . (٤) ما نقله عن السهيلي فمن كتابه الروض الأثف

في كلياته فقال (والمختلف في نبوتهم نيف وعشرون لقمان وذو القرنين والخضر وذو الكفل وسام وطالوت وعزير وتبع وكالب وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان والاسباط وهم أحد عشر وحواء ومريم وأم موسى وسارة وهاجر وآسية — ولم يشتهر عن مجتهد غير الشيخ أبي الحسن الأشعري القول بنبوة امرأة والواحد لا يخرق الاجماع على انه تعالى لم يستنبى امرأة بدليل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) ولنتكلم على العرب منهم وهم تبع وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان فنقول

اما تبع فهو لقب ملك اليمن لا يلقب به حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت ولا أدري أى التباينة المختلف في نبوته أهو الرائش وهو تبع الأول أو ابو كرب تبان اسعد (١) وهو تبع الآخر أو غيرهما . وتبع الآخر هو الذى عمر البيت الحرام وكساه وجعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة فر بها ولم يهجع اهلها وخلف بين أظهرهم ابنه فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال اهلها وقطع نخلها فقال له أحد احبار اليهود من اهلها . الملك أجل من أن يطير به نزع أو يستخفه غضب وأمره اعظم من أن يضيق عما حمله أو نحرم صفحه مع أن هذا البلد مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم فاعتقد صدقه وتهود وادخل اليهودية بلاد اليمن وكان دينهم الوثنية

وأما خالد بن سنان بن غيث العبسى فذهب بعضهم الى انه كان مؤمنا ولم يكن نبيا والكثيرون على نبوته قال الحلبي في سيرته قال بعضهم لم يكن في بنى اسماعيل نبي غير خالد بن سنان قبل محمد الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى وكان بينه وبين عيسى ثلاثمائة سنة وخالد هذا هو الذى اطفأ النار التى خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب تعبيدها كالجوس كان يرى ضوءها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق فيذهب في الارض فلا يجد شيئا الا أكله فأمر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها (١) تبان اسعد اسما من جعل اسما واحدا فان شئت أضفت كما تضيف

معدى كرب وان شئت جعلت الاعراب فى الاسم الآخر

وكانت تخرج من بئر ثم تفتش فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد يضربها ويقول بدا بدا (١) كل هدى (٢) وهي تتأخر حتى نزلت الى البئر وهو خلفها فوجد كلاباً تحتها فضربها وضرب النار حتى اطفأها . وقيل انه كان السبب في خروجها . فانه لما دعا قومه كذبه وقالوا له انما نخوفنا بالنار فان نسل علينا هذه الحرة ناراً اتبعناك فتوضأ ثم قال اللهم اذ قومي كذبوني ولم يؤمنوا بي الا ان تسيل عليهم هذه الحرة ناراً فأرسلها عليهم ناراً مخرجت فقالوا يا خالد ارددها فأنا مؤمنون بك فردها قيل وكان خالد بن سنان اذا استسقى يدخل رأسه في جيبه فيجىء المطر ولا يقلع الا أن يرفع رأسه روى ان ابنته قدمت وهي عجوز على النبي فأكرمها وبسط لها رداءه وقال مرحباً بابنته اخي مرحباً بابنة نبي ضيعة قومه فأسمت (٣) وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفي البخاري أنا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة وليس بي وببيمه نبي (٤) قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان . وقد يقال مراده صلى الله عليه وسلم بالنبي الرسول الذي يأتي بشريعة مستقلة وحينئذ لا يشكل هذا لما علمت انه لم يأت بشريعة مستقلة

وأما حنظلة بن صفوان فحكى الحلبي ان الله ارسله لاصحاب الرس بعد خالد بن سنان بمائة سنة والرس كما في القاموس وشرحه « البئر المطوية بالحجارة وقيل القديمة سواء طويت أم لا ومنه ما في الاساس وقع في الرس أي بئر لم تطو » سموا بذلك لانهم قبلوا حنظلة ودسوه فيها فغار ماؤها وعطشوا بعد ربيهم ويديست اشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد ان كان ماؤها يرويهم ويكفي أرضهم جميعاً وتبدلوا بعد الألس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة

(١) روى ابن عباس ان العرب سمت هذه النار بدأ (٢) في تاريخ ابن الاثير ان خالداً توسط النار وضربها بعصاه ففرقها وهو يقول بدأ بدأ كل هاد مؤد الى الله الأعلى لادخنها وهي تظلي ولا خرجن منها وثيابي تندي (٣) يروي بعضهم ان البنت التي جاءت الرسول ليست بنته الصليبية بل كانت من ذريته ونسله (٤) قيل كان خالد نبياً قبل عيسى

﴿ الحرم ومكاته عند العرب ﴾

الحرم مكة وما حوالها مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه وغير ذلك وحدود الحرم من مكة تختلف قريباً وبعيداً فيحد من جهة المدينة بثلاثة أميال ومن جهة اليمن والعراق والطائف بسبعة أميال ومن جهة جدة بعشرة أميال ومن جهة الجعراة بتسعة أميال وللحرم علامات منصوبة * حكى في الروض المعطار عن الزبير أن أول من وضع علامات الحرم ونصب العمدة عليه عدنان ابن أدهم خوفاً من أن تدرس معالم الحرم أو تتغير . ومقتضاه أنها موضوعة قبل ذلك وهو الحق فإنها من صنع إبراهيم الخليل ومن ذكر ذلك السيوطي في كتابه الفلك المشحون حيث قال « وأول من نصب انصاب الحرم إبراهيم الخليل وكان جبريل يريه مواضعها ثم لم تحرك حتى كان قصي فجدها ثم لم تحرك حتى كان رسول الله فبعث عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعي فجدها ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب فبعث أربعة من قريش كانوا ينتدرون في نواديها فجددوا انصابه وهم مخزومة بن نوفل وأبو هود سعيد بن ربوع المخزومي وحويطب ابن عبد العزى وأزهر بن عوف الزهري حتى كان عثمان بن عفان فبعث على الحجيج عبد الرحمن بن عوف وأمره أن يجدد انصاب الحرم فبعث عبد الرحمن نقرأ من قريش منهم حويطب بن عبد العزى وعبد الرحمن ابن أزهر وكان سعيد بن ربوع قد ذهب بصره في خلافة عمر وذهب بصر مخزومة بن نوفل في خلافة عثمان فكانوا يجددون انصاب الحرم في كل سنة فلما ولي معاوية كتب الى مكة فأمر بتجديدها ثم لما حج عبد الملك بن مروان أرسل الى أكبر شيخ يعلمه من خزاعة وشيخ من قريش وشيخ من بني بكر وأمرهم بتجديد انصاب الحرم ، وقال النووي في شرح المهذب ان تلك الانصاب لا تزال الآن ثابتة في جميع جوانبه الا من جهة جدة وجهة الجعراة فليس فيهما انصاب

وقد جعل الله مكة وما حوالها حراماً آمناً يتخطف الناس من حوله

واختلف في حرمتها على قولين (الاول) انها صارت حرمًا بسؤال ابراهيم (رب اجعل هذا بلداً آمناً) يعني مكة وما حواليتها فأجاب الله سؤاله ويعاضده رواية أبي هريرة عن رسول الله انه قال ان ابراهيم كان عبد الله وخليله واني عبد الله ورسوله وان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة ما بين لايتها عضاها وصيدها ولا يحمل بها سلاح لقتال ولا يقطع بها شجر الا لعلف بعير « والقول الثاني » انها كانت منذ وجدت حرمًا آمنًا من الجبابرة والمتسلطين ومن الخسف والزوال وانما سأل ابراهيم ربه أن يجعل حرمه آمنًا من الجذب والقحط وأن يرزق اهله من الثمرات ويؤيده ماروى عن أبي شريح الخراعى أن النبي لما افتتح مكة قام خطيباً فقال أيها الناس ان الله سبحانه حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا أو يعضد (١) بها شجراً وانها لا تحل لأحد بعدى ولم تحل لى الا هذه الساعة غضباً على أهلها ألا وهى قد رجعت على حالها بالأمس الا ليبلغ الشاهد الغائب فمن قال رسول الله قتل بها فقولوا ان الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك

وكانت العرب على دين أبيهم ابراهيم في ذلك فكانوا لا ينفرون حديد الحرم ولا يؤذونه قال عمرو بن الحارث بن مضاخ

فسحت دموع العين تبكى لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكى لبيت ليس يؤذى حمامه تظل به أمنا وفيه العصافر (٢)
وفيه وحوش لا تزال أنيسة اذا خرجت منه فليست تغادر
وقال النابغة الذبياني

والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد (٣)

(١) العضد القطع (٢) تظل به أمنا أى ذات أمن ويجوز أن يكون أمنا جمع آمن مثل ركب جمع راكب وأراد العصافر وحذف الياء ضرورة ورفعها على المعنى أى وتأمين فيه العصافر (٣) اقسام بالله الذى أمن (العائذات)

ماقلت من سبي مما أتيت به اذا فلا رفعت سوطي الى يدي
وكانوا يؤمنون ساكن الحرم محسناً أو مسيئاً ولذلك قال الزبيدي في العاص
ابن وائل لما اغتصبه ماله يستحث الناس على انصافه منه وتخوينه وان كان
مقيماً في الحرم

ان الحرم لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر
ويرون مكة بلداً لقاحاً لا تؤدي اتاوة ولا تدين للملوك وهي كذلك ولذلك
سمى بيت الله بالبيت العتيق لانه لم يزل حراماً ولم يملكه أحد

قال الزبير بن بدر لرجل من بني عوف هجا أبا جهل وتناول قريشا
أندري من هجوت أبا حبيب جليل خضارم سكنوا البطاحا (١)
وزاد الركب تذكر ام هشاما وبيت الله والبلد اللقاحا (٢)
روى الزبير أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر في الجاهلية فتوجه
وولاه أمر مكة فلما جاءهم بذلك أنقوا من أن يدينوا الملك وصاح الاسود
ابن أسد بن عبد العزى الا أن مكة حى لقاح لا تدين لملك فلم يتم له مراده
وكانوا يجرمون غزو الحرم والقتال فيه وشاهده قول حرب بن أمية لأبي
مطر الحضرمي يدعوه الى حلفه ونزول مكة
أبا مطر هلم الى صلاح فتكنف كالندامي من قريش (٣)

وهي الحديثة النتاج من الحيوانات جمع عائذة و (تمسحها ركبان مكة) أى
تمسح عليها ولا تهيجها بأخذ و (الغيل) بكسر الغين و (السعد) أجمتان كانتا
منافع ما بين مكة ومنى (١) الخضارم جمع خضرم وهو الجواد المعطاء
و (البطاح) جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دفاق الحصى
(٢) و (أزواد الركب) مسافر بن أبي عمرو وزمعة بن الاسود وأبو أمية
ابن المغيرة لانه لم يكن يتزود معهم أحد في سفر يطعمونه ويكفونه الزاد
و (هشام) هو ابن المغيرة اعظمته قريش حتى أرخوا بموته
(٣) صلاح اسم من اسماء مكة و (تكنف) أى تصير في حرز

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطر هديت لخير عيش
وتسكن بلدة عزت قديما وتأمن أن يزورك رب جيش
وقول خدش بن زهير في يوم من أيام الفجار لما اقتتلوا ففرت قريش
الى الحرم وقد دخل الليل

ياشدة ماشدنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم (٢)
وكانوا يكرهون الظلم في الحرم وشاهده قول رجل من جرهم ينهى عمرو
ابن لحي لما ظلم بمكة

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام
وقول سبيعة بنت الأجب (٣) بن زينة تنهى ابنها خالد بن عبد مناف
عن الظلم في الحرم وتعظم حرمة مكة

ابني لا تظلم بمكة لا الكبير ولا الصغير
واحفظ محارمها ولا يغرك بالله الغرور
ابني من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
ابي يضرب وجهه ويلج بخديه السمير
ابني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور
والله أمنها وما بنيت بعرضتها قصور
والله أمن طيرها والمعصم تأمن في ثبير

وقد بلغ احترامهم للحرم انهم كانوا ينزلونه نهارا ولا يبيتون فيه ليلا .
واذا نزل أحدهم نهارا وأراد قضاء حاجة الانسان خرج الى الحل تنزيها له
ولا يبنون فيه بناء ولقد مر عليك قول سبيعة بنت الاجب
والله أمنها وما بنيت بعرضتها قصور

(٢) سخينة لقب تعير به قريش لاتخاذها اياها وهي طعام رقيق يتخذ

من دقيق (٣) قال سيبيويه الأجب بالحاء المهمة يقوله أهل النسب
وأبو عبيدة يقوله بالجيم

وانما كانوا اذا نزلوا في الحرم ينزلون في العريش وكانت العمالقة وجرم
حين ولايتهم الحرم يذتجمعون جبال مكة وأوديتها ينزلون بها وكانت خزاعة
حين ولايتها على الحرم تنزل بطن مرّ فاما كانت ولاية الحرم لقريش في قصي
ابن كلاب بي دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة وجعل بابها جهة
البيت وأمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم في الحرم حول الكعبة لتهاجمهم العرب
ولا تستحل قتلهم فبنوا حول البيت وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن
مهم باب ينسب اليه كباب بي شيبه وباب بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب
بي جمح وتركوا قدر الطواف قال المبرد في الكامل ثم عزت قريش بعد ذلك
بهذا الجوارحى كان يقال يكفيك من قريش انها أقرب الناس من بيت الله
بيتا وكان يقال لدار أسد بن عبد العزى رضيع الكعبة لانها كانت تنىء عليها
الكعبة صباحاً وتنىء على الكعبة عشياً وان الرجل من ولد أسد ليطوف
بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمى به في منزله فيصلح له فاذا عاد في الطواف
رمى بها اليه وفي ذلك يقول الشاعر

لهاشم وزهير فضل مكرمة بحيث حلت نجوم الكباش والاسد
مجاور البيت ذى الاركان بينهما مادونهم في جوار البيت من أحد
قالوا وقد سميت بمكة لانها لا تقر طلها ولا بغيا ولا يبنى فيها أحد الا
مكته وأخرجته وقد روى الاصمعي فول الراجز في تلبيته

يا مكة الفاجر مكى ولا تمكى مدحجا وعاء
وكانت اسمى أيضا بالناسة لانها نفس من ألحد فيها أى تطرده وتنفيه
وبالناسة لانها تبس من ألحد فيها أى تحطمه وتهاكك ومعه قوله تعالى وبست
الجبال بساً

واقعد كان اجتناب الظلم في الحرم شريعة عامة وديننا متبعاً وان حصل
اعتداء على النفس أو المال فنادر كما أذى كفار قريش زيد بن عمرو بن نفيل
في مكة لما طرح عبادة الاصنام كراهة أن يفسد عليهم دينهم فقال وهو يعظم
حرمة علي من استحل منه ما استحل من قومه

لا هم انى محرم لاحله (١) وان بيتى اوسط المحلة (٢)

عند الصفا ليس بذى مضاه

ومن ذلك أيضا ما روى أن قيس بن شيبه السلمي باع متاعا من أبي بن

خلف فلواه بحقه فاستجار برجل من بني جمح فلم يقم بجواره فقال

يال قصى كيف هذا في الحرم وحرمة البيت واعلاق الكرم

أظل لا يمنع منى من ظلم

فبلغ الخبر العباس بن مرداس السلمي فقال

ان كان جارك لم تنفعك ذمته وقد شربت بكأس الغل أنفاسا (٣)

فأت البيوت وكن من اهلها صيدا لا يلق ناديهم حشا ولا باسا (٤)

وتم كن بفناء البيت معتصما تاق ابن حرب وتلق المرء عباسا

قرمى قريش وحلا في ذؤابنها بالمجد والحزم ما حازا وما ساسا (٥)

ساقى الحجيج وهذا ياسر فلج والمجد يورث أخماسا وأسداسا

وما زالت تقع بالحرم مظالم بين حين وآخر سببها أما الطيش والحماقة واما

الاعتماد على القوة

(حلف الفضول)

لقد أدرك بعض العملاء ان ما كان يقع من المظالم في الحرم لو لم ينف

الحق في سبيلها وترد الحقوق لأصحابها لسقطت هيئة الحرم من نفوس العرب

واعندى على سكان البلد الحرام فتكلموا في ذلك ثم نهوا على بصرة المظلوم

على الظالم وسموه حلف الفضول . فكان في الحقيفة حلقة سياسياً اجتماعياً

عادت فائدته على قريش خاصة وعلى العرب عامه ودفعمهم لعقده أيضاً الدين

مخافة ان يعاقبهم الله على البغى في الحرم

(١) محرم ساكن في الحرم (٢) المحلة المنزل (٣) الدمه بالكسر العهد

والغل الحقد (٤) كن صدد البيوت أى قبالتها وقربها (والفحش) عدوان

الجواب و (البأس) العذاب (٥) (القرم) السيد (والذؤابة) من العز

والشرف وكل شيء أعلاه

أما العدوان الذي كان سببا مباشرا لهذا الحلف فهو ما روى ان رجلا من
بني زبيد قدم مكة معتمرا في الجاهلية ومعه تجارة له فاشتراها منه العاص بن
وائل السلمي وكان ذا قدر بمكة وشرف فخبس عنه حقه ثم تغيب فابتغى الزبيدي
متاعه فلم يقدر عليه فجاء الى بني سهم يستعديهم عليه فعرف ان لا سبيل الى
ماله فطوف في قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه وانتهره الا حلاف
عبد الدار ومخزوم وجميع وسهم وعدى وكعب . فلما رأى الزبيدي الشر أوفى
على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقد أخذت قريش مجالسها حول الكعبة
وصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعنه يبطن مكة نأى الدار والنفر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته يا آل فهر وبين الحجر والحجر
اقام من بني سهم بذمتهم ام ذاهب في ضلال مال معتمر
ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون
من قريش يسمون القوي من ظلم الضعيف والقاطن من ظلم الغريب وقال
حافت لنعقدن حلفا عليهم وان كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت انا أباة الضيم نمنع كل عار

ثم قال الزبير ما لهذا مترك يا قوم انى والله لأحشى أن يصينا ما أصاب
الأمم السالفة من سما كنى مكة ومشى الى عبد الله بن جدعان التيمي وهو
يومئذ شيخ قريش واخبره بظلم بني سهم وقد كان أصاب بني سهم أمران
طنونهما للبنى . احدهما احتراق المقاييس منهم . وهم قيس ومقيس وعبد قيس
بصاعقة . وثانيهما ان ركبا منهم أقبلوا من الشام فنزلوا بماء يقال له
القطيعة وصبوا فضلة خمر لهم في اناء فشربوا ثم ناموا وقد بقيت منهم
بقية فكرع منها حية أسود ثم تقيأ في الاناء فهب القوم فشربوا منه
فماتوا عن آخرهم فأذكره الزبير هذا ومثله واجتمعت كلمة بني هاشم وبني اسد

ابن عبد العزى (١) وبنى زهرة وبنى تيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا وكانت حرب الفجار في شعبان وحلف الفضول بعدها في ذى القعدة قبل مبعث رسول الله بعشرين سنة (٢) فتحالفوا في شهر حرام قياماً يتمسحون بأكفهم وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد حتى يأخذوا له بحقه ويكونوا جميعاً مع المظلوم على الظالم حتى يؤدوا إليه مظلمته ممن ظلمه شريفاً أو وضيعاً منهم أو من غيرهم أو يبلغوا في ذلك عذراً وعلى ألا يتركوا لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذوه وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما بل بحر صوفة ومارسى حراء ونبير مكنهما وعلى التأسى في المعاش والتساهم بالمال ثم عمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه في جفنة وبعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه ثم انطلقوا إلى العاصم بن وائل فقالوا والله لا نفارقك حتى تؤدى إليه حقه فاعطى الرجل حقه فكثروا كذلك لا يظلم أحد بمكة إلا أخذوا له حقه . ولم يكن لعبد شمس فيه نصيب حتى قال عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس لو أن رجلاً وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل في حلف الفضول ولقد شهدته رسول الله فعن عائشة أنها سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول . أما لو دعيت إليه اليوم لأجبت . وما أحب أن لي به حمر البعير واني نقضته وفيه يقول الزبير بن عبد المطلب

ان الفضول تحالفوا و تعاهدوا الا يقيم بيطن مكة ظالم (٣)

أمر عليه تعاهدوا وتواتقوا فالجار والمعتز فيهم سالم (٤)

(١) تابعنا ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة وروى الاغانى عن محمد بن فضالة عن أبيه قال لم يكن بنو أسد بن عبد العزى في حلف الفضول (٢) في رواية انه صلى الله عليه وسلم يومئذ كان ابن خمس وعشرين سنة (٣) الفضول هم القبائل التي عقدت هذا الحلف (٤) المعتز الفقير والمتعرض للمعروف من غير ان يسأل

وسبب تسميته بذلك ان قريشا لما تكلموا في عقده قال المطيبون والله
لئن تكلمنا في هذا ليغضبنا الاحلاف وقال الاحلاف والله لئن تكلمنا في
هذا ليغضبنا المطيبون . وقال ناس من قريش تعالوا فليكن حلفنا فضولا دون
المطيبين ودون الاحلاف وقيل انما سمي بذلك لأن قريشا قالوا والله لقد دخل
هؤلاء في فضل من الامر . ونقل السهيلي سبب هذه التسمية عن ابن قتيبة فقال
كان قد س في قريشا الى مثل هذا الحلف جرهم في الزمن الأول فتحالف منهم
ثلاثة ومن بينهم أحدهم الفضل بن فضالة والثاني الفضل بن وداعة والثالث
وضيل بن الحارث هذا قول القتيبي . وقال الزبير الفضيلى بن شراعة والفضل
ابن وداعة والفضل بن قضاة . فلما أشبهه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء
الحرميين سمي حلف الفضول والفضول جمع فضيل وهي أسماء أولئك الذين
تقدم ذكرهم وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن ولكن في الحديث ما هو
أقوى منه وأولى وهو ما رواه الحميدى عن سفيان عن عبد الله عن محمد
وعبد الرحمن بن أبى بكر فالأقال رسول الله صلى عايه وسلم لقد شهدت
في دار عبد الله ابن جدعان حلفا لو دعيت به في الاسلام لأجبت . تحالفوا
ان ترد الفضول على أهائها والا يعز ظالم من ظالوما فقد بين هذا الحديث لم سمي
حلف الفضول

وكان هذا الحلف أكرم حلف في العرب وأشرفه لوفرة منافعه جاهلية
واسلاما . فقد رد العدل الى نصابه في كثير من الحوادث .
فمن أنار نفعه في الجاهلية ما ذكره قاسم بن ثابت في غريب الحديث ان
رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له يقال لها القتل من أوضاً
نساء العالمين فاغضبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمي من يعدني
على هذا الرجل فليل له عليك يحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى
يا حلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا اسيا فهم
بقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمني في ابنتي وانزعها مني قسراً
فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا أخرج الجارية

ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فأخرجها إليهم
ومن ذلك ما في الاغانى أن رجلا من ثمالة قدم مكة فباع سلعة له من
أبي بن خلف الجهمي فظلمه وكان يسمى المخالطة فأتى الثمالي الى أهل حلف
الفضول فاخبرهم فقالوا له اذهب فاخبره انك أتيتنا فان اعطاك حقه والا
فارجم | الينا فأتاه فاخبره بما قال له أهل حلف الفضول فأخرج له ماله واعطاه
اياه بعينه وقال الثمالي في ذلك

اياخذنى في بطن مكة ظلما أبى ولا قومي لدى ولا صحبي
وناديت قومي صارخا لتجيبني وكم دون قومي من فياف ومن سهب
وياأبي لكم حلف الفضول ظلما بنى جمع والحق يؤخذ بالغصب
ولقد قطع الاسلام ما كان في الجاهلية من قولهم يا فلان عند التحزب
حتى لقد سمع رسول الله يوم المريسيع رجلا يقول يا للمهاجرين وآخر يقول
يا للانصار . فقال دعوها فانها منتنة لان الله جعل المؤمنين أخوة فلا يقال
الا يا لله ويا للمسلمين وجاز يا لحلف الفضول خصوصية له لقوله عليه السلام
ولو دعيت به اليوم لأجبت يريد لو قال مظلوم ذلك لأجبت وذلك لان
الاسلام انما جاء بافاعة الحق ونصرة المظلوم فلم يزد به هذا الحلف الا قوة
وليس المراد بقوله عليه السلام وما كان من حلف في الجاهلية فلن يزيده
الاسلام الا شدة أن يقول الحليف يا فلان لملفائه فيجيبوه بل الشدة في
الحديث ترجع لمعنى التعاطف والتواصل

ولقد هم الحسين بن على بن أبى طالب بان يهتف به فلقد روى انه كان
بينه وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة من قبل معاوية منازعة
في مال كان بينهما بذى المروة فتحامل الوليد على الحسين في حقه لسلطانه
فقال له الحسين احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لا آخذن سيفى ثم لأقومن
في مسجد رسول الله ثم لأدعون بحلف الفضول وكان عبد الله بن الزبير عند
الوليد حينئذ فقال . وأنا احلف بالله لئن دعا به لا آخذن سيفى ثم لأقومن
معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا . وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل

الزهرى وعبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقلا مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . ومن ذلك ما فى الاغانى أن الحسين بن على كان بينه وبين معاوية كلام فى ارض له فخرج مغضبا من عنده فلقى عبد الله بن الزبير فذكر له الحسين أن معاوية ظلمه حقه . وقال أخيره فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم (١) أن يجعلك أو ابن عمر بينى وبينه . أو يقر بحقى ثم يسألنى فأهبه له أو يشتريه منى . فان لم يفعل فوالذى نفسى بيده لأهتفن بحلف الفضول . قال ابن الزبير : والذى نفسى بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم لأمشين أو ماش لاشتدن حتى يفنى روحى مع روحك أو ينصفك قال ثم ذهب ابن الزبير الى معاوية فقال لقينى الحسين نخيرك فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم قال معاوية . لا حاجة لنا بالصيلم انك لقيته مغضبا فهات الثلاث . قال تجعلتنى أو ابن عمر بينك وبينه قال . قد جعلتك بينى وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما قال . أو تقر له بحقه وتسأله اياه قال أنا أقر له بحقه واسأله اياه . قال أو تشتريه منه قال . وأنا اشتريه منه قال فلما انتهى الى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين لودعانى الى حلف الفضول لأجبتة . فقال معاوية لا حاجة لنا بهذا

بناء الكعبة وكسوتها

أول من بنى الكعبة ابراهيم عليه السلام ذكر صاحب الروض المعطار ان ابراهيم بناها ولم يجعل لها سقفا ثم انهدمت فبنتها العمالقة ثم انهدمت فبنتها جرهم (٢) ثم انهدمت فبناها قصى بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجرىد النخل وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعا . وفى بناء جرهم وقصى لها يقول اعشى قيس

(١) الصيلم الامر الشديد والداهية (٢) قال السهيلي : وقد قيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين لان السيل كان قد صدع حائطه . ولم يكن ذلك بنيانا انما كان اصلاحا لما وهى منه وجدارا بنى بينه وبين السيل بناء عامر الجارود

حلفت بثوبى راهب الشام والتي بناها قصي وحده وابن جرهم
ثم بنتها قريش وشهد رسول الله ببناءها وعمره خمس وعشرون سنة .
وكان بابها في الارض فقال أبو حذيفة بن المغيرة . يا قوم ارفعوا الباب حتى
لا يدخل الا بسلم فانه لا يدخلها حينئذ الا من أردتم فان جاء أحد ممن
تكرهون رميتم به فيسقط فكان نكالا لمن رآه ففعلت قريش ذلك . ولما
أجمعت قريش أمرها على هدمها وبنائها قال أبو وهب بن عمرو بن عائذ
المخزومي . يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيه
مهر بنى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس (١)

وهدموها حتى انتهى بهم الهدم الى أساس ابراهيم ورأوا ان ما أخرجوا
من النفقة لا يكفي للبناء فاجمعوا أمرهم على ان يبنوا من البيت على أساس
ابراهيم بقدر ما أخرجوا من النفقة ويتركوا بقيته في الحجر عليه جدار مدار
يطوفون من ورائه فتركوا من شمال البيت ست أذرع وشبرا وبنوا أساسا
في بطن الكعبة يبنون عليه وشرعت القبائل في بنائها حتى اذا بلغ البنيان
موضع الركن وهو الحجر الأسود اختصموا . كل قبيلة تريد أن تضعه موضعه
حتى تحالفوا وأعدوا للقتال عدته ثم اتفقوا على ان يحكموا أول من يدخل
من باب المسجد فكان رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا
محمد وأخبروه خبرهم فدعا عليه السلام بثوب فأتى به ثم قال لتأخذ كل قبيلة
بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه أخذته
بيده الشريفة فوضعه موضعه (٢) ثم بنى عليه ولم تزل على بنائها الى أن
تولى عبد الله بن الزبير أمر مكة في زمن يزيد بن معاوية فأرسل يزيد
اليه الحصين بن نمير في عسكر كثيف من أهل الشام فالتجأ ابن الزبير
للمسجد فرماه الحصين بالمنجنيق فأصاب مقدوفه الكعبة فهدمها وحرق

(١) فيه دليل على حرمة الزنا والربا والظلم عليهم يعلمون ذلك ببقية من
بقايا شرع ابراهيم (٢) حكى الزبير بن أبي بكر ان الذى وضع الركن في بناء
عبد الله بن الزبير ابنه حمزة اغتم فرصة شغل الناس بالصلاة خلف أبيه في

كسوتها وبعض خشبها ثم مات يزيد وانصرف جنده فهدمها عبد الله بن الزبير وبنائها على قواعد ابراهيم وكسا بابها بصفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وأدخل الحجر فيها وجعل لها بابين ملصوقين بالارض شرقيا وغربيا يدخل من واحد ويخرج من الاخر وذلك لما حدثته به عائشة أم المؤمنين عن رسول الله انه قال « الم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم حين عجزت بهم النفقة ثم قال عايه السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفاً (١) والصلقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر » وكان فراغه من بنائها في السابع عشر من شهر رجب سنة أربع وستين

فلما تولى عبد الملك بن مروان أرسل لابن الزبير جيشاً وعلى رأسه الحجاج ابن يوسف فحاصره في مكة حتى استشهد سنة ثلاث وسبعين فدخل الحجاج مكة وكتب لعبد الملك بما صنعه ابن الزبير في الكعبة فقال لسنا من تخطيط أبي خبيب (٢) بشيء وأمره ان يعيدها الى ما كانت عليه زمن رسول الله فهدم من جانبها الشامي الشمالي ست أذرع وشبرا وبني على أساس قريش ورفع الباب الشرقي وسد الغربي ولم يغير من باقيها شيئاً فلما فرغ من بنائها قدم على عبد الملك الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقبايع وهو أخو عمر ابن أبي ربيعة ومعه رجل آخر فحدثاه حديث عائشة المتقدم فندم وجعل ينكث الارض بمخصرة في يده ويقول « وددت اني تركت أبا خبيب وما تحمل في ذلك »

فلما تولى أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيتها على ما بناها ابن الزبير وشاور في ذلك . فقال له مالك بن أنس . أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعباً للملوك بعدك لا يشأ أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب المسجد فوضعه حين أحس منهم التنافس في ذلك وخاف الخلاف فأقره أبوه (١) خلفاً أي باباً آخر من خلفها (٢) أبو خبيب كنية عبد الله بن الزبير تسمى باسم ولده خبيب

هيبتة من قلوب الناس فصرفه عن ذلك فالكعبة الى اليوم حائطها الشمالى من بناء الحجاج وباقي حوائطها من بناء ابن الزبير

أما كسوتها فقد كسيت في الجاهلية من زمن قديم اعظاماً لها وأول من كساها تبع الآخر وهو تبان أسعد المتقدم ذكره عند الكلام على المختلف في نبوتهم من العرب روي انه قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بها ستة أيام ينحر للناس ويطعم اهلها ويسقيهم العسل المصفى وأرى في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (١) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الثياب المعافريه (٢) . ثم أرى ان يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل (٣) قال ابن هشام (واوصي بالبيت ولاته من جرمهم وأمرهم بتطهيره والا يقربوه دمأ ولا ميتة ولا مثلاة وهي المحائض (٤) وجعل له باباً ومفتاحاً) وقال في كسوته

وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء معضدا وبرودا (٤)
فأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه أقليدا (٥)
ونحرننا بالشعب ستة آلا ف ترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه ثؤم سهيلا فرفعنا لوأنا معقودا
وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا اسعد الحميري فانه أول من كسا الكعبة

وقالت سبيعة بنت الاحب من قصيدة

(١) جمع خصفة وهي ثوب غايظ أو شيء ينسج من الخوص والاييف
(٢) نسبة الى معافر بفتح الميم بلد أو ابوحي من همدان (٣) الوصائل ثياب حبرة من عصب اليمن سميت بذلك لأنها كانت يوصل بعضها ببعض واحدها وصيلة (٤) قال السهيلي لم يرد النساء الحيض لان حائضاً لا يجمع على محائض وانما هي جمع محيضة وهي خرقة المحيض (٥) المعضد كمعظم ثوب له علم في موضع العضد (٦) الاقليد المفتاح .

ولقد غزاها تبع وكسا بنيتها الحبير (١)
وأذل ربي ملكه فيها فأوفى بالندور
يمشى اليها حافيا بفنائها الفا بعير
ويظل يطعم أهلها لحم المهاري والجزور
يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير (٢)

ثم كستها العرب بأنواع كثيرة روى عن ابن مليكة انه قال بلغني أن الكعبة كانت تكسى في الجاهلية كسى شتى وكانت البدن تجمل الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن . وكان يهدى للكعبة هدايا من كسى شتى سوى جلال البدن حبر وخز وأنماط فتكسى منه الكعبة ويجعل مابقى في خزانة الكعبة فاذا بلى منها شيء أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع منها شيء وعنه أيضا انه قال :

كانت قريش في الجاهلية تراد في كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصي بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وكان يختلف الى اليمن يتجر فيها فأثرى في المال فقال لقريش انا أكسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة فكان يفعل ذلك حتى مات يأتي بالحبر الجندية من الجند وهي بلدة باليمن فيكسو الكعبة فسمته قريش العمدل (٣) لانه عدل بفعله فعل قريش . وعن ابن جريج أن الكعبة فيما مضى انما كانت تكسى يوم عاشوراء اذا ذهب آخر الحاج حتى كان بنو هاشم . فكانوا يعلقون القميص يوم الترويه (٤) من الديباج (٥) ليراهم الناس في بهاء وجمال فاذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الأزار .

(١) غزاها طلبها وقصدها وتريد بالحبير الحبرات (٢) الرحيض من الشعير أى المثقى والمصفى منه (٣) فى الاغانى أن العمدل هو عبد الله بن أبى ربيعة وقد قيل أن العمدل هو الوليد بن المغيرة (٤) هو اليوم الثامن من ذى الحجة (٥) اختلف فى اول من كساها الديباج فقال الزبير النسابة انه عبد الله بن الزبير وحكى ابن اسحاق انه الحجاج لكن روى الدارقطنى أن تقيلة أم

وعن عمر بن الحكم . قال . نذرت أمي بدنة تنحرها عند البيت وجللتها شقتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسيرت للكعبة بالشقتين والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر فنظرت الى البيت يومئذ وعليه كسي شتى من وصائل وأنطاع وكرار وخر ونمارق عراقية كل ذلك رأيت عليه وذكر ثياب البيت أبو طالب عمه عليه السلام في قصيدته اللامية المشهورة فقال

واحضرت عند البيت رهطى وأخوتي وأمسكت من أثوابه بالوصائل وأقر الاسلام ما كانوا عليه من كسوته فكساه النبي عليه السلام الثياب اليمانية ثم كساه عمر وثمان ومعاوية والأمويون وكان العباسيون يكسونها الحرير الأسود ويفسجون كسوتها بفتيس احدى مدن مصر التي عفت ولما ضعفت شوكتهم صارت ترسل كسوتها من ملوك اليمن حيناً وحيناً من ملوك مصر ثم وقف على كسوتها الملك الصالح بن قلاوون قريتي بسوس وسندبيس بمديرية القلوية واستمرت مصر ترسلها من يومئذ الى الان في كل عام وكانوا في الجاهلية لا ينزعون من ثيابها شيئاً فمن ابن أبي مليكة انه قال . كانت على الكعبة كسي كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط فكانت ركاباً بعضها فوق بعض فلما كسيت في الاسلام من بيت المال كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء الى أن كانت أيام معاوية فكتب اليه شيبه بن عثمان الحجبي يرغب اليه في تخفيفها من كسي الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم فكتب اليه معاوية أن مجردها وبعث اليه بكسوة من ديباج وقباطى وحبرة تجردها شيبه حتى لم يبق عليها شيء وكساها الكسوة التي بعث بها معاوية وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة وكان ابن عباس حاضراً في المسجد فلم ينكر عليه ذلك ولا كرهه وانكرت عائشة قسمتها بين أهل مكة وقالت لشيبه العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس صغيراً فنذرت ان هي وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته

بمها واجعل ثمنها في سبيل الله

ثم لم تكن تجرد في كل عام حتى حج الخليفة المهدي العباسي سنة مائة وستين من الهجرة فشكا اليه سدة الكعبة كثرة الكساوي التي عليها فأمر بها فانزلت وأمر الا يعلق عليها الا كسوة واحدة فلم تزل كذلك الى الآن

تعظيم المعجم والعرب للكعبة

قد عظمت المعجم والعرب الكعبة فن تعظيم المعجم لها أن قدماء المصريين كانوا يسمون بلاد الحجاز بالبلاد المقدسة لمكان البيت منها . وكان الهنود يعتقدون أن روح شبوه أحد آلهتهم وهو الأ قنوم الثالث من تمثال بوذا قد تقمصت في الحجر الاسود حين زيارته بلاد الحجاز . وكان الفرس يمتقدون أن روح هرmez حلت في الكعبة . وذكر بعضهم أن اسلاف الفرس كانوا يحجون البيت الحرام ويطوفون به تعظيما لجدهم ابراهيم وتمسكا بهديه وحفظا لانسابهم لاعتقادهم انهم من نسل ابراهيم . قال المسمودي سميت زمزم لان الفرس كانت تحج اليها في الزمن الاول فزمزمت عليها - والزمزمة صوت تخرجه من خياشيمها . وقال غيره . وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك فأتى البيت وطاف به وزمزم على البئر وفي ذلك يقول الشاعر في القديم من الزمان

زمزمت الفرس على زمزم وذلك من سالننها الاقدم

والزمزمة كلام المجوس وقراءتهم على صلاتهم وطعامهم . وقد افتخر بعض

شعراء الفرس في الاسلام فقال

وما زلنا نحج البيت قدما ونلقى بالاباطح آميننا

وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق باصيدينا

وطاف به وزمزم عند بئر لاسماعيل تروي الشاربينا

وقد خصها العرب بأنواع من الاحترام لانها بيت الله الحرام وبناء أبيهم ابراهيم واسماعيل . فنهأ انهم كانوا لا يبنون عندها بيوتا حتى صارت ولاية الحرم لقصى بن كلاب فبنى دار الندوة وأمر قريشا أن تبني بيوتها حوله

لتهابهم العرب لمكان البيت فامثلوا أمره . و (كانوا) لا يرفعون بناءهم فوق
بنائها تعظيما لها . و (كانوا) يتحامون التربييع في البناء كيلا يشبهها وأول من
بنى بيتا مربعا حميد بن زهير أحد بني أسد بن عبد العزى كما في الحيوان للجاحظ
لكن في صبح الاعشى ان أول من فعل ذلك هو بنديل بن ورقاء الخزاعي
و (كانوا) يخلمون نعالهم عند دخولها . وفي صبح الاعشى ان أول من
خلع نعليه عند دخولها الوليد بن المغيرة . و (كانوا) يخلفون بها والشواهد
على ذلك كثيرة منها قول زهير بن أبي سلمى

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم
و (كانوا) يضمخون البيت في الجاهلية بلحوم الأبل ودمائها فلما جاء
الاسلام قال أصحاب رسول الله فنحن أحق ان نضمخ فانزل الله تعالى لن
ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
ولقد اشترك اليهود والنصارى والمشركون في احترامها واتخذوها معبدا
كل يعبد ربه فيه كما أمره دينه حتى صوروا بها المسيح والمذراء وصوروا بها
ابراهيم واسماعيل وفي أيديهما الأزلام ووضعت كل قبيلة صنمها الذي تعبده
عليها حتى اجتمع على سطحها ثلاثمائة وخمسة وستون صنما وما زالت كذلك
حتى بعث رسول الله فحما الصور وكسر الاصنام وحلصها لعبادة الله وحده
ولعظيم مكانة الكعبة والحرم لدى العرب اعترفوا لسكان الحرم ومجاوري
البيت الحرام بالرئاسة . وهذا ما دعا بعضهم لبناء بيت واتخاذ حرم ليضاهى
به حرم الله وبيته فلم يتم له ما أراد كبناء (بس) وكنيسة (القليس)
اما بس — فحكى الاغانى خبره وهو أن بنى بغيض بن غطفان لما
استشعروا من تفهم القوة عند ما انتصروا على صداء — وهى قبيلة من
مذحج — قالوا والله لنتخذن حرما مثل حرم مكة لا يقتل صيده ولا يعضد
شجره ولا يهاج عائذه فاتخذوه عند ماء لهم يقال له بس وكان القائم على أمر
الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم (١) فلما بلغ فعلمهم هذا زهير بن جناب وهو
(١) فى القاموس بس بيت لغطفان بناه ظالم بن أسعد لما رأى قريشا

يوهذ سيدكاتب . قال والله لا يكون هذا أبدا وانا حي فسار في قومه حتى غرا غيلقان فظفر بهم وأسر فارسا في حرمهم فقال لأحد أصحابه اضرب رقبته فقال انه بسل فقال زهير وأبيك ما بسل على بحرام . ثم قام اليه وعطل ذلك الحرم وكانت الولاية على هذا الحرم لبني صرة بن عوف

واما كنييسة القليس (١) فقد بناها أبرهة الاشرم ملك اليمن من قبل النجاشي بصنعاء الى جنب عمدان لما دانت له قبائل العرب وملك قيادها ولما تم له بناؤها كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء بيتا لم تبين العرب والمعجم مثله ولن أنهي حتى اصرف حاج العرب اليه ويتركوا الحج الى بيتهم فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك اني النجاشي غضب رجل من النساء أحد بني وقيم ابن عدى بن عامر فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها ثم خرج فاحق بقومه فلما أخطر بذلك أبرهة سأل عمه صمعه فقبل له صنعه رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب . فغضب أبرهة وحلف لبسبون الى البيت حتى يهدمه . ثم سار بجيشه ومعه الفيل . فلما نزل بالغمس وهو مكان قريب من مكة أرسل الى قريش فاخبرهم انه لا يريد الا هدم البيت فان لم يتعرضوا لقتاله لا يقاوتهم وعامت قريش انها لا طاقة لها بحربه فأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وقام ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستصرونه على أبرهة وجنده وقال

لا هم ان العبد يمد مع رحله فامنع حلالك (٢)

يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة واجتزءوا به عن الحج فاغار زهير بن جناب الكلابي فقتل نالما وهدم بباءه (١) قال السهيلي سميت هذه الكنييسة القليس لارتفاع بناؤها وعلوها ومنه القلائس لأنها في أعلى الرؤوس (٢) العرب تحذف الألف واللام من الأهم وتكتفى بما بقي .

و (الحلال) القوم الحلول في المكان

والنصر على آل الصلبي ب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبيهم ومحالمهم أبدا محالك (١)
ان كنت تاركهم وقب لمتنا فأمر ما بدا لك

ثم خرج مع قريش من مكة وتحرروا في شعف الجبال والشعاب تخوفا
عليهم من معرة الحبش وأخذوا ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فاما
أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبي جنده . فلما وجهوا الفيل الى
جهة الكعبة برك فضربوا رأسه بالفأس ليقوم فأبى فادخلوا لهم محاجن في
سراجه حتى أدموه ايقوم فأبى فوجهوه الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى
الشام فقام يهرول ووجهوه الى المشرق فقام يهرول ووجهوه الى مكة وبرك
وجعل الله كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من
سجيل (٢) لا تصيب منهم أحدا الا هلك نخرجوا يتساقطون بكل طريق
ويهلكون بكل مهلك ومعهم أبرهة مصاب في جسمه يسقط أنملة أنملة حتى
قدموا به صماء وهو مثل فرخ الطائر فامات حتى انصدع صدره عن قلبه
فلم أرأت العرب ما حل باصحاب الفيل أعظموا قريشاً . وقالوا أهل الله قاتل
عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم

ولقد استذل أبرهة أهل اليمن في بناء القاييس وبنائها بحجارة قصر بلقيس
صاحبة سليمان عليه السلام . وكان مبنياً بموضع من هذه الكنيسة على فراسخ
وبه بقايا من آثار ملكها فاستعان بذلك على ما أراد من بهجتها وحسنها
فوضع أبرهة الرجال نسقا يناول بعضهم بعضا الحجارة والخشب فنقل اليها منه
العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب حتى نقل ما كان في قصر
بلقيس مما احتاج اليه ولقد وصفها ابن العربي (٣) نقلا عن ابن اسحاق فقال :

(١) و (المحال) بكسر الميم الكيد أو التدبير أو المكر أو القدرة أو

القوة والشدة (٢) الابابيل الجماعات و (السجيل) الشديد الصلب

(٣) هو محيي الدين ابن العربي وجميع ما ننسبه له فمن كتابه محاضرة

الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار

وكان عرض حائط القليس ست اذرع . وكان له باب من نحاس عشر اذرع
طولا في اربع اذرع عرصا . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه طوله ثمانون
ذراعا في اربعين ذراعا محلى بالساج المنقوش . ومساميره الفضة والذهب ثم
يدخل من البيت الى ايوان طوله اربعون ذراعا عن يمينه وعن يساره عقد
مضروبة بالفسيفساء مشجرة بينها كواكب الذهب ظاهرة ثم يدخل من الايوان
الى قبة ثلاثون ذراعا في مثلها بالذراع القصير فيها صلب منقوشة بالذهب والفضة
وفيه رحامة مما يلي مطلع الشمس من الياق مرعبة عشر اذرع في مثلها تعشى
عين من نظر اليها من بطن القبة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة
وكان تحت الرخامة منبر من خشب الآبنوس مفصل بالعاج الابيض ودرج
المنبر من حشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وفي القبة سلاسل فضة . وكان في
القبة وفي البيت خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعا يقال لها كعيب
وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما في
الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأ حورى . وهو في لسانهم الحر ، روى انه
لما هلك أبرهة ومرقت الحبشة كل ممزق واقفر ما حول هذه الكنيسة فلم
يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات اتفق أن بعضهم أخذ منها شيئا
فأصيب بأذى فنسب رطاع اليمين ما اصابه الى الصنمين كعيب وامرأته فتحاماهما
الناس فبقيت بما فيها من الخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي
تساوى قناطر من المال الى زمن أبي جعفر المنصور فكتب لعامله على اليمين
العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي يأمره بهدمها فهدمها وأصاب العباس
مالا كثيرا بما باعه من رخامها ودعا بالسلاسل فعلقها في كعيب والخشبة
التي معه فلم يقربهما أحد مخافة مما كان أهل اليمين يقولون فيهما فعلق السلاسل
في العجل ثم جذبهما الثيران حتى أبرزوا من السور . فلما يرى الناس شيئا
مما كانوا يخافون من مصراتهما اشترى رجل عراقي الخشبة وقطعها لدار
له . واتفق أن العراقي أصيب بجذام فافتتن بذلك رعاع اليمين واطغامهم وقالوا
أصابه كعيب

قال أبو المنذر (١) وكان رجل من جهة ينة يقال له عبد الدار بن حديب قال لقومه هلم بنى بيتنا نضاهى به الكعبة ونعظمه حتى نستميل به كثيرا من العرب فأعظموا ذلك وأبوا عليه فقال في ذلك

ولقد أردت بان تقام بنية ليست بحوب أو تطيف بمأتم
فأبى الذين اذا دعوا لعظيمة راغوا ولاذوا في جوانب قودم
يلحون ان لا يأمرؤا فاذا دعوا ولوا واعرض بعضهم كالأبكم

الاربعة الاشهر الحرم - والبسل

كما كانوا على دين ابراهيم في تحريم الحرم وتكريم الكعبة كذلك كانوا على دينه في تحريم ذى القعدة وذى الحجة والحرم ورجب . فكانوا ينزعون فيها الاسنة عن الرماح ويقعدون عن شن الغارات وطلب الثارات ويأمن الخائف فيها عدوه حتى يلتقى الرجل فيها قاتل ابيه أو اخيه فلا يتعرض له . ولم تكن العرب كلها تحرم الاشهر الحرم فقد كانت طى كلها وخثعم كلها وكثير من احياء قضاة ويشكر وبنى الحارث بن كعب على ما حكاها الجاحظ في الحيوان محايين لا يرون للحرم ولا للشهر الحرام حرمة وكانوا لا يحجون ولا يعتمرون وبين السهيلي سر مشروعيتها فقال

« ان تحريم القتال في الاشهر الحرم كان حكما معمولا به من عهد ابراهيم واسماعيل وكان من حرمت الله ومما جعله مصلحة لاهل مكة . قال الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » وذلك لما دعا ابراهيم لذريته بمكة اذ كانوا بواد غير ذى زرع أن يجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ففرض الله على الناس حج البيت قواما لمصلحتهم ومعاشهم . ثم جعل الاشهر الحرم اربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج على انفسهم واهليهم واردين الى مكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع حكمة

(١) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي المشهور بابن الكلبي المتوفى

سنة ٢٠٤ هجرية وما نعره اليه بكنية أبي المنذر فما ذكره في كتاب الاصنام

من الله . وأما رجب فللعامة أريأمنون فيه مقبلين وراجعين نصف الشهر للاقبال
ونصفه للأياب اذ لا تكون العمرة من أقاصى بلاد العرب كما يكون الحج .
وأقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوماً فكانت الأقوات تأتي
أهل مكة فى المواسم وفى سائر العام تنقطع عنهم ذؤبان العرب وقطاع السبل
مصلحة لأهلها ونظراً من الله لهم دبره وابقاه من ملة ابراهيم «

ولا عتيادهم الاعتمار فى رجب سموه منصل الألة (١) لانهم كانوا ينصلون
الأسنة عن الرماح حتى يخرج الشهر . قال الاعشى

تداركه فى منصل الألة بعد ما مضى غير أداء وقد كاد يعطب (٢)
وكانوا يدعونه الاصم لانهم كانوا لا يتغازون فيه ولا يتنادون فيه بالفلان
ويالفلان ولا تؤخذ فيه الثارات . وكانت مضر تعظم رجباً اكثر من سائر
العرب وتذبح فيه قرباناً تسميه الرجبية حتى أضيف اليها فقبل رجب مضر
وكانوا يرون رجباً أسرع الاوقات لاجابة الدعاء فكانوا يؤخرون الدعاء
على الظالم حتى اذا دخل رجب دعوا عليه فيه * روى ابن عباس أن عمر بن
الخطاب رأى رجلاً مبتلى فقال ما رأيت افطع منظراً منه . فقيل له أما تعرفه
يا أمير المؤمنين قال لا . قيل هذا ابن ضبعان السامى الذى دعا عليه عياض .
فقال لعياض اخبرنى خبرك . فقال يا أمير المؤمنين كان بنو ضبعان عشرة وأنا
ابن عم لهم فكنت مستجيراً بهم وجاراً لهم فظلمونى وأخذوا مالى عدواناً
فذكرتهم بالله والرحم والجوار فلم ينفذ فأمهلتهم الى دخول رجب فرفعت يدي
الى السماء وقلت

لاهم ادعوك دعاء جاهدا تقتل بى ضبعان الا واحدا

ثم اضرب الرجل فذره قاعدا اعشى اذا ما قيد أعيا القائدا

وكان ذلك فى الجاهلية فتتابع منهم تسعة ماتوا فى عام واحد وبقي منهم
هذا اعشى رماه الله فى رجليه بما ترى . فقال عمر سبحان الله ان هذا لأمر

(١) الألة الاسنة - والألة الحربة - يقال أله يؤله الا اذا طعنه

(٢) الأداء ثلاث ليال من آخر الشهر

عجيب . وكانوا قبيل دخول الاشهر الحرم وعند انسلاخها حريصين على الاخذ
بالتأرأو انتهاز اغتيال يدعو اليه الحقد والفساد . فقد روى ابن أبي الحديد
عن شيخه أبي علي ان الرياشي ذكر أن العرب تسمى آخر يوم من شوال فلتة من
حيث أن كل من لم يدرك تأره فيه فاته ثم قال والذي رواه عن أهل اللغة قول
لا نعرفه والذي نعرفه انهم يسمون الليلة التي ينقضى بها آخر الاشهر الحرم
ويتم فلتة . وهي آخر ليلة من ليالي الشهر لانه ربما رأى الهلال قوم لتسع
وعشرين ولم يبصره الباكون فيغير هؤلاء على أولئك وهم غافلون . فلهذا
سميت تلك فلتة (١)

فمن سارعتهم بأخذ الثأر قبيل دخول الشهر الحرام ما كان من عاصم بن
المقشعر الضبي فانه لما علم أن الخنيفس الضبي قتل أخاه بيده في آخر يوم من
جمادى الآخرة نهض عاصم فبسل دخول رجب وانطلق حتى اذا كان بغناء
خباء الخنيفس ناداه مستنجدا فاما خرج اليه الخنيفس وسار معه داباه عاصم
حتى قاربه ثم قنعه بالسيف فأطار رأسه وقال (العجب كل العجب بين جمادى
ورجب) فسارت كلمته مثلا

فاذا انسلخت الاشهر الحرم كانوا بين حروب أو قدت نارها الاحقاد
وغارات أثارها طاب الثأر أو السلب أو الميل للفساد وشاهده قول طفيل
الغنوي وهو شاعر جاهلي

ظلمان أبرقن الخريف وشمته وخفن الهمام ان تقاد قنابله (٢)
يعنى دخلت شهور الحل نخفن ان يغير الهمام عليهن فتسكين ناحيته
وتباعدن عنه . وقد توعد تأبط شرا العوص بقتالهم عند انسلاخ الأشهر
الحرم وذلك انه خرج يوما وصاحبان له حتى أغاروا على العوص من بجيلة
(١) في القاموس الفلته آخر ليلة من كل شهر أو آخر اليوم من الشهر
الذي بعده الشهر الحرام (٢) أبرقن الخريف رأين برق الخريف - وقال
بعضهم دخلن في برق الخريف و (شمته) أبصرنه - والشيم المنظر الى البرق
خاصة و (القنابل) جمع قنابلة وهي الجماعة من الخيل

فاخذوا نعماء لهم واتبعهم العوص فادركوهم وقد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة : فلما رأى تأبط شرا ان لا طاقة لهم بهم عدا وتركهما فقتل صاحباه فقال يرثيهما ويتوعد .

لنعم فتى نلتهم كأث رداءه على سرحة من سرح دومة شائق (١)
فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا فقتل أناس أو فتاة تماق (٢)
ومع هذا فقد قتل بعضهم بعضا في الشهر الحرام بل وفي الحرم نفسه لسبب الغضب الذي يملك على العقل زمامه أو الاستهانة بأمر الدين . كما كان من الشنفرى فانه لما قدم منى وبها حرام بن جابر فقتل له هذا قاتل أبيك فقتله ثم سبق الناس على رجله وقال

قلت حراما مهديا بملبد بيطن منى وسط الحجيج المصوت (٣)
وقد أغار معبد بن زرارة على بنى عامر بن مالك في شهر رجب الحرام وكذلك قتل ضبة بن اد بن طابحة في الشهر الحرام الحارث بن كعب . وكان من خبره ما روى ان الحارث لقي سعيد بن ضبة وهو غلام قد خرج في ابل لأبيه قد ضات وكان عليه بردان فاقبه الحارث فسأله برديه فأبى عليه فقتله ومكث ضبة ماشاء الله ان يمكث . ثم حج فوافى عكاظ فلقى بها الحارث ابن كعب وعليه بردا ابنه سعيد فمرفهما . فقال له هل أنت مخبرى عن هذين البردين . قال بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألته اياهما فأبى على فقتلته واخذتهما فقال ضبة بسيفك هذا قال نعم . قال : فاعطنيه أنظر اليه فاني أظنه صارمأ فاعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يده هزه . وقال : الحديث ذو شجون ثم ضربه به حتى قتله . فقتل يا ضبة أفى الشهر الحرام فقال : سبق السيف العذل فال الفرزدق .

لا تأمنن الحرب ان استعارها كضبة اذ قال الحديث شجون
ومن ذلك قتل البراص بن قيس الكنانى عروة الرحال الهوازنى في

(١) شائق مشدود (٢) تعرف طلب المعرفة حتى عرف

(٣) المهدي سئق الهدي وهو ما أهدي الى الحرم

حديث روه وهو ان البراض كان سكيراً فاستقاخلمه قومه وتبرءوا منه فلحق
بالنعمان بن المنذر بالحيرة وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ بالطيعة (١) لتماع
فيه ويشترى له بثمانها أدم من أدم الطائف . وكان يرسلها في جوار رجل
من أشرف العرب . فلما جهز اللطيمة قال من يجيرها فقال البراض أنا أجيرها
على بنى كنانة فقال له النعمان انما أريد رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامه وكان
عروة الرحال حاضراً فقال أنا أجيرها لك أبيت اللعن . فقال البراض أتجيرها
على كنانة فقال نعم وعلى الناس جميعاً أفكذب خاليع يجيرها فخرج فيها عروة
الرحال وخرج البراض يطلب غفاته حتى اذا كان بالعالية غفل عروة فوثب
عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فكان ذلك سبب حرب الفجار الثاني (٢)
فجار البراض وایامه يوم نخلة ثم يوم شمطة ثم يوم العبلاء ثم يوم عكاظ ثم يوم
الحريرة (٣) وهي حرة الى جنب عكاظ كما في الاغانى وكانت حرب الفجار في
الاشهر الحرم في القاموس (ایام الفجار بالكسر أربعة أفجرة في الاشهر
الحرم (٤) كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت
الدرة على قيس فلما قاتلوا قالوا فجزنا حضرها النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ابن عشرين وفي الحديث كنت أنبل (٥) على عمومي يوم الفجار
ورميت فيه بأسهم وما أحب انى لم أكن فعلت) . وقد أخرجه أعمامه
معهم وقيل لم يقاتل في فجار البراض أى لم يرم فيه بأسهم .

وفي الاغانى ان النبي شهد أيام حرب الفجار الا يوم نخلة وكان يناول

(١) اللطيمة العير التي تحمل الطيب والبر للتجارة (٢) الفجار الاول كانت
الحروب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم شهر بها (٣) الحريرة كهريرة . وقد جعل
السهيلي أيام الفجار خمسة أفجرة فزاد فيه يوم الشرب قال وهو أعظمها يوماً
وفيه قيد حرب وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا فسموا
العنابس (٤) استظهر الحلبي في سيرته ان حرب الفجار لم تكن في الشهر
الحرام بل كانت في شوال وقيل في شعبان (٥) أنبل على عمومتى أى أرد
عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها

عمره وأهله النبيل وعمره يومئذ عشرون سنة وطمعن عليه السلام أبا براء ملاعب الأُسنة وسئل عن مشهده يومئذ فقال (ما سرتني اني لم أشهده انهم تعدوا على قومي عرضوا عليهم ان يدفعوا اليهم البراض صاحبهم فأبوا)

ولقد رد الجاحظ في الحيوان على من يعترض كون النبي شهد هذه الحرب بقوله (ولا يزال الطاعن بقول قد علمنا ان العرب لم يسموا حروب ايام الفجار بالفجور وفريشا خاصة الا ان القتال في البلد الحرام كان عندهم فجورا وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وآله وهو ابن أربع عشرة سنة وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً . وقال شهدت الفجار فكنت أنبل على عموهني (وجوابها في ذلك) ان بي عامر بن صعصعة طالبوا أهل الحرم من قريش وكنانة بحريرة البراض بن قيس في قتله عروة الرحال . وقد علموا انهم يطالبون من لم يجن ومن لم يعاون وان البراض بن قيس كان قبل ذلك خابعا مطرودا فأتوهم الى حرمهم يلزمونهم ذنب غيرهم فداوموا عن أنفسهم وعن أموالهم وعن ذراريتهم والفاجر لا يكون المسعى عابه . ولذلك أشهد الله تبارك وتعالى نبيه عابه الصلاة والسلام ذلك الموقف وبه نصرنا كما نصرت العرب على فارس يوم ذي قار به عليه الصلاة والسلام ومخرجه)

وخالف السهيلي الجاحظ فانكر قتال النبي فيها بقوله « وانما لم ينازل رسول الله مع أعمامه وكان بذل عليهم وقد كان بلغ من القتال لأنها كانت حرب فجار وكانوا أيضا كاهنهم كفارا ولم بأذن الله تعالى لمؤمن الرب ينازل الا لتكون كلمة الله هي العليا » وانى لأعجب من السهيلي في قصره المقاتلة على الرمي بالسهم أو الطعن بالرمح مع ان من كان بذل على المقاتلة مشترك في القتال ومعين عليه . ودعواه ان الله لم بأذن لمؤمن في القتال الا لأغلاء كلمته مردودة لأن القتال كما يكون لذلك يكون لدفع الظلم والفساد

وكون الأشهر الحرم أربعة كما قدمنا مذهب أكثر العرب ومنهم قوم لم يقنوا عند شريعة ابراهيم فتجاوزوا حدود الله وزادوا في الدين فجعلوا الأشهر الحرم ثمانية وهو (البسل) قال في القاموس البسل ثمانية أشهر حرم

كانت لقوم من غطفان وقيس . وذکر ابن اسحاق بی صفة بن عوف وهم قوم دخلوا فی نسب غطفان فقال وفيهم كان البسل فيما يرعمون بسببهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سمة من بين العرب . قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ولا يدفعونه يسرون به الى أي بلاد العرب شاءوا لا يخافون منهم شيئا:

النسيء

ولما كانت العرب تدين بدين ابراهيم من تحريم الفبال في الاربعة الأشهر الحرم ذى القعدة وذى الحجة والمحرم وشهر رجب وكانوا يخاويعون لشدة الغارات وتلبث الثارات كرهوا بوائى ثلاثة أشهر لا يفرون فيها وأحدثوا النساء وكانوا يسألونهم تأخير حرمة المحرم الى صفر قاله أبو علي القالى في أماليه (١) وقال أبو عبيد أنهم اذا احتاجوا للحرب في المحرم أحروا شهره الى صفر ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى . وكانت النساء من بي فققيم بن عدى بن عامر بن نعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة قال الشاعر .

أزعم انى من فقيم بن مالك لعمري لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسيٌ يعدون تحت لوائه يحل اذا شاء الشهور وبجرم
أما مكان النسيء وذكر انه كان جرة العقبة وكان يقف عندها الناسي
اذا صدر الحاج من منى فيقول اللهم انى ناسي الشهور وواضعها ولا أعاب
فى أمرى ولا يردلى قضاء اللهم انى قد أحللت دماء المحايين من طيبى وحتمهم (١)
ماقتلوهم حيث تقفتموهم — فبسالونه أن يدسهم شهرا فان قال ان آلهتكم قد
(١) عبارته تقضى ان النسيء لا يكون فى رجب لانه فرد وخالفه
الفيروز نادى فى القاموس لقوله (التلمس رجل كنانى من ساء الشهور
كان يقف عند جره العمبة ويقول اللهم انى ناسي الشهور وواضعها مواضعها
ولا أعاب ولا أجاب اللهم انى قد أحللت أحد الشعريين وحرمت صفر المؤجر
وكذلك فى الرجيين يعنى رجبا وشعبان اتقروا على اسم الله)
(٢) أحل دماءهم لأنهم كانوا محايين يعدون على الناس فى الشهر الحرام

أحلت لكم المحرم فأحلوه عقدوا الاوتار وركبوا الازجة واغاروا وان قال ان الهنكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه حلوا الاوتار ووزعوا الاسنة وذكر المقرئى أن الناسى كان يقوم على باب الكعبة اذا فرغت العرب من حجها فيقول لهم : ان آهتكم العزى قد انسأت صفرا الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتيم تلك عبارته فلعل الناسى كان يفسى مرتين مرة عند جرة العقبة وأخرى على باب الكعبة وحصر الماسئين ابن هشام فقال وكان أول من نسا الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القامس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عادى بن عامر ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم قام بعد عباد قلع (١) بن عباد ثم قام بعد قلع أمية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن أمية ثم قام بعد عوف أبو ثامة جنادة بن عوف وكان آخرهم . وعليه قام الاسلام . فجمعهم ستا يقوم الولد بالامر بعد والده

وذهب المقرئى الى أن أول ناسى سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك ابن كنانة ثم من بعده ابن أخيه القامس وهو عادى بن عامر بن ثعلبة ثم صار النسى فى ولده الى آخرهم أبو ثامة جنادة بن عوف . وذكر أبو بكر الانبارى ان من النساء نعيم بن ثعلبة وتعبه السهيلي بان هذا ليس بمعروف وفى صبح الاعشى ان أول من نسا النسى عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة (٢) ولقد أكثر الشعراء من بنى كنانة الافتخار بالنساء من ذلك قول بعضهم — ومننا ناسى الشهر القامس — وقال غيره

سئوا الشهور بها وكانوا أهلها من قبلكم والعلم يتحول

وقال عمير بن قيس جذل الطعان الكنانى

(١) نقل السهيلي عن ابن الكلبي انه قال فنسا قلع بن عباد سبع سنين ونسا بعده أمية بن قلع احدى وعشرين سنة ثم نسا من بعده جنادة وهو القامس أربعون سنة (٢) جميع من ذكر النسى بهذا المعنى جعل النساء من بنى كنانة فلعل عمرو بن لحي مبتدع النسى بمعنى تأخير الحج عن وقته

أقمت معدان قومي كرام الناس ان لهم كراما (١)
فأى الناس فاتونا بوتر وأى الناس لم نملك لجاما (٢)
أسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما

وهناك نوع ثان من النسب، وهو تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية لأن وقت الحج في دين ابراهيم في شهر ذى الحجة . وهو شهر هلالى يدور في كل فصل من فصول السنة . فأرادوا وقوع حجهم حين يعتدل الزمان وتدرك الفاكهة والغلال ليأدوا مناسكهم ويتجروا ببصائغهم فقد كانت تقام في أشهر الحج ثلاث أسواق كبرى حجة بالظهران وعكاظ بين نخلة والطائف تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما وذو الجاز بالجانب الايسر من عرفة على فرسخ منها وتنقضى اليوم الثامن من ذى الحجة فأخروا الحج في كل سنة احد عشر يوما لموافقة السنة الشمسية فسنوا المحرم الى صفر وصفرا الى ربيع الاول وهكذا فوقع الحج في السنة الثانية في عاشر المحرم وصار في اعتبارهم ذا الحجة وآخر شهور السنة وصار في السنة محرمان ثانيهما للنسب وصارت عدة الشهور ثلاثة عشر ثم بعد مرور سنتين أو ثلاث نقلوا الحج للشهر الذى يليه . فكانوا يديرون النسب على جميع شهور السنة فيكون لهم في سنة صفران وفي أخرى ربيعان وهكذا وهذا مصداق قول مجاهد كانت الجاهلية يحجون في كل شهر من شهور السنة وفي الملل للشهرستاني ، كانوا يكبسون في كل عامين شهرا وفي كل ثلاثة أعوام شهرا . وكانوا اذا حجوا في شهر من هذه السنة جعلوا يوم التروبة (٣) ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذى الحجة فيكون يوم النحر عاشر ذلك الشهر

وانكر المرحوم محمود باشا الفلكى معرفة العرب للنسب بهذا المعنى وقد

(١) أى ان لهم آباء كراما واخلاقا كراما (٢) تقول اعلمت الفرس لجامه

اذا رددته عن تنزعه فمضع اللجام كالملك من نشاطه يعنى أى الناس لم يسكنهم كما تكف الفرس بالاجام (٣) هو اليوم الثامن من ذى الحجة

نقص دليله عند الكلام على علم الفلك من كتابي (علوم العرب في الجاهلية)
ومن لطيف الاشارات في الردغايه ما نقله السهيلي عن شيخه أبي بكر في قوله
تعالى (يسئلونك عن الأهله فل هي موافيت للناس والحج) قال « وحص الحج
بالذكر دون غيره من العبادات الموقفة بالاوقات بأ كيدا لا اعتباره بالأهله
دون حساب الاعاجم من أجل ما كانوا أحدنوا في الحج من الاعتبار بالشهور
المعجميه » . ومد حرم الله نوى النسيء ان قوله عليه السلام في خطبة حجة الوداع
« ان الزمان قد ابدار كبريائه يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر
شهرًا - منها أربعة حرم ثلاثة من ايات دو الفعدة وذو الحجة والحرم . ورجب
مصر (١) الذي بين جمادى وشعبان ثم تلا قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهرًا (٢) في كتاب الله يوم حاق السموات والارض منها أربعة حرم
ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم . وقالوا المشركين كافة كما يقابلونكم
كافة واعصوا الله مع المقيمين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما (٣) ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا
ما حرم الله (٤) رين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين
والمعنى ان عدد الحج في ذي الفعدة وبطل النسيء بنوعيه لما في أحدهما
من كون السنة ثلاثه عشر شهرًا ولما في الثاني من عدم توالي الثلاثة الاشهر الحرم

(١) قال الموهبي فانوا كان بين بني مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب
فكانت مضر تجعل رجبًا ما بين جمادى وشعبان وكان ربيعة تجعله رمضان
وهذا أصابه النبي الى الله . وقال السهيلي انما قال رجب مصر لان ربيعة كانت
تحرم في رمضان وتسميه رجبًا من رجب الرحل ورجبته اذا عظمته (٢) أي
لا ثلاثة عشر شهرًا كما كانوا يفعلون لموافقة السنة الشمسية (٣) أي يحلون
الشهر من الاشهر الحرم عاما ويحرمونه عاما . وهذا يصدق على النسيء بنوعيه
(٤) يواطئوا أي يوافقوا والمعنى ليوافقوا العدة التي هي الاربعة وفاتهم
التخصيص الذي هو أحد الواجبين

الحج - أحكام الاحرام به ^(١) الحس

فرض حج البيت في دين ابراهيم وأمر بتبليغه فنأدى أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج و معه اسماعيل حجة كحجة الاسلام وقد ذكر ابن الأثير في الكامل كيفية حجه فقال . ثم خرج ابراهيم باسما عيل معه الى التروية فنزل به منى . ومن معه من الممسينة فوالى بهم الظهر والمصر والمغرب والعشاء الاخرة . ثم بات حتى أصبح فوالى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والمصر . ثم راح بهم الى الموقف من عرفة الذي يقذف عليه الامام فوقف به على الأراك (٢) فلما غربت الشمس دفع به ومن معه منى أتوا المزدلفة لجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الاخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قزح حتى اذا أسفد دفع به ومن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجرة وأراه المنحرف ثم نحر وحاق وأراه كيف يلوغ ثم عاد به الى منى ليريه كيف رمى الجمار حتى فرغ من الحج . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل هو الذي أرى ابراهيم كيف يحج

تلك عبارة ابن الأثير ومقتضى ما أن السلوات الخمس شرعت في دين ابراهيم ولم أر غيره نقل ذلك الا أن التروية ذكر في شرح مسلم أن المزدلفة سميت يجمع لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء ومقتضى ما أنهم كانوا يمسكها لأن علة التسمية تبقاها فذكرت في ذلك في الجاهلية . وقد كانت العرب تحج بيت الله الحرام مباشرة أو ركباناً ومنها من كان ينذر حجه لقول أبو طالب

ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل (٣)

(١) الاحرام بالحج الدخول في اعماله لان الحاج يحرم على نفسه أشياء من الحلق وتقليم الاظفار ومباشرة النساء وقتل الصيد وغير ذلك ويقابله الاحلال (٢) الأراك كسحاب موضع بعرفة قرب نمرة (٣) روى السيوطي في اسباب النزول عن مجاهد قال . كانوا لا يركبون ورخص لهم فيه بقوله تعالى « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

ومنهم من كان لا يتكلم في الحج تقرباً لله تعالى روى البخارى في صحيحه بسنده عن قيس بن أبى حازم قال دخل أبو بكر على امرأة من أحبس يقال لها زينب فرأها لا تكلم فقال ما لها لا تكلم قالوا حجت مصممة . قال لها تكلمي فان هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت وهم ينقسمون بالنسبة لأعمال الحج ثلاثة أقسام .

القسم الاول : من كانوا على دين ابراهيم لم يبدلوا فيه وحج هؤلاء موافق لما كان عليه أسلافهم الى زمن ابراهيم

القسم الثانى من بدلوا دين ابراهيم فأدخلوا عليه تعظيم الاصنام وهؤلاء خلطوا أعمال الحج المشروعة فى دين ابراهيم بالتقرب للاوثان من الاهلال بالحج عندها أو التحليل لديها أو غير ذلك

القسم الثالث : من ميزوا أنفسهم عن سواهم فلم يشتركوا مع غيرهم فى كل أعمال الحج كما فعلت قريش ومن تبعهم فى رأيهم وامتازوا بأمر ابتدعوها فسموا حمسا (١) وغيرهم الحلة فقسموا العرب بفعلهم الى حلة وحمس . وبين ابن اسحاق . ادعا قريشا لا بتداع النحمس فقال

وقد كانت قريش لا أدري قبل الفيل أو بعده (٢) ابتدعت رأى الحمس رأياً رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحرمه وولاية البيت وقطان مكة وساكنوها . فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا . ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا . فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بجرمتكم . وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب

(١) فى القاموس الحمس لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم فى دينهم أى شددهم أو لالتجائهم بالحمساء وهى الكعبة لان حجرها ابيض الى السواد (٢) ذهب ابن الاثير الى ان قريشا ابتدعوا رأى الحمس بعد الفيل

أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها . الا انهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن المحس - والمحس أهل الحرم - ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم . وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك »

ومن المحس أيضا جديلة قيس كما حكاه النووي . وقال أبو عبيدة النحوي أن بنى عامر بن صعصعة تبعوا قريشاً في رأى المحس . وذكر ابن العربي أن منصور بن عكرمة تزوج حفصة بنت سلمى بنت ضبيعة بن علي بن يعصر بن قيس بن عيلان فولدت له هوازن فرض مرضا شديدا فنذرت سلمى لن بنى برى لتحمسنه فاما برى حمسته وعليه فهوازن من المحس أيضا

وروا أن الرجل من أهل الجاهلية اذا أحرم تقلد قلادة من شعر فلا يتعرض له أحد . فاذا حج وقضى حجه تقلد قلادة من اذخر . وقيل كان الرجل يقلد بعيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف من أحد ولا يتعرض له أحد بسوء

وعن قتادة في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد قال جعلها حواجز وأبقاها الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يتعرض له ولم يقربه وكان الرجل اذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحتمته (١) ومنعته من الناس وكان اذا نفر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء الشجر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية

قال ابن عباس رضى الله عنه وكان ذو المجاز وعكاظ متجراً للناس في الجاهلية فلما جاء الاسلام كأنهم كرهوا ذلك ظناً منهم انها تحل باخلاص العمل حتى نزل قوله تعالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم »

(١) أحتمته جعلته حتى لا يقرب

ومنهم قوم استحبوا الحج بلا زاد وقالوا نحن المتوكلون وكانوا يضيفون على الناس (١) حتى نزل قوله تعالى « وتزودوا فان خير الزاد التقوى »
وابتدعت الحس في الحج من باب التزهّد والتأله أشياء حكاه ابن العربي من حديث ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال فلم تكن نساء الحس ينسجن ولا يفرزن الشعر ولا يسلأن السمن (٢) اذا أحرمن . وكانت الحس اذا أحرموا لا يأقطنون الاقط ولا يأكلون السمن ولا يسلثونه ولا يمحضون اللبن ولا يأكلون الزبد ولا يابسون الوبر ولا الشعر ولا يستظلون به ماداموا محرمن ولا يفرلون الشعر ولا الوبر ولا ينسجونه وانما يستظلون بالأدم .
ولا يأكلون شيئاً من نبات الحرم وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ولا يخفرون فيها بدمه ويطوفون بالبیت وعليهم ثيابهم . وكانوا اذا أحرم الرجل منهم في الجاهلية وأول الاسلام فان كان من أهل المدر بعنى من أهل البيوت والقرى نقب نقباً في ظهر بيته فنه يخرج ولا يدخل من بابه وكانت الحس اذا أحرمت وأرادت دخول بيتها تسورت من ظهور البيوت وأدبارها ويحرمون الدخول من أبوابها حتى يمّث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فاحرم عام الحديبية ودخل بيته من بابه . وكان معه رجل من الانصار فوقف بالباب فقال له ألا تدخل فقال الانصارى أنا أحس يارسول الله فقال رسول الله وأنا أحس دينى ودينك سواء فدخل الانصارى مع رسول الله لما رآه دخل بابه . فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) . وخالف التبريزى في شرح حماسه أبى تمام . فقال (وكان الرجل اذا أحرم قبل الحج فان كان من اهل المدر اتخذ نقباً في ظهر بيته فنه يدخل ويخرج ولا يدخل من باب بيته ولا يخرج منه ويتخذ سهله يصعد فيه وينحدر . وان كان من أهل الوبر دخل من خلف البيت الا أن يكون من الحس فدخل رسول الله وهو محرم من باب بنى بنيانا واتبعه رجل من أهل الاسلام يقال له قطبة بن عامر أحد بنى سلمة ولم يكن من الحس فدخل

(١) ضفته أضيفه نزلت عليه ضيفاً (٢) سلاء السمن طبخه وعلاجه

معه فأذكر ذلك عليه وقال اجتنبني فانك محرم وقد دخلت من الباب فقال
يارسول الله وأنت محرم فقال له انى أحس فقال الرجل ان كنت أحسبنا فانى
أحسبى رضيت بهديك وسنتك ودينك فنزل وليس البر بأن تأتوا البيوت من
ظهورها الآية)

فأنت ترى ان بين عبارتهما اختلافا ظاهرا فقد ذهب ابن العربى الى ان
الحمس لا يدخلون البيوت ولا يخرجون منها من أبوابها وناقضه التبريزى فأجازه
للحمس كما اختلفا فى سبب نزول الآية فجعل التبريزى النبى منكر على الرجل
متابعته فى دخول البيت من بابه لانه أحس والرجل ليس بأحس وجعله ابن
العربى آمرا له بأن يتابعه فى الدخول . وبالرجوع لتفسير ابن جرير الطبرى ترى
الروايات مختلفة هذا الخلاف أيضا . ونحن اذا رجحنا رواية ابن العربى بأن
قريشا أولى بتحريم دخول البيوت من أبوابها لانهم اخترعوا النحمس فى
الدين وهو التشدد وفى هذا من التشدد ما فيه وجدنا رواية التبريزى يرجحها
أن قريشا كانت ترى نفسها معزوزة الجانب عند الله لا يحول بينها وبين الرحمات
التي تنزل من السماء سقف ولا غيره حتى سموا أنفسهم آل الله ولا كذلك غيرهم
ويناسب هذا انها لا تحرم كغيرها دخول البيوت من أبوابها فى حج ولا عمرة
لمكانها من الله ويعززه رواية الزهرى ان ناسا من الانصار اذا أهلوا بالعمرة
لم يحل بينهم وبين السماء شىء يخرجون من ذاك فلا يدخل أحدهم من باب
الحجرة من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء وكانت الحمس لا يباليون
ذلك . وحسبنا فى الكلام على أديان العرب ونحلهم ان هذا مذهب قوم من
العرب فى حجهم وعمرتهم . وللکلام على الحمس بقية تذكر عند الكلام على
الطواف بالبيت والوقوف بعرفة

قال الجاحظ فى الحيوان : وكانوا فى الاحرام يابدون شعورهم . والتلبيد
أن يأخذ شيئاً من خطمى وآس وسرو وشيئاً من صمغ فيجعله فى أصول
شعره وعلى رأسه كى يتلبد شعره ولا يفرق ويدخله الغبار ويختم فيقمل
قال شاعرهم

يارب رب الراقصات عشية بالقوم بين منى وبين ثبير (١)
وحف الرواح تراقصت تمشى بهم يحملن كل ملبد مأجور (٢)
وكانوا فى الاحرام يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل . قال عبد الله بن
المجلاان النهدي

انى وما مار بالفريق وما قرقر بالجلهتين من شرب (٣)
من شعر كالليل ينبذ بالقم ل وما مار من دم سرب (٤)
وقال أمية بن أبى الصلت
ساجى أياظهم لم ينزعوا تمثا ولم يسألوا لهم قلا وصئبانا (٥)

التلبية - الطواف بالبيت - السعى - الوقوف بعرفة

كانوا يهللون ويلبون فى الحج وشاهد التهليل قول نبيه بن الحجاج

انى والذى يحج له شم ط اباد وهلموا تهليلا (٦)
ومبيتا بذى المجاز ثلاثا ومتى كان حجنا تحليلا (٧)

وشاهد التلبية قول ابى المنذر « وكانت نزار تقول اذا ما أهلت لبيك اللهم
لبيك . لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . فيوحدونه
بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون مآكها بيده . قال تعالى (وما يؤمن

(١) الراقصات الابل تسير الخبيب و (ثبير) جبل بجوار مكة (٢) وحف
الرواح الوحف الاسراع و (الرواح) العشى أو من الزوال الى الليل اى مسرعة
ذلك الوقت (٣) مار الشعر تحرك و (الفريق) الطائفة من الناس أكثر من
الفرقة ويريد جماعة الحاج و (ماقرقر) أى وبعير هدر و (جلها الوادى) جانباه
و (من شرب) أى من عطش وفعله شرب كفرح (٤) مار الدم جرى
و (سرب) جار (٥) ساجى فعله سجا سجا سجا سجا سجا سجا سجا و (أياطل) جمع
أياطل و الاياطل الخاصرة و (التفث) فى المناسك الشعث وما كان من نحو قص
الافطار والشارب و تتف الابط وغير ذلك و (الصئبان) بيض القمل مفردة
الصئابة كغرابة (٦) هلى قال لا اله الا الله (٧) التحليل يستعمل فى كل

أكثرهم بالله الا وهم مشركون) اى ما يوحدوننى بعرفة حتى الا جعلوا معى شريكا من خلقى . وكانت تلبية عك اذا خرجوا حجاجا قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم فكانا امام ركبهم . فيقولان - نحن غرابا عك (١) - فتقول عك من بعدهما

عك اليك طانيه عبادك اليمانيه

كيا نحبج الثانيه

وكانت ربيعة اذا حجت فقضت المناسك ووقفت فى المواقف نفرت فى النفر الأول ولم تقم الى آخر التشريق . « وروى مسلم ان ابن عباس قال (كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله . ويلكم قد. قد (٢) فيقولون الا شريكا هولاك تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت) ولما جاء الاسلام عدل المسلمون عما يدل على الشرك الى غيره حتى هداهم الدين لما يقولون قال عمرو بن معديكرب : الحمد لله لقد رأيتنا من قريب ونحن اذا حججنا نقول :

لبيك تعظيما اليك عمرا نقدوا بها مضمرات شذرا (٣)

قد تركوا الاوطان خلوا صفرا

ونحن نقول اليوم كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وكان لا يشرك فى تلبيته مع الله أحدا من كان على دينه السماوى وجانب الاوثان مثل زيد بن عمرو بن نفيل فلقد كان يستقبل الكعبة ويقول :

لبيك حقاً حقاً تعبدا ورقا

عدت بما عاذبه ابراهيم مستقبلا القبلة وهو قائم اذ قال

شىء لم يبالغ فيه (١) أغربة العرب سودانهم (٢) قد . تكون اسما بمعنى حسب أو اسم فعل بمعنى يكنى أو كنى (٣) العمر بالفتح وبالضم وبضمين الحياة أى طول الحياة و(الضمير) بالضم وبضمين الهزال و(الشذر) النظر عن يمين وشمال وشذّر جمع شذراء

أنفى لك اللهم عان راغم مهما نجشمى فانى جاشم (١)
السر انفى لا الخال ليس مهجر كمن قال (٢)
وكاوا فى الجاهلية يطوفون فى الحج بالبيت الحرام (٣) قال مضاى بن عمرو بن الحارث الجرهمى
ونحن وليما البيت من بعد نابت يطوف بذلك البيت والخير حاضر (٤)
وبجماون ذوافهم سبعا قال حسان بن سبيع
ثم طمنا بالبيت سبعا وسبعا وسجدنا عند المقام سجودا
وفى قول حسان وسجدنا عند المقام سجودا دليل على احترامهم مقام ابراهيم
وتقديسه وقد افسم به ابو طالب فى قوله
وموطى ابراهيم بالصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل
ولم تكن عمادة الطواف بالبيت عندهم مقصورة على فريضة الحج .
وكانوا يتسحون بالحجر الاسود وشاهده قول ابى طالب
وبالحجر الاسود اذ يسحونه اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل (٥)

(١) رغم أنفه ذك و (نجشمى) تكلفى على مشقة (٢) فى رواية : البر أبى
و (الخال) الخيلا والكبر و (هجر) مثنى فى الهاجرة اى ليس من هجر
وذكس كمن آثر الفائلة واليوم (٣) قال صاحب كتاب حجة الله البالغة فى
سر احترام البيت « واما الكعبة فكان الناس فى زمن ابراهيم عليه السلام
نوغبوا فى ماء المعابد والكنائس باسم روحانية الشمس وغيرها من الكواكب
وحدهم التوحيد الى مجرد غير الحسوس بدون هيكل يبنى باسمه يكون
الخلول فيه والناس به نفرا منه امرأ محالا تدفعه عقولهم بادی الرأى
فاسوجب أهل ذلك الزمان أن يظهر رحمة الله بهم فى صورة بيت يطوفون
به ويصربون به ان الله فدعوا الى البيت وتعظيمه ثم نشأ قرن بعد قرن على
علم ان اعظييه مساوق لمعظيم الله والتفريط فى حقه مساوق للتفريط فى حق
الله فعند ذلك وجب حجه وأمروا بتعظيمه (٤) كانت ولاية البيت لنابت
من بعد اسماعيل ثم سارت بعد لجره (٥) قال السهيلي قوله بالحجر الاسود

ومن العرب من كان يطوف بالبیت عارياً حکى ابن هشام فى سيرته وابن العربى أن قریشاً لما ابتدعت رأى الحمس قالوا لا ينبغى لاهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا حججاً أو عمارة ولا يطوفوا بالبیت اذا قدموا أول طوافهم الا فى ثياب الحمس يستعبرونها منهم للطواف بها حتى انهم كانوا يقفون عند باب المسجد فيقولون للحمس من يعبر معونا من يعبر مصوننا فان أعاره أحس ثوبه طاف به فان لم يجدوا طافوا بالبیت عراة فان أنف منهم أحد من رجل أو امرأة أن اطوف عرباناً اذا لم يجد ثياب الحمس فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل القاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسه هو ولا احد غيره ابداً وكانت العرب تسمى هذه الثياب اللقى - قال شاعرهم يذكر شيئاً تركه من ثيابه فلا يقربه وهو بحمه كفى حزناً كرى عليها كأنها لقى بين أندى الطائعين حريم (١)

فكان رجال الحل اذا لم يعرهم الحمس ثوباً طافوا عراة اما النساء فكانت أحدهن تضع ثيابها كلها الا درعاً مفرجاً ثم تطوف فالت صماعة (٢) بنت عامر ابن صعصعة ثم من بنى سامة بن قشير وهى تطوف بالبیت كذلك اليوم يبدو بعضه أو كاه وما بدا منه فلا أحله (٣)

وروى مسلم بسنده عن هشام عن ابيه قال كانت العرب تطوف بالبیت عراة الا الحمس - والحمس قریش وما ولدت - كانوا يطوفون عراة الا ان اعطيهم

فيه زحاف يسمى الكف وهو حذف النون من مناعيلين وهو بعد الواو من الأسود و (الاصائل) جمع أصيلة والاصل جمع اصيل والاصيلة لغة معروفة فى الاصيل وهو ما بعد صلاة العصر الى الغروب (١) حريم أى محرم لا يؤخذوا ينتفع به (٢) ذكر محمد بن حبيب ان رسول الله خطبها فذكرت له عنها كبرة فتركها فقليل انهما ماتت كمدا وحزنا على ذلك قال السهيلي : ان كان صح هذا فما أخرها عن أن تكون اما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين الا قولها (اليوم يبدو بعضه أو كاه) تكرمة من الله لنبيه وعلماء منه بغيرته والله أغير منه (٣) رواية . وما بدا منه فما أحله

الحمس ثيابا فيعطى الرجال الرجال والنساء النساء — فانزل الله على رسوله فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين »

على أن من العرب من كان يطوف بالبيت مكشوف السوأة في غير الحج لغرض يقصده فمن ذلك ما ذكره البغدادي في خزائن الادب قال : مرض أبو جندب وهو شاعر جاهلي وكان له جار من خراة اسمه خاطم فقتله زهير الاحياني وقتلوا امرأته فلما برى أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف فعرف الناس أنه يريد شرا فقال انى امرؤ أبكى على جاريه أبكى على الكعبي والكعبيه ولو هلكت بكيا عليه كانا مكان الثوب من حقويه

فاما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته خرج في الخلاء من بكر وخزاعه فاستجاشهم على بني لحيان فخرجوا معه حتى صبح بهم بني لحيان في العرج فقتل فيهم وسي من نسائهم وذرايرهم

وقد أمسك رسول الله عن الحج حين قدم من تبوك لما ذكر مخالطة المشركين للناس في حجهم وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت وبعث ابا بكر بسورة براءة لينبذ الى كل ذى عهد عهده من المشركين الا بعض بني بكر الذين كان لهم عهد الى أجل خاص ثم أردف بعلى . قال أبو هريرة فأمرنى على أن أطوف في المنازل من منى ببراءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى (١) فقيل له بم كنت تنادى فقال بأربع الا يدخل الجنة الا مؤمن والا يحج بعد هذا العام مشرك والا يطوف البيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له — وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلى سترون بعد الأربعة أشهر بأنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن

(١) صحل صوته بح . رووا أنه انما أرسل علياً بذلك لان العرب لاتعتد

برسالة الامير الا اذا كان المرسل بها من أهله

والضرب ثم ان الناس في تلك المدة رغبوا في الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا
وكرها و حج رسول الله في العام القابل و حج المسلمون وقد عاد الدين كله
لله رب العالمين

لقد عانت انقسام العرب بالنسبة للطواف في ثيابهم الى حلة و حمس قال
محمد بن حبيب - وهناك نوع ثالث وهم الطلس كانوا يأتون من أقصى اليمن
طلسا من الغبار فيطوفون البيت في تلك الثياب الطلس فسموا بذلك

اما الرمل (١) في الثلاثة الاشواط الاولى من الطواف بالبيت والاضطباع (٢)
فيه فهو من سنن الاسلام وأصله ان النبي رمل و ندب أصحابه اليه لظهار
الجلد للمشركين وابداء القوة لهم فانه لما قدم مكة اصطفت كفار قريش عند
دار المدوة ينظرون له و لأصحابه ويستضعفونهم ويقولون أوهنتهم حتى يثرب
فلما دخل رسول الله المسجد اضطبع بردائه و رمل . و مقتضاه عدم سنيته
بعد أن أظهر الله الاسلام لكن ثبتت سايته بما روى عن ابن عمر أنه قال كان
رسول الله اذا طاف بالبيت الطواف الاول خب ثلاثا و مشى أربعاً و كذا أصحابه
رملوا من بعده و كذا المسلمون الى يومنا هذا فصار الرمل سنة متواترة

وكانوا في الجاهلية يسمون بين الصفا والمروة وشاهده قول أبي طالب
واشواط بين المروتين الى الصفا وما فيهما من صورة و تماثيل (١)

وكان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة - وها صنان فكانوا يسمون
بينهما ويتمسحون بهما وكان عمرو بن لحي نصب مناة بالمثل مما يلي قديدا

(١) الرمل الهرولة في السير (٢) والاضطباع ان يدخل الرداء من تحت
ابطه الأيمن ويرد طرفه على يساره ويسدى منكبه الأيمن ويغطي الأيسر
سمى اضطباعا لما فيه من ابداء الضميين وها المضدان

(١) ثنى المروة وهي واحدة جريا على مذهب العرب كقول الفرزدق
عشية سال المربدان كلاهما - وانما عو مربد البصرة وقولهم نسألني برامتين
سلجما والعرب يشيرون بالثنوية الى جانبي المكان المنى أو الى أعلاه وأسفله
فيجمعونها اثنتين على هذا المغزى و(تماثل) جمع تماثل وأصله تماثيل فحذف الياء

وكانت الارد والانصار وغمسان تهل لها بالحج وكان من أهل لمناة لا يحل له ان يطوف بين الصفا والمروة فها جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لما كان من فعل الجاهلية فانزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) . وروى مسلم بسنده عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئاً وما أبالي الا أطوف بينهما . قالت بئس ما قلت يا ابن أخي طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف المسلمون فكانت سنة وانما كان من أهل لمناة الطاغية التي بالمشال لا يطوفون بين الصفا والمروة فلما كان الاسلام سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما « ولو كان كما نقول لسكانت فلا جناح عليه الا يطوف بهما . قال الزهري : فذكرت ذلك لابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فاعجبه ذلك وقال ان هذا العلم

ويظهر ان مرتبة اساف ونائلة في الالوهية عندهم دون مرتبة مناة فلذلك لم يجزوا لمن أهل لمناة ان يسمى بينهما ويتمسح باساف ونائلة المنصوبين عليهما وكانوا يتقفون في الجاهلية بعرفة في الحج قال العدوي واقسم بالبيت الذي حجت له قريش وموقف ذي الحجاج الال (١) وقول المابغة الديباني

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأتمن ذو أمة وهو طائع (٢)
بمسطحبات من لصف وثيرة يزرن الا لا سيرهن التدافع (٣)
وقال أبو طالب

(١) الال كسحاب وكتاب جبل عن يمين الامام بعرفة سمي بذلك لان الحجيج اذا رأوه ألوا في السير أي اجتهدوا ليدركوا الموقف (٢) الريبة الشك و (ذو أمة) بالضم والكسر ذو دين واستقامة (٣) لصف وثيرة موضعان اقسام بالابل التي يمتطيها الحجاج الى مكة تعظيما لها و (سيرهن التدافع) اي من الاعياء يعني يتعاملن تحاملا من الجهد والتعب

وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له الال الى مفضى الشراج القوابل (١)
وكان وقوفهم يوم ناسع الحجة

وكانت قريش ومن تبع دينها حين ابتدعت رأى الحمس تقف بالمشعر الحرام
وهو جبل بالمزدلفة يقال له قزح (٢) ولا تجاوز المزدلفة الى عرفة كسائر الناس
فقد قالت قريش نحن ولاة البيت وسكان الحرم فلا يحل لنا تعظيم شىء من
الحل كتعظيم الحرم لئلا نستخف العرب بحرمننا وتركوا لذلك الوقوف بعرفة
والإفاضة منها لان عرفة من الحل وهم يعرفون انها من المشاعر والحج ودين
ابراهيم ويرون لسائر العرب الوقوف بها والإفاضة منها فلما حج النبي عليه
السلام حجة الاسلام ظنت قريش انه سيقف بالمشعر الحرام كعادتهم ولا
يتجاوزه فتجاوزه الى عرفات

وأزل الله في ابطال ما أحدث الحمس من ترك الوقوف بعرفة « ثم أفيضوا
من حيث أفاض الناس » (٣)

ولقد طهر الله نبيه في الجاهلية من صنع الحمس ووقفه لدين ابراهيم . روى
مسلم في صحيحه عن جبير بن مطعم قال أضللت بعيرا الى فذهبت أطالبه
يوم عرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا مع الناس بعرفة (٤)
فقلت والله ان هذا لمن الحمس فما شأنه هاهنا . وكانت قريش بعد من الحمس
وكانوا يذفمون من عرفات قبل الغروب . قال صاحب كتاب حجة الله
البالغة . (ولما كان ذلك قدراً غير ظاهر ولا يتعين ومثل هذا الاجتماع لا بدله

(١) المشعر الاقصى عرفة والال جبل بعرفة فهو بدل بعض من كل
(الشراج) جمع شرج وهو مسيل الماء و (مفضى الشراج) تجمعها و (القوابل)
المتقابلة كناية عن اجتماع الناس في مكان واحد وهو عرفة (٢) فيل أن المشعر
الحرام كل مزدلفة (٣) الخطاب في أفيضوا لقريش ومن دان دينهم والمراد
بالناس من عداهم من سائر العرب أمرهم ان يفيضوا من عرفات وهو يقتضى
تكليفيهم بالوقوف عليه ليتمكن الإفاضة منه (٤) روى الترمذى أن حجج
النبي اثنتان بمكة قبل الاسلام والثالثة بالمدينة وهى حجة الوداع

من تعبين وجب أن يعين بالغروب) وكان الذي يلي الاجازة للناس بالحج من
عرفة الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وولده من بعده
ويقال له ولولده صوفة (١) وكانت ولايته من قبل ملوك كندة كما نقله
بعضهم . وذهب ابن هشام الى انه انما ولى ذلك لان أمه وكانت امرأة من
جرهم كانت لا تلد فنذرت لله ان هي ولدت رجلاً أن تصدق به على الكعبة
ليكون عبداً لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة
في الدهر الاول مع اخواله من جرهم فولى الاجازة للناس من عرفة لمكانه
الذي كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا . قال مر بن أديك
ولده الغوث ووفاء نذر أمه

انى جعلت رب من بنيه ربيطة بمكة العلية (٢)

فباركن لى بها اليه واجعله لى من صالح البرية

وكان الغوث بن مر فيما زعموا اذا دفع بالناس قال

لاهم انى تابع تباعه ان كان اثم فعلى قضاءه

قال السهيلي « وانما خص قضاة بهذا لان منهم محلين يستحلون الاشهر

الحرم كما كانت خثعم وطبيء تفعل . وكذلك كانت النساء تقول اذا حرمت
صفراً أو غيره من الاشهر بدلاً من الشهر الحرام يقول قائلهم قد حرمت

(١) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت

شيئاً من غير أهله أو قام بشئ من خدمة البيت أو بشئ من أمر المناسك يقال

لهم صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة لانه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل

والاسود والاحمر ليسوا من قبيلة واحدة وقال ابن الكلابي . انما سمي الغوث

ابن مر صوفة لانه كان لا يعيش لأمه وولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة

ولتجعانه ربيطاً للكعبة ففعلت فقبل له صوفة ولولده وهو الربيط - وقيل

ان أم الغوث لما ولدته وكانت نذرت ان ولدت غلاماً لتعبدنه للكعبة ربيطته

عند البيت فأصابه الحر ففرت به وقد سقط وذوى واسترخى فقالت ما صار

ابى الا صوفة فسمى صوفة

عليكم الدماء الادماء المحلين « فلما انقرض بنو الغوث عن آخرهم ورثهم من بعدهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم . وكانت الاجازة في آل صفوان ابن جناب بن شجنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم قال ابن اسحاق وكان صفوان هو الذي يجير للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام كرب بن صفوان وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدي

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم (١) حتى يقال أجزوا آل صفوانا

مجد بناه لنا قدماً أوائلنا وأورثوه طوال الدهر اخرانا

وكانت الاجازة من منى لصوفة أيضاً كما سند كره

(النزول بمزدلفة ومنى وبقية أعمال الحج)

كانوا اذا دفعوا من عرفة في الحج باتوا ليلة مزدلفة قال أبو طالب

وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل (٢)

والمبيت بمزدلفة سنة قديمة في العرب وكانوا في الجاهلية يوقدون ناراً

على قزح وهو جبل بمزدلفة ليراه من دفع من عرفة وأول من أوقدها كما

قال السيوطي وغيره قصي بن كلاب ولا تزال توقد الى الآن وكانت الافاصه

من المزدلفة في عدوان لا يدفع الحاج منها حتى يجيرهم رجل من عدوان بن عمرو

ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وفي اجازتهم يقول ذو الاصبغ العدواني

ومنهم من يجيز الناس بالسنة والقرض

روى أن هذه الاجازة كانت لخزاعة فغلبتها عدوان عليها ولم نزل فيهم

يتوارنونها حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام أبو سيارة عميلة بن الاعزل (٣)

(١) المعرف الموقف بعرفات وفي رواية : ولا يرمون في التعريف موفهم

(٢) جمع بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة هي المزدلفة سميت بذلك من

التزلف والازدلاف لان الحجاج اذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا اليها أي تقربوا

قال النووي . سميت بجمع للجمع بين المغرب والعشاء ومقتضاه أن هاتين

الصلاتين كانتا في الجاهلية (٣) كذا قال ابن اسحاق وقال الخطابي اسمه

أحد بنى وايش بن زيد بن عدوان . وكان يدفع بالناس على حمار له اسود أجاز
الناس عليه اربعين سنة حتى ضرب المثل به فقيل (أصح من غير أبي سيارة)
وقيل كانت له أتان سوداء عوراء خطامها ليف دفع عليها أربعين سنة وفيه
يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبي سيارة (١) وعن مواليه بنى فزاره (٢)
حتى أجاز سالما حماره مسنقيل القبلة يدعو جاره (٣)
وكانت اجازته أن يتقدمهم على حماره ثم يخطبهم فيقول
لاهم انى تابع تباعه ان كان ثم فعلى قضاءه (٤)
لاهم مالى فى الحمار الاسود أصبحت بين العالمين أحسد
هلا يكاد ذو البعير الجلعد فق أبا سيارة المحسد (٥)
من شر كل حاسد اذا حسد ومن أذاة النافثات فى المعقد (٦)

اللهم حبب بين نساءنا - وعاد بين رعائنا واحعل المال فى سمحائنا أو فوا
بعهدكم واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يقول

أشرق ثبير كما نغير - ثم ينفر ويتبعه الناس . حكى ذلك الميدانى فى
مجمع الامثال والاصبهانى عن أبى عمرو والشيبانى والسكاكى وقد جمعنا بين أقوالهم
وكانوا فى الجاهلية لا ينفرون من مزدلفة الا والشمس على رؤوس الجبال
ولذلك قال مجيزهم أشرق ثبير كما نغير . وثبير جبل عال بجوار مكة اطلع عليه
الشمس قبل كل موضع أى ادخل يانبير فى الشروق كما نسرع للذحرو لم يقرهم
الاسلام على ذلك فى صحيح البخارى عن عمر انه صلى بجمع الصبيح ثم
وقف فقال ان المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون أشرق

العاصى واسم الاعزل خالد ذكره الاصبهانى (١) روايه : خلوا السبيل
عن أبى سيارة (٢) يعنى بمواليه بنى عمه لانه من عدوان وعدوان وفزاره
من قيس عيلان (٣) أى يدعو الله عز وجل يقال اللهم كن لنا جاراً مما نخافه
أى مجيراً (٤) لان من قضاءه محلين (٥) الكيد المكروه و (الجلعد)
الصلب الشديد و (فق) من الوقاية وهى الصون (٦) الأذاة المكروه

ثبير وان النبي صلى الله عليه وسلم خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس
فاذا أفاضوا من مزدلفة نزلوا منى وفيها كانوا يرمون الجمار وينحرون ويحلقون
فقد كانوا اذا حجوا ساقوا الهدى فان كان من الابل قلدوها النعال والبسوها
الجلال وأشعروها لتعرف (١) فلا يتعرض لها أحد الا المحايين من طيبي، وخشعم
قال عارق الطائي وهو جاهلي يخاطب الملك عمرو بن هند

حلفت بهدى مشعر بكراته يحب بصحراء الغبيط درادقة (٢)
لئن لم تغير بعض ما قد صنعتم لا تتحين العظم ذوانا عارقه (٣)
يقول حلفت أيها الملك بقرايين الحرم وقد أعامت بكراتها بعلامة الاهداء
يسرع بصحراء ذلك الموضع صفارها لئن لم تتدارك ما فاتنا من عدلك لا ميلن
على كسر العظم الذي أخذت ما عليه من اللحم . والمعنى أ كسر عظمكم
ان لم ترجعوا عن ذلك الظلم — وأول من أهدى البدن الى البيت على ما ذكره
السيوطي الياس بن مضر

وينحرون هديهم بمنى قال شاس بن عبدة أخو عاتمة النجل
حلفت بما ضم الحجب الى منى وما تح من نحر الهدى المقلد (٤)
وقدم الشنفرى منى وبها حرام بن جابر فليل لشنفرى هذا قاتل أهلك
(١) التقليد أن تقلد في عنقها قطعة جلد أو نعل بالية و (الجلال) جمع
جل بالضم وبالفتح هو ما تلبسه الدابة لنصان به و (الاشعار) أن يلعن السنام
فيسيل الدم عليه ليستدل بذلك على كونه هديا (٢) الهدى ما يهدى الى الحرم
من النعم و (مشعر) اسم مفعول من الاشعار وتقدم تفسيره و (بكراته)
جمع بكرة وهي الشابة من الابل و (يحب) من الخبب وهو خطو فسيح . والباء
من بصحراء بمعنى في و (الغبيط) اسم موضع و (الدرادق) جمع دردق كجعفر
وهي صفار الابل والضمير في بكراته ودرادقه لاهدى (٣) واتتحن من الاتحاء
للشيء وهو يتعرض له و (ذو) صفة للعظم و (عارقه) اسم فاعل من عرقت العظم
أكلت ما عليه من اللحم (٤) الشج سيلان الدم و (الهدى) كغنى ما أهدى
الى مكة

فشد عليه وقتله ثم سبق الناس على رجله وقال
قتلت حراماً مهدياً بلبد بطن أمني وسط الحجيج المصوت
وقال أبو قيس بن الاسلت من قصيدة يأمر فيها قريشاً بالكف عن رسول
الله ويذكر فضلهم وأحلامهم
رى طالب الحاجات عند بيوتكم عسائب هلكى تهتدى اعصائب
لقد علم الاقوام أن سراتكم على كل حال خيراً هل الجباب
قال البرقي الجباب هي حفر بمنى يجمع فيها دم البدن والهدايا والعرب
تفتخر بها وتمظمها

وكانوا يسوقون الهدى في العمرة أيضاً وشاهده ما روى أن النبي صلى
الله عليه وسلم أحرم عام ست من الهجرة بالعمرة هو وأصحابه وساق معه
الهدى سبعين بدنة وقد جلاها وأشمرها وأشعر المساعون بدتهم وقلدوها وليس
معهم إلا السيوف في القرب سمعت قريش بخروجهم فاستنقروا من أطاعهم
وعاهدوا الله ألا يدخلوا عليهم مكة عنوة أبداً ونزل رسول الله بالحديبية
وهي على تسعة أميال من مكة فأرسلت إليه قريش رسالات طاب منه الانصراف
عن مكة عامه فمضى بمنوا لذلك الخليل بن عاقمة وكان يتأله والمتأله المعظم
لأمر الله كالحج والعمرة ونحو ذلك مما بقى عندهم من دين إبراهيم عليه السلام
فأما رآه رسول الله قال لأصحابه هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في
وجهه فإما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده قد أكل أو باره
من طول الحبس عن محله قال سبحانه الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت
ورجع إلى قريش ولم يأت رسول الله أعظاما لما رأى وصاح قائلاً هلكت قريش
ورب الكعبة أن القوم انما أتوا عماراً وقال لأصحابه رأيت البدن قلدت وأشعرت
فأأرى أن يصدوا عن البيت فقول الخليل هذا يدل على أنهم كانوا يسوقون
الهدى في العمرة أيضاً وكانوا يحلقون رؤوسهم بمنى قال الشاعر
فان تمنعوا منا السلاح فعندنا سلاح لنا لا يشتري بالدرهم

جنادل أملاء الا كف كأنها رءوس رجال حلقت بالمواسم (١)
وقال زهير بن أبي سلمى

فأقسمت جهدا بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادم والقمل (٢)

لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن الى الليل الا أن يعرجنى طمل (٣)

وذكر صاحب تاج العروس في مادة (قرر) ان ابن السكبي قال عيرت هوازن وبنو أسد بأكل القررة . وذلك أن أهل اليمن كانوا اذا حلقوا رءوسهم بمعنى وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق فاذا حلقوا رءوسهم سقط الشعر مع ذلك الدقيق ويجعلون ذلك الدقيق صدقة فكان أناس من أسد وقيس يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون الشعر وينفمون بالدقيق قال الشاعر

ألم تر جرما أنجذت وأبوكم مع الشعر في قص الملبد شارع

اذا قررة جاءت يقول أصب بها سوى القمل انى من هوازن ضارع

ولم تكن العرب قاطبة تحلق رءوسها في منى وشاهده قول ابى المنذر

« ان الأوس والخزرج ومن يأخذ بأخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها

كانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رءوسهم فاذا تقروا

أتوا مناة فحلقوا رءوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما الا بذلك .

فلا عظام الأوس والخزرج يقول عبد العزى بن وديعمة المزني أو غيره من العرب

انى حلقت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج

وكانت العرب جميعاً فى الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعاً الخزرج

فلذلك يقول عند محل آل الخزرج «

وكانوا يرمون الجمار قال ابو طالب

(١) موسم الحج مجتمعة (١) والمنازل من منى حيث ينزل الناس منها

و (سحقت) حلقت . يقال سحق رأسه وسبته وحلطه حلطه ويرى سحقت

بالفاء ومعناه حلقت و (المقادم) جمع مقدم الرأس . وأراد بالقمل الشعر أى

وشعر القمل كقوله تعالى واسأل القرية (٢) لا دأبن من الدؤوب فى السير وقوله

(الا أن يعرجنى طفلى) أراد الا أن تلقى ناقتى ولدها فتحبسنى وأقيم عليها .

وبالجمرة الكبرى اذا صعدوا لها يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وقال الهذلي

لأدركم شعث النواصي كأنهم سوابق حجاج توافي الجمرا (١)
قال ابن اسحاق « كانت صوفة هم بنو الغوث بن مر بن أد بن طابخة
تدفع بالباس من عرفة وتجز بهم اذا تفروا من منى فاذا كان يوم النفر أتوا لرمي
الجمار ورجل من صوفة يرمي للناس لا يرمون حتى يرمي فكان ذوو الحاجات
المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمى معك فيقول لا والله حتى تميل
الشمس فينزل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه
بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرمى
ورمى الناس معه فاذا فرغوا من رمي الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة
بجانبى العقبة حبسوا الناس وقالوا أجزى صوفة . فلم يجز أحد من الناس حتى
يمروا فاذا نفرت صوفة ومنعت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك
حتى انقضوا فورثهم في ذلك آل صفوان بن جباب بن شجنة » وقد أقر قصي
ابن كلاب لما علب على أمر مكة آل صفوان وعدوان والنساء على ما كانوا عليه
لانه كان يراه ديناً . فما زالوا كذلك حتى جاء الاسلام . وروى مجاهد أنهم كانوا
اذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا آباءهم في الجاهلية وفعال آباءهم
فيقول الرجل منهم كان أبي يطعم الطعام ويحمل الحمالات والديات ليس لهم
ذكر غير فعال آباءهم فنهى الله عن ذلك في قوله « فاذا قضيت مناسككم
فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أشد ذكرا »

ثم يختمون أعمال الحج بالطواف بالبيت فاذا فعلوا ذلك حل لهم كل ما كان
محرمًا في الحج ومنهم من كان لا يتحلل بذلك . روى ابن العربي أن قريشاً
وبني كنانة وخزاعة وجميع مضر كانوا يعظمون العزى فاذا فرغوا من حجهم
وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها
ويعكفون عندها يوماً وقال أيضاً ان الازد وغسان كانوا اذا طافوا بالبيت

(١) الجمر مشدد الميم حيث يقع حصى الجمار

وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة التي على ساحل البحر
مما يبلى قديد وكانوا يعظمونها ويحجونها وكانوا يهلون لها ومن أهلها لم يطف
بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما

ولنتمم الكلام على التلبية في الحج قبل الانتقال منه فنقول قال أبو العلاء
المعري في رسالة الغفران ان تلبيات العرب منها مسجوع كقولهم لبيك ربنا
لبيك . والخير كله بيدك . ومنها موزون من منهوك الرجز كقولهم

لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك
الا شريك هو لك تملكه وما ملك
أخو بنات بفدك (١)

فتلك من تلبيات الجاهلية وفدك يومئذ فيها اصنام وكقولهم
لبيك يا معطي الأمر (٢) لبيك عن بني النمر
جئناك في العام الرمر (٣) نأمل غيثا ينهمر
يطرق بالسيل الحمر (٤)

ومنها من منهوك المنسرح كقولهم

لبيك رب همدان من شاحط ومن دان
جئناك نبغى الاحسان بكل حرف مذعان (٤)
نطوى اليك الغيطان نأمل فضل الغفران

وكقولهم

لبيك عن بجيلة الفخمة الرجيلة (٥)
ولعمت القبيلة جاءك بالوسيلة
تؤمل الفضيلة

(١) كانوا يقولون ان الاصنام بنات الله و (فدك) قرية بخيبر (٢) الامر
ككثف المبارك (٣) الرمر ككتف القليل الشعر والصوف (٤) الحمر ما وارك من
شجر وغيره (٥) الحرف الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة و(ناقة مذعان)
منقادة سلسلة الرأس (٥) رجل راجل ورجيل مشاء وكامير الرجل الصلب

وروا في تلبية بكر بن وائل

لبيك حقا حقا
تعبداً ورقا
جئناك للنصاحه
لم نأت للرقاحة (١)

وروا في تلبية تميم

لبيك لولا ان بكرا دونكا
يشكرك الناس ويكفرونكا
ما زال منا عثج يا تونكا (٢)

وروا في تلبية همدان

لبيك من كل قبيل لبوك (٣)
همدان أبناء الملوك تدعوك
قد تركوا أصنامهم واتابوك
فاسمع دعاء في جميع الاملوك (٤)
ومن التلبية قولهم

لبيك عن سعد وعن بنيها
وعن نساء خلفها تعنيها
سارت الى الرحمة تجتنيها
(العمرة)

العمرة من شريعة ابراهيم عليه السلام . وكانت العرب في الجاهلية تعتمر
وتحرم للعمرة وشاهده قول رجل من زبيد في الجاهلية منعه العاص بن وائل
ثمن بضاعة اشتراها منه وكان ذلك سببا لحلف الفضول

يا آل فهر لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته
يا للرجال وبين الحجر والحجر
أقائم من بنى سهم بدمتهم
أم ذاهب في ضلال مال معتمر

وغالب اعتمارهم في شهر رجب كما شرع حينئذ في دين ابراهيم ولذلك جعل الله
رجبا شهرا حراما ليتمكن مرید العمرة من السفر الى مكة وقضاء عمرته والعود
الى بلده آمنا على نفسه وماله وأهله . وعندهم أن العمرة في أشهر الحج من أعظم
الذنوب وأبطل الشارع ذلك . روى ابن عباس قال كانوا يرون أن العمرة في أشهر

(١) الرقاحة الكسب والتجارة (٢) العثج الجماعة من الناس (٣) لبوك

أى لزموا أمرك (٤) الملك صاحب الملك جمعه ملوك وأملاك وملاكاء وملاك
وملك كركع و(الاملوك) بالضم اسم للجمع

الحج من أجز الفجور في الارض وكاوا يسمون المحرم صفرا (١) ويقولون اذا برأ الدبر (٢) وعفا الأثر (٣) وانسلخ صفر (٤) حلت العمرة لمن اعتمر . قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة (٥) مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة (٦) فتعاضم ذلك عندهم فقالوا يارسول الله أى الحل قال : الحل كله (٧) . ومن أعمال العمرة الطواف بالبيت وشاهده ماروى أن عميا (رجل من عدوان وقيل من اباد وكان فقيه العرب في الجاهلية ويفنى في الحج) أقبل معتمرا ومعه ركب فنزلوا بعض المنازل في يوم شديد الحر وكان على مرحلتين من مكة فقال عمى لقومه وهم في نحر الظهرية من أتى مكة غدا في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى وافوا البيت من الغد في ذلك الوقت . فقال في ذلك كرب بن جبيلة العدواني

وصك بها نحر الظهرية صكة عمى ولا يبغين الا ظلالها (٨)

وجئن على ذات الصفاح كأنها نعام تبغى بالشطي رثالها (٩)

فطوفن بالبيت الحرام وقضيت مناسكها ولم تحل عقالها

وقد قدمنا في الحج أنهم كانوا يسوقون الهدى في العمرة أيضا

قال ابن الاثير في الكامل . وكان من عادة الاوس اذا أراد أحدهم

(١) هو النسيء وتقدم (٢) برأ ثقه و(الدبر) الجرح الذي يكون في

ظهر الابل من اصطكاك الاقتاب والحمل عليه ومنشقة السمر وكان يبرأ بعد

انصرافهم من الحج (٣) (عفا الاثر) أى درس وامحى أثر الابل وغيرها في

سيرها لطول مرور الايام وقال الخطابي المراد أثر الدبر (٤) صفر هو المحرم

في نفس الامر وقد سموه صفرا (٥) رابعة أى من ذى الحجة (٦) أمرهم أن

يجعلوا الحجة عمرة وذلك خصوصية لهم ليذهب من قلوبهم أمر الجاهلية من

تحريم العمرة في أشهر الحج . (٧) سألوا أهو الحل العام لكل ما حرم بالاحرام

حتى قربان النساء فأجابهم النبي بانه الحل العام لكل ما حرم به (٨) عمى تصغير

أعمى على الترخيم وسميت الظهرية صكة عمى به و (نحر الظهرية أولها)

(٩) الرثال جمع الرأل وهو ولد النعام

العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويلتق المعتمر على بيته كرايف (١) النخل
الطهارة - الصلاة - الزكاة - الصوم - الاعتكاف

كانوا ينظرون من الحدث الاصغر والاكبر في الجاهلية ويصلون ويزكون
ويصومون ويعتكفون . أما الطهارة بالوضوء لديهم فشاهدها قول صاحب
كتاب حجة الله البالغة (ان هذا الوضوء كان يفعله المجوس واليهود وغيرهم .
وكانت يفعله حكماء العرب) وأما الطهارة بالغسل فشاهدها ما ذكره الزجاجي
في أماليه قال (وكان الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت ويغتسل من
الجمابة وبعسل موتاه ويختن فاجاء الاسلام صار الحنيف المسلم) وموجب
العسل عندهم الجمابة والحيض وكانا مسلمين فيهم قبل الاسلام والدليل على
الاغتسال عند انقطاع الحيض ماروى أن عمرة بنت سبيع كانت مع زوجها
في سفر وكانت حائضا فطهرت ومعهما ماء قليل فاغتسلت فلم يكف لغسلها
وأفدت الماء فبقيا عطشانين فقال لها زوجها كلمته التي جرت مثلا . وفيها
قال الفرردق

وكتبت كدمات الحيض لم تبق ماءها ولا هي من ماء العذابة طاهر (٢)
وقال الخليل

ان فشيراً من لقاح بن حازم كفاصلة حينضا وليست بطاهر
والغسل والوضوء فيهم من آتار الاديان السماوية التي أقرها الاسلام . ولقد
تابعنا صاحب كتاب حجة الله البالغة في القول بموجب الوضوء عندهم وكلام
السهيلى يقتضى خلافه فانه كتب على قول ابن هشام في غزوة السويق ان
أبا سفيان لما رجع من مكة ورجع فل قريش من بدر نذر آلا يمسه رأسه ماء
من جنابة حتى يغزو محمدا ما نصه (في هذا الحديث أن الغسل من الجنابة كان
معمولا به في الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسماعيل كما بقى فيهم الحج والنكاح
ولذلك سموها جنابة وقالوا رجل جنب وقوم جنب لمجانبتهم في تلك الحال

(١) الكرايف جمع كرناف بضم الكاف وكسرهما وهي أصول السعف

الغالب المراض تبقى في الجذع بعد قطع السعف (٢) العذابة الرحم

البيت الحرام ومواضع قربانهم ولذلك عرف معنى هذه الكلمة في القرآن أعنى قوله « وان كنتم جنبا فاطهروا » فكان الحدث الاكبر معروفا بهذا الاسم فلم يحتاجوا الى تفسيره - وأما الحدث الاصغر وهو الموحب للوضوء فلم يكن معروفا قبل الاسلام فلذلك لم يقل فيه وان كنتم محدثين فتوضؤوا كما قال « وان كنتم جنبا فاطهروا » بل قال « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق » الآية فبين الوضوء وأعضائه وكيفية والسبب الموحب له كالتقيام من النوم والمجئ من الغائط وملاسة الذناب ولم يحتج في أمر الجنابة الى بيان أكثر من وجوب الطهارة منها للصلاة .

وأما الصلاة عندهم فشاهدوا قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « وكانت فيهم الصلاة وكان أبوذر رضى الله عنه يصلي قبل أن يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وكان قيس بن ساعدة الأيادي يصلي . والمحفوظ من الصلاة في أمم اليهود والنجوس وبقية العرب أفعال تعظيمية لاسيما السجود وأقوال من الذكر . وكانوا تركوا الصلاة والذكر وأعرضوا عنهما فبعث النبي عليه السلام وهذا حالهم » وروى مسلم في صحيحه . سنده عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبوذر يا ابن أخي صليت سديين قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال . قلت . فأين كنت توجه . قال حيث وجهى الله وكان منهم من يستقبل الكعبة في صلاته كشرع ابراهيم واسماعيل حكى عامر بن ربيعة انه لقي زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من مكة يريد حرا فقال يا عامر انى قد فارقت قومي وأتبعته ملة ابراهيم وما كان يعبد اسماعيل من بعده . كان يصلى الى هذه البنية وروى الاصبهاني في الاغانى أن زيد ابن عمرو بن نفيل كان يستقبل الكعبة في صلاته ويقول يا مولاي :

ليبك حقا حقا تعبدنا ورقا
البر أرجو لا الخال وهل مهجر كمن قال
عدت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم
يقول أنى لك عان راغم مهما تجشمتنى فانى جاشم

ثم يسجد — وحكوا في سر مشروعية استقبال الكعبة في الصلاة أن الكعبة من شعائر الله عند العرب أذعن لها أقاصيهم وأدانيهم وجرت السنة عندهم باستقبالها فلم يكن هناك معنى للعدول عنها

وأما الزكاة عندهم فشاهدها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « ان العرب في الجاهلية كانت فيهم الزكاة . وكان المعمول عندهم منها قرى الضيف وابن السبيل وحمل الكل (١) والصدقة على المساكين وصلة الارحام والاعانة في نوائب الحق (٢) وكانوا يمدحون بها ويعرفون انها كمال الانسان وسعادته . قالت خديجة لرسول الله حين بدى بالوحى . فوالله لا ينزلك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق . وان سبيعة ابن ربيع المشهور بابن الدغنة (والدغنة أمه) قال مثل ذلك لأبي بكر « هذا ولاشك ان هذه السمائل العربية فيهم من آثار الاديان السماوية فان قول خديجة لا ينزلك الله أى لفعلك ما أمر به وفي رواية ليس للشيطان عليك سبيل أى لأن أعمالك من الاعمال الرحمانية التي وردت بها الشرائع السماوية وحكى بعضهم أن الزكاة فيهم من شريعة ابراهيم عليه السلام

وأما صومهم في الجاهلية فكان من الفجر الى غروب الشمس وقد ذكر ذلك صاحب كتاب حجة الله البالغة . ومما كانت تصومه قريش يوم عاشوراء . وشاهده ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه . وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة (٣) فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء

(١) الكل بفتح الكاف وتشديد اللام العيال واليتيم ومن لا يستقل بأمره وحمل الكل الاعانة بالانفاق على العيال والضعفاء (٢) نوائب الحق الحوادث التي تكون في الحق دون الباطل (٣) يحتمل أن يراد بالمدينة قباء أو يراد بها باطنها

فَسئَلُوا عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ فَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمْرًا بِصِيَامِهِ . قَالَ النَّوَوِيُّ . وَكَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمًا تَعْظُمُهُ الْيَهُودُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَتَتَّخِذُهُ عِيدًا وَيَلْبَسُونَ نِسَاءَهُمُ اللَّبَاسَ الْحَسَنَ وَالْحُلَى قَالَ الْمَرْحُومُ مُحَمَّدٌ بَاشَا الْفَلَاحِيُّ فِي كِتَابِهِ نَتَائِجُ الْإِفْهَامِ فِي تَقْوِيمِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ « وَفِي كَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَهُمْ صَائِمِينَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَشْكَالًا لِأَنَّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحْرَمِ أَوْ هُوَ التَّاسِعُ مِنْهُ كَمَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ . فَكَيْفَ يَكُونُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ . وَأَجِيبُ بِأَنَّ السَّنَةَ عِنْدَ الْيَهُودِ شَمْسِيَّةٌ لَا قُرْبِيَّةٌ فَيَوْمَ عَاشُورَاءَ الَّذِي كَانَ عَاشِرًا الْمُحْرَمِ وَاتَّفَقَ فِيهِ غَرَقَ فِرْعَوْنَ لَا يَتَّقِيدُ بِكَوْنِهِ عَاشِرًا الْمُحْرَمِ بَلْ اتَّفَقَ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ أَيَّ زَمَنِ قَدُومَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَجُودَ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِدَلِيلِ سَوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مَا سَأَلَ وَمَا يَتَّوَيْدُ ذَلِكَ مَا فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ لِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ خَارِجَةَ بِنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَيْسَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ الَّذِي يَقُولُ النَّاسُ إِنَّمَا كَانَ يَوْمَ تَسْتَرَفِيهِ الْكَعْبَةُ وَتَلَعَبَ فِيهِ الْحَبْشَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ . وَكَانَ بَدُورًا فِي السَّنَةِ . وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ فَلَانَا الْيَهُودِيَّ فَيَسْأَلُونَهُ فَمَا مَاتَ أَتُوا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَسَأَلُوهُ « ثُمَّ نَقَلَ عَنِ الْبَيْرُونِيِّ فِي كِتَابِ الْأَثَارِ أَنَّهُ قَالَ « وَقَدْ قِيلَ أَنَّ عَاشُورَاءَ عِبْرَانِيٌّ مَعْرَبٌ عَاشُورٌ وَهُوَ الْعَاشِرُ مِنْ تَشْرِىِ الْيَهُودِ الَّذِي صَوْمَهُ صَوْمَ الْكَبُورِ وَأَنَّهُ اعْتَبِرَ فِي شَهْرِ الْعَرَبِ فَجَعَلَ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ أَوَّلِ شَهْرِ رَهْمٍ كَمَا هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ أَوَّلِ شَهْرِ الْيَهُودِ » ثُمَّ قَالَ فَمِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرَ يَنْتَجِ أَنَّ النَّبِيَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي ١٠ تَشْرِىِ وَقَدْ فَرَضَ فِي التَّوْرَةِ صَوْمَ هَذَا الْيَوْمِ وَاخْتَلَفَ الرُّوَاةُ وَأَصْحَابُ السِّيَرِ فِي يَوْمِ دَخُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَهْوَى الْيَوْمَ الثَّانِي أَمْ الثَّامِنَ أَمْ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ كَمَا أَنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ كَانَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ (١) وَعِنْدِي أَنَّ أَرْجَحَ

(١) دَعَاؤُهُ الْإِتْفَاقُ مَمْنُوعَةٌ فَقَدْ حَكَى السَّهَيْلِيُّ أَنَّ ابْنَ الْكَلْبِيِّ قَالَ .
خَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْفَارِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ
(١٠)

هذه الايام مايدل الحساب على أنه كان يوم الاثنين. وحيث أن الحساب لا يؤدي البتة الى أن الثاني أو الثاني عشر من ربيع الاول كان يوم الاثنين تعين بالضرورة ان الثامن هو يوم وقوع الحادثة . وتكون الخلاصة أن الهجرة أو دخول النبي عليه الصلاة والسلام المدينة كان في يوم الاثنين ثامن ربيع الاول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ للميلاد و ١٠ تشرى سنة ٤٣٨٣ للخليفة

وأما الاعتكاف فكانوا يعدونه قرية من القرب وينذرونه وشاهده مارواه مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله انى نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال . فأوف بنذرك وكذلك كانت أعتكف ليلة في القرية . لما رواه عبد بن عمير بن قتادة قال . كان رسول الله يجاور في حراء من كل سنة شهرا . وكان ذلك مما تمنحت به قريش في الجاهلية والنحنن التبرر (١) وشاهده قول أبي طالب

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل (٢)

فقد أقسم أبو طالب بالصاعد جبل حراء لا تعبد فيه وبالنازل منه وكان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاور ذلك الشهر أن يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبداً به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته . وأول ما نزل عليه الوحي كان بحراء في جواره . قال ابن عبد البر ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارج المسجد

يوم الجمعة لثنتي عشرة منه (١) العرب تقول التحنن والتهنن يريدون الحنيفة فيبدلون بالفاء الثاء وتفعل تقتضى الدخول في الفعل وهو الاكثر فتحنن وتبرر بمعنى دخل في الحنيفة وفي البر (٢) ثور وثبير جالان من جبال مكة . وفي البيت رواية لابن هشام وهي وراق ليرقى في حراء ونازل ولان الراق لا يرقى قال السهيلي وأصح الروايتين وراق لبر في حراء ونازل قال البرقي هكذا رواه ابن اسحاق وغيره وهو الصواب

ولذلك لم يسم عبيد بن عمير جواره بحراء اعتكافا لان حراء ليس من المسجد
ولكنه من جبال الحرم

الاستسقاء بالدعاء وبالنار

كانت العرب في الجاهلية اذا حبس عنهم المطر لجئوا الى الله تعالى يستمطرونه
ليكشف ما نزل بهم من البلاء وكانوا كثيرا ما يستمطرون في الاماكن المطهرة
طمعا في اجابة الدعاء كما كانوا يستسقون بمن يرجون الخير بيمن طلعت

والاستسقاء فيهم من زمن قديم وهو من بقايا الشرائع السماوية . فقد
ذكر أن عادا أصابهم قحط فتتابع عليهم بتكذيبهم هودا فأرسلوا وفدا الى
مكة يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عسير ولقيم بن هزال ومرثد بن مسعد .
وكان مسلما يكتم اسلامه وجاهلهم بن الخيبري خال معاوية بن بكر ولقمان بن
عاد في سبعين رجلا من قومهم فاستسقوا فأرسل الله على عاد سحابة سوداء
ملاها عذابا فلما طلعت عليهم استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا واذا به
ما استعجلوا به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ صرت به فأهلكهم الله
بريح عاتية تركتهم كأنهم أعجاز نخل خاوية . وعلم الوفد حين رجعوا بمهلك
قومهم . وفي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمى

في كل عام لنا وفد نسيرهم نختارهم حسبا منا وأحلاما

كانوا كوفد بني عاد أضلهم قيل فأتبع عام منهم عاما

عادوا فلم يجدوا في أرض قومهم الا مغايهم فقرا وآراما

ولقد حفظ لنا التاريخ مثلا من دعواتهم في الاستسقاء نذكره لما فيه من الفائدة
والبلاغة . فمن ذلك ما حدث به مخزومة بن نوفل قال : سمعت أمى رقيقة بنت
أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف وكانت لدة (١) عبد المطلب قالت تتابع
على قريش سنون أمحلت (٢) الارض وأذهبت الاموال وأقحلت (٣) اللحم
وأرقت العظام وأشفين (٤) على الانفس فبينما أنا نائمة اللهم أو مهومة (٥) اذا

(١) اللدة التراب بكسر التاء أى النظير في السن (٢) أمحلت أقحطت (٣)

أقحلت أي بست (٤) أشفى أشرف (٥) المهوم من يكون بين النائم واليقظان

أنا بهاتف صيت (١) يصرخ بصوت صحل (٢) أقشعر له جلدى يقول :يامعشر قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلتكم (٣) أيامه وهذا أوانه وابان نجومه (٤) خيهلا بالحيا والخصب والفلاح (٥) ألافانظروا رجلا منكم وسيطا طوالا عظاما أبيض بضاً أو طف الاشفار (٦) سهل الخدين (٧) أشم العرنين (٨) مقرون الحاجبين له شرف يكظم عليه وسنة تعزى (٩) اليه الافليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن (١٠) رجل فليسنوا (١١) من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليستموا الركن (١٢) وليطوفوا بالبيت سبعا وليرتقوا أباقيس الا وفيهم الطيب الطاهر ألا فليدع الرجل وليؤمن القوم الا فغتم (١٣) اذا شتم وعشتم قالت فأصبحت علم الله مذعورة مفراة قد قف لها جلدى ووله عقلى (١٤) فاقتصت رؤياى فنمت (١٥) فى شعاب مكة فوالحرمة والحرم ما سمع بها أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد عبد المطلب (١٦) وتنامت اليه رجالات قريش

(١) الصيت البعيد الصوت (٢) الصحل صوت فيه بحة (٣) أظل دنا وقرب (٤) النجوم الطلوع (٥) حيهل بكذا أى عليك به و (الحيا) المطر و (الفلاح) البقاء (٦) الوسيط من قولهم أوسطهم حسنا أى اكرمهم وأشرفهم و (الطوال) الطويل و (العظام) العظيم و (البض) الممتلى وفى رواية أوظف الاهداب و (الاطوف) طويل الاهداب و (الاهداب) شعر أشفار العيون مفردة هذب (٧) سهل الخدين قليل لحمهما (٨) شمم العرنين طول طرف الانف (٩) كظم بمعنى أمسك ومنه يكظم غيظه و (السنة) السيرة و (تعزى) أى تنسب (١٠) الدلف مشى على مهل كمشى الشيخ و (البطن) من لظون العرب دون القبيلة وقد يطلق عليها (١١) سن عليه الماء بالسين المهمل صبه (١٢) استلام الركن ضم الحجر (١٣) غتم مطرتم (١٤) الذعر الفزع و (مفراة) بالقاء الموحدة متحيرة مدهوشة من فرى بكسر الراء تحير ودهش و (قف جلده) يبس ويروى قب أى ذوى و (الوله) ذهاب العقل (١٥) نمت بتشديد الميم فشت ومنه النام وبتخفيفها زادت من النمو (١٦) الشعاب جمع شعبة ما صغر من التلعة والتلعة ما ارتفع من الارض و (الحرمة) الذمه وما يجب حفظه

وانقض (١) اليه من كل بطن رجل فسنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا
الركن أو اطوفوا ثم ارتقوا بأقبيس فطفق القوم يدفون (٢) حوله ما ان يدرك
سعيهم مهلة حتى يحملوا ذروته واستكفوا جنابته (٣) ومعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يومئذ غلام قد أيقع أو كرب (٤) فقال عبد المطلب اللهم ساد
الخلعة (٥) وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومستول غير مبخل (٦) وهذه
عبادك واماؤك بعذرات حرمك (٧) يشكون اليك سنتهم التي أذهبت الخف
وأفنت الظلف (٨) فاسمع اللهم دعاءنا وأنزل علينا غيثا مريعا مفدقا ودقا
(٩) طبقا فما راموا البيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بشيجه
(١٠) فسمعت شيخان قریش وجلتها (١١) يقولون هنيئا يا أبا البطحاء
اذ عاش بك أهل البطحاء وفي ذلك تقول رقيقة بنت أبي صيفى تمدحه عليه
الصلاة والسلام

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوز المطر (١٢)

و(الحرم) حرم مكة و (الابطحي) هو القرشي من مكة خاصة و(شبية الحمد)
هو عبد المطلب (١) تتامت اجتمعت و(انقض) أسرع (٢) طفق دام و(يدفون)
يتداولون (٣) ذروة كل شيء أعلاه و (استكفوا) أحاطوا به ينظرون اليه
و(جنابته) ناحيته (٤) أيقع الغلام قارب الاحتلام و (كرب) من أفعال
المقاربة والمعنى أوقارب (٥) الخلة الحاجة (٦) غير بنخيل (٧) عبادك جمع عبد.
ويروى عبادؤك بكسر العين والباء وتشديد الدال أى عبيدك و (بعذرات
حرمك) أى بافنائها (٨) الظلف للبقرة والشاة ومثلها كالتقدم للسان و(الخف)
للبعير وأراد ذوات الظلف وذوات الخف (٩) مريعا أى مخصبا و(المفدق
الكثير القطر و(الودق) المطر (١٠) راموا برحوا و(كظ) الوادي أى ضاق
بالماء لكثرتة و (ثيجه) سيلانه (١١) شيخان جمع شيخ والشيخ من
استبان فيه السن أو من خمسين أو احدى وخمسين الى آخر عمره أو الى
الثمانين و(جلتها) عظماؤها وسادتها (١٢) الحيا الخصب والمطر و (اجلوز)

فجاد بالماء جوفى له سبيل دان فعاش به الانعام والشجر (١)
منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر (٢)
مبارك الامر يستسقى الغمام به مافى الانام له عدل ولا خطر (٣)
وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم استسقاء آخر وكان رضيعا . وذلك أن
قريشا أجدبت وحبس عنهم المطر فأمر عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يحضر
المصطفى وهو رضيع في قاط فلما حضر وضعه على يديه واستقبل الكعبة
ورماه الى السماء وتناوله بيديه ثم رماه ثانيا وثالثا وهو يقول يارب بحق هذا
الغلام اسقنا غيثا مغيثا مغدقا دائما هاطلا فما انصرفوا حتى جاءهم الغيث وفي
ذلك يقول عمه أبو طالب في قصيدته اللامية

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل (٤)
يطيف به الهلاك من آل هاشم (٥) فهم عنده في نعمة وفواضل
ويستسقى كل ذى دين من معبوده بالتقرب اليه وسنذكر خبر خولان وتوسلهم
لصنمهم عميانس بالذبايح ليستقوا .

ومنهم من يستسقى بالنار وكانوا اذا أرادوا الاستمطار بها جمعوا ما قدروا
عليه من البقر وعقدوا في أذناها وبين عراقيها حزما من السلع والعشر (٦)
وأوقدوا فيها النار وأصعدوها في جبل وعرفقوا بينها وبين أولادها

مضى وذهب (١) الجون الابيض والاسود وهو من الاضداد و(السبل) المطر
(٢) من عليه أنعم و (الميمون طائره) أى السعيد حظه و(مضر) قبيلة من
العرب (٣) فى رواية مبارك الكف و(الغمام) سحاب المطر و(الانام) الخلق
و(العدل) بالكسر مثل الشئ و(لاخطر) أى لا مثل له فى علوه (:) قد عبر عن
الكرم بالبياض . يقال له عندى يد بيضاء أى معروف و (الثمال) العماد
والمالجا والمطعم والمغنى والسكافى و (العصمة) ما يعتصم به ويتمسك (٥) فى
رواية يلود به الهلاك و(الهلاك) الفقراء والصعاليك الذين ينتابون الناس طلبا
لمعروفهم من سوء الحال (٦) السلع بفتححتين و (العشر) بضم ففتح ضربان
من الشجر

وساقوا البقر الى ناحية المغرب دون سائر الجهات وهم يصيحون بالتضرع والدعاء لله تعالى ويستسقونه وسط خوار الثيران وتأجج الميران يستجلبون بذلك رحمته وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت

- سنة أزيمة تبرح بالسا س ترى للعضاه فيها صير (١)
لا على كوكب تنوء ولا ريح جنوب ولا ترى طحرورا (٢)
اذ يسفون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون شيئا فطيرا (٣)
ويسوقون باقر السهل للطور د مهازيل خشية أن تبورا (٤)
عاقدين النيران في ثكن الاذ ناب منها لكي تهيج البحورا
فاشتوت كلها فهاج عليهم ثم هاجت الى مسير صيرا (٥)
فراها الآله ترسم ناطق ر وأمسى جناهم ممطورا (٦)
سلع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا (٧)

(١) أزيمة أى شديدة وفي رواية سنة حذبة و (تبرح بالناس) تصيبهم بشدة الاذى و (العضاه) جمع عضاهة وهى أعظم الشجر أو الخمط أو كل ذات شوك و (الصرير) الصوت (٢) نوء النجم سقوطه فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته و (ريح الجنوب) هى التى تخالف الشمال ومهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا - ما فى السماء (طحرور) وطحرورة أى لطح من السحاب (٣) الباء فى بالدقيق زائدة و (الفطير) من المعجن ما اختبرته من ساعته ولم تخمره (٤) الباقر البقر و (الطود) الجبل أو عظيمه و (تبور) تهلك (٥) الصبير السحابة البيضاء أو الكثيفة التى فوق السحابة أو الذى يدور لعضه فوق بعض (٦) رسم الغيث الديار عفاها وأبقى أثرها لاصقا بالارض و (الجاب) الفناء والناحية (٧) قال ابن أبى الحديد « روى أن عيسى بن عمر قال ما أدري معنى هذا البيت ، ويقال أن الاصمعى صحف فيه فقال وغالت البيقورا بالغين المعجمة وفسره غيره فقال عالت بمعنى أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر و (البيقور) البقر و (عائل) غالب أو مثقل ، ويمكن أن يحمل تفسير الاصمعى

وقال آخر

يا كل قد أثقلت أذنان البقر بسلع يعقد فيها وعشر

فهل تجودين ببرق ومطر

وهذه النار تسمى نار الاستمطار . وأنكر كثير منهم فائدة الاستمطار

بالنار قال الشاعر

شفعنا بديقور الى هاطل الحيا فلم يغن عنا ذاك بل زادنا جدبا

فعدنا الى رب الحيا فأجادنا وصير جذب الارض من عنده خصبا

وقال آخر

قل لبني نهشل أصحاب الحور أتطلبون الغيث جهلا بالبقر

وسلع من بعد ذاك وعشر ليس بذات يجلل الارض المطر

وقال الورل الطائي يعيبهم أيضا .

لا در در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعشر

أجعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

قال ابن أبي الحديد ه وانما أضرموا النيران في أذنان البقر تفاؤلا للبرق

بالنار . وقال بعض الاذكياء كل أمة قد اتخذوا في مذاهبها مذاهب ملة أخرى

وكانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عايبها فجعلها في الارض وأن

لها عنده حرمة ، وكانوا يلطخون الابدان بأختائها ويفسلون الوجوه ببولها

ويجعلونها مهور نسائم ويتبركون بها في جميع أحوالهم فلعل أوائل العرب

خذوا هذا الخذو واتهجوا هذا المسلك « وللبقر عند قدماء المصريين أسمى

المنازل الدينية وليست هذه العادة من الخرافات فان للدخان أثرا في الامطار

وقد جرب بعض علماء الافرنج بأمرىكا انزال المطر بالدخان المتكاثف

فنجحت تجربته

على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت يقال غاله كذا واغتاله أى أهلكه

وغالتهم غول يعنى المنية «

(النذر)

كانوا في الجاهلية يوجبون على أنفسهم فعل أشياء أو تركها وذلك هو
النذر ويتمدحون بالوفاء به قال عنزة العبسي في معلقته

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشامي عرضي ولم أشتمهما والناذرين اذا لم ألقهما دى

وقال زهير

قد أشهد الشارب المعذّل لا معروفه منكر ولا حصر (١)

في فتية ليني المآزر لا ينسون أحلامهم اذا سكروا

يشوون للضيف والعفاة ويو فون قضاء اذا هم نذروا (٢)

وكانت قديما بذورهم تقربا لله تعانى ثم لما تغيرت الحنيفية بعبادة الاوثان
ودخلت فيهم الديانات الوضعية صاروا يندرون لأصنامهم أو للانتقام أو غير
ذلك من الاغراض المخلفة الى لا يمكن استنصاؤها ولذا ذكر أمثلة منها
في صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله انى نذرت في الجاهلية
أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال وأوف بنذرك

ومنها ما روى أن الحكم بن عبد يغوث المقرى نذر ليذبحن مهاة على
الغبغب (٣) وكان من أرمى الناس فرام سيدها أياما فلم يمكنه فكان يرجع
مخفقا حتى هم بقتل نفسه مكانها فقال له انه مطعم احماني أرفدك فقال ما احم
من رعه رهل (٤) جبان فشل فمارال به حتى حمله فرمى الحكم مهانين فاحطأهما
فلما عرضت الثالثة رماها مطعم فاصابها فقال الحكم (رب رمية من غير رام)

(١) المعذّل كعظم من يعذل لافراط جوده و (الحصر) البخل والعى في المنطق

(٢) العافى الضيف وكل طالب فضل أو رزق (٣) المهاة البقرة

الوحشية (والغبغب) منجر العزى كانوا ينجرون فيه هداياها (٤) الارفاد

الاعانه و (رهل) لحمه بالكسر اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم

من غير داء

فضربت مثلاً في فلتة احسان من المسمى
ومنها أن الغوث بن مر بن أد بن طابخة كان لا يعيش لامه ولد فنذرت لئن
عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلانه ربيطاً للكعبة فلما عاش لها الغوث وفت
بنذرها فسمى صوفة وكان له ولوله الاجازة بالحج من عرفة ومن منى لمكانه
من الكعبة .

ومن ذلك نذر تهود الاولاد قال السهيلي « اليهود بنو اسرائيل وجملة
من كان منهم بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن في
الايوس والخزرج من قد تهود وكان من نسائهم من تنذر اذا ولدت ان عاش
ولدها ان تهود لان اليهود عندهم كانوا اهل علم وكتاب وفي هؤلاء الابناء
الذين تهودوا نزلت (لا اكره في الدين) حين اراد آباؤهم اكراههم على الاسلام
في أحد الاقوال »

ومن ذلك ما روى ان عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح قتل في غزوة احد
من المشركين مسافع بن طلحة واخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يصيبه بسهم
فيأتي امه سلافة فتضع رأسه في حجرها وتقول يا بى من أصابك . فيقول
سمعت رجلاً يقول حين رماني خذها وأنا ابن ابي الاقلح فنذرت ان أمكنها
الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الحجر

ومنها ما روى ان ابا سفيان لما رجع من مكة ورجع منهزم وقريش من
بدر نذر الابس رأسه ما من جنابة حتى يغزو محمداً
ومنها ما كان من عبدالمطلب بن هاشم فانه حين لقي من قریش مالقي عند
حفر زمزم نذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمموه لينحرن أحدهم لله
عند الكعبة فلما بلغ بنوه عشرة وعرف انهم ما يمموه جمعهم وأخبرهم بنذره
ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فأطاعوه فجعل لكل قدحاً وكتب عليه اسمه
وضرب القدح سادن هبل عنده فخرج قدح عبد الله فبهم بذبحه فقامت قریش وقالوا
لا تذبحه ابداً حتى نعد رفيه لئن فعات هذا لابلال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما
بقاء الناس على هذا وأشاروا اليه أن يذهب لعرافة سموها له ليستفتيها فيما

نزل به فلما نزل عبد المطلب بساحتها وقص عليها أمره أمرته أن يضرب
القداح على عبد الله وعلى عشر من الابل فان خرج قدح عبد الله زاد الابل
عشرا وضرب ولا يزال يفعل ذلك حتى يخرج القدح على الابل فعاد الى مكة
وضرب القداح وما زال يزيد الابل حتى بلغت مائة نخرج القدح عليها
فذبجوها وعبد الله هو والد نبينا المراد بقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن
الذيحين وثنائهما اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام

ومن نذورهم السائبة ان أحدهم كان اذا نزل به المكروه يذران رفيع عنه
ان يسيب ناقته . فاذا فعل ذلك لم تمنع من الماء ولا من الكلاء . وقد يسيبون
غير الناقة . وكانوا اذا سيبوا العبد لم يكن عليه ولاء

ومن نذورهم ما كان من لبيد بن ربيعة بن عامر وكان شريفا في الجاهلية
والاسلام فقد نذر في الجاهلية الاتهب الصبا الانحر وأطعم . وهبت الصبا يوما
وهو بالكوفة مقترملاق فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان أميرا
عليها لعثمان فخطب الناس فقال ان أخاكم لبيدا كان آلى على نفسه في الجاهلية
الاتهب الصبا الا أطعم وألزم نفسه ذلك في الاسلام وهذا اليوم من أيامه
فأعيوه فأنا أول من يعينه ثم نزل فبعث اليه بمائة بكرة . وبعث الناس اليه
فقضى نذره وكتب اليه الوليد

أرى الجزار يشخذ شفرتيه اذا هبت رياح أبي عقيل

أغر الوجه أبيض عاسري طويل الباع كالسيف الصقيل

وفي ابن الجعفرى بخلقتيه على العلات والمال القليل (١)

بنجر الكوم اذ مسحبت عليه ذبول صبا تجاوب بالاصيل (٢)

فلما أتاه الشعر قال لابنته أجيبيه فقد أراني ولا أعيا بجواب شاعر

فانشأت تقول

اذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا

أغر الوجه أبيض عبشما أعان على مروءته لبيدا

(١) على علاته أى على كل حال (٢) الكوم القطعة من الابل

بأمثال الهضاب كان ركبا عليها من بنى حام قعودا (١)
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الوليدا
فعد ان الكريم له معاد وظى يا ابن أروى أن تعودا

فقال أحسنت لولا انك استزدته فقالت انه ملك ولو كان بسوقة لم أفعل
ذبح الظبي في نذر الشاة - كان أحدهم يقول عند المكروه يصيبه ان

خلصت منه لا ذبحن من الغنم كذا وكذا ثم اذا كشف الله عنه ما يكره ضن بما
نذر لان من ألباها غذاؤه وكره عدم الوفا فاستبقى الغنم وذبح من الأطباء التي
يصيدها بعدد ما نذر من الغنم وقال الأطباء شاء كما أن الغنم شاء فيجعل ذلك
القربان شاء كله مما يصيد من الأطباء . قال الحارث بن حلزة

عنتابا طلا وظلما كما نع ترعن حجرة الربيض الأطباء (٢)
أعلينا جناح كسدة أن يغنم غازيهم ومنا الجزاء

واصل العتر الذبيح في رجب وكات العرب تذكره لألقتها فيقول قائلهم
ان رزقنى الله خمسين شاة ذبحت منها في رجب واحدة مثلا ويسمى هذا الذبيح
العتيرة والرجبية - ومعنى البيتين انكم الزتمعوننا ذنب غيرنا عنتا باطلا كما
يدبح الظبي لحق وجب في الغنم وقال الرماح في تلك العتائر

كان الغوى الفرد أجسد رأسه عتائر مظلوم الهدى المذبح (٣)
وقال كعب بن زهير في رثاء جوى المزنى وهى من أبيات الحماسة
لنذكر والمدور لها وفاء اذا بلغ الخزاية بالغوها

(١) الهضاب والهضب جمع الهضبة وهى الجبل و(حام) هو ابن نوح
أبو السودان (٢) العنت الفساد (وتعتر) تذبح (والحجرة) بالفتح الناحية
والمراد بها هنا موضع الغنم و(الربيض) الغنم برعاها المجتمعة في مراتبها
(٣) الغوى الضال ولعله يريد به الصنم و(الجسد) الدم اليابس والزعفران
وإذا قام الثوب من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان و(العتائر) الذبائح
واضافة الذبائح لمظلوم اضافة بيانية . والهدى المذبح المظلوم هو الأطباء
المذبوحة بدل الشياه

كانك كنت تعلم بوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها (١)
فما عتر الظباء بحى كعب ولا الخمسون قصر طالبوها
والمعنى انما وطينا ولم نقنع فى أخذ تأرك بشىء يعنى عما ندرته كما تدبج
الظباء بدل الغنم

وكان سبب هذه الابيات أن جوياء المزنى مر على الاوس والخزرج وهم
يقتتلون والاوس حلفاء مزينة فقاتل جوى مع حلفائه فأصيب مر به ثابت بن
المنذر بن حرام أبو حسان الشاعر فقال : اخا مزينة ما طرحك هذا المطرح
فوالله انك من قوم ما يحمونك فرفع جوى رأسه اليه وهو يحرد بنفسه
فقال : اعطى الله عهدا ليقتلن منكم خمسون ليس فيهم اعور ولا أعرج وبلغت
كلمته قومه فوفوا له بما قال - فلذلك يقول الرماح : ولا الخمسون قصر
طالبوها ومن هذا الباب قولهم فى المثل (أفرع بالظبي وفى المعزى دثر) الباء
فى بالظبي زائدة أى ذبح الظبي وفى المعزى كثرة - - يضرب مثلا لمن له
اخوان كثيرون وهو يستمعين بغيرهم

(ما يفعلونه للموتى)

نذكر فى هذا الفصل عاداتهم التى منشؤها الشرائع السماوية كتحنيط الميت
وتكفينه وغسله والمبالغة فيه بوضعهم فى ماء الغسل سديرا ونحوه ثم نتبع ذلك
تنميا للموضوع بما كان منشؤه المعتقدات الوهمية كوضع البليدة على القبر يركبها
الميت يوم البعث وبما كان منشؤه الفخر والزهو كاتخاذ حرم للقبر وتعلية بنائه
وغير ذلك

نعى الموتى - قال الاصمعى كانت العرب اذا مات فيهم ميت له قدر
ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول نماء فلانا أى انعه وأظهر خبر
وفاته وهذا هو الساعى المراد بقول المتنخل الهدلى

(١) بزت الثياب سلبت

- أقول لما أتاني الناعيان به لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجل (١)
رمح لما كان لم يقلل نوء به توفي به الحرب والعزاء والجلل (٢)
وقول أعشى باهلة يرثي أحاه لأمه المنتشر
اني أتتى لسان لا أسر بها من غاؤو لاعجب منها ولا سخر (٣)
فطأت مكتئباً حران أندوه وكنت ذا حذر لو ينقم الحذر
فجاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمر (٤)
يأني على الناس لا يلوى على أحد حتى التقينا وكانت دوننا مضر (٥)
ان الذي حئت من تثليث تاء به منه السماح ومنه النهى والغير
ينعى امرأ لا تغب الحي جفنته اذا الكواكب اخطأ نوءها المطر (٦)
والغرض من اتخاذ الناعى الاعلام لينهض الناس بالواجب عليهم نحو هذه
المصيدة ولتهزية أهل الميت

(١) يبعد بمعنى يهلك و (الرمح) فاعل يبعد و (النصل) حديد الرمح الذي يطعن به وهو السنان (٢) (رمح لنا) أى هو رمح لنا وضد كان يرجع الى المرثى وجملة (لم يقلل) خبر كان أى لم يكسر ولم يثلم من الفل بفتح الفاء واحد الفلول وهى كسور فى الشئ و (نوء به) أى نهض به يقال ناء بكذا أى نهض به مثقلا و (توفى به الحرب) أى تعلى به وتقهر وهو بالفاء وروى بالقاف أيضا من الوفاية و (العزاء) بفتح الميم وتشديد الزاء المعجمة السنة الشاذة و (الجلل) بضم الجيم وفتح اللام جمع حلى وهو الامر الجليل العظيم و (كبرى) و (كبرى) و (غرى) و (صغرى) (٣) اللسان الرسالة وأراد بها نعى المنتشر و (سخر) بضم السين والمعنى أتاني خبر من أعلى نجد لا أعجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة (٤) جاشت النفس ارتفعت من حزن أو فزع (٥) لا يلوى على أحد أى لا يعرج (٦) النعى خبر الموت و (أغبت) القوم جفنته جاءتهم يوم، او تركت يوما كعب و (النوء) سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق والعرب كانت تنسب نزول المطر للنوء فتقول مطرنا بنوء كذا

غسل الميت — كانوا يغسلون موتاهم في الجاهلية . قال الافوه الاودي
ألا عللاني واعلمنا اني تفرر فما قلت ينجيني الشقاق ولا الحذر (١)
وما قلت يجديني ثوابي اذا بدت مفاصل أو صالي وقد شخص البصر (٢)
وجاءوا بماء بارد يغسلونني فيالك من غسل سيتبعه غير
وفي الاغانى أن أبا لهب لمات بالعدسة تركه ابنه ليلتين أو ثلاثا لا يدفنه
حتى أنن في بيته . وكانت قريش تتقى العدسة كما تتقى الطاعون تخشى عدواها
حتى قال لهما رحل من قريش ويحكما ألا تستحيان ان أباكما قد أتت في بيته
لا اغيباه فقلا نخشى هذه القرحة قال : فانطلقا فأنا معكما فما غسلوه الا
قدفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة

وكانوا يضعون في ماء الغسل ما يساعد على النظافة من سدر أو اشنان .
ويغسلون بالسدر ونحوه رءوسهم ولحاهم وشاهده قول امرئ القيس لما أخذت
بنو تغاب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المرار فقدم بهم على المنذر فضرب
رقاهم بحجر الاملاك في ديار بنى مرز

ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بنى مرينا
ولم تغسل رءوسهم بسدر ولكن في الدماء مزماينا (٣)

وقد أقرهم الاسلام على ما كان عندهم من ذلك
تحنيط الميت كانوا بمد غسل الميت يحنطونه والحنوط كصبور وكتاب
عطر مركب من أشياء طيبة الرائحة يخلط للميت
وذكروا أن مشما كانت امرأة تبسح الحنوط في الجاهلية . فقيل للقوم

(١) الفرر بالنفس التعريض للخطر - مصدر يراد به اسم المفعول
(٢) والواصل المفاصل أو مجتمع العظام (وشخص بصره) فذبح عينيه
وجعل لا يطرف (٣) السدر ورق الببق وفي رواية ولم تغسل جماجمهم بغسل
و(تزل) تأفف

إذا تحاربوا دقوا بينهم عطر من شمع أرادوا بذلك طيب الموتى وروى أن أول
من طيب الموتى بالحنوط مقسم بنهر القضاعى
كفن الميت كانوا يكفنون الميت (١) وشاعده قول قس بن ساعدة
الأيادي .

يا بأك الموت والاموات في جدث عليهم من بقايا بزهم خرق (٢)
دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم كما نبيه من نومانه الصعق
وقال عميرة العيسى

وأحمى حمى قومي على طول مدتي الى أن أداني في اللقائف أدرج (٣)
وقال حجية بن المضرب بخاطب النعمان بن المنذر

ان كان ما بلغت عى فلامنى صديقى وشلات من يدى الانامل
وكفنت وحدى منذرا في ردائه وصادف حوطا من أعادى قاتل (٤)
وسبب هذين البيتين أن النعمان بن المنذر أغار على بني تميم ونذروا به
ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب . وكان فيمن كان معه حجية بن المضرب
وكانت أخته فكيفة بنت المضرب تحت ضمرة بن ضمرة . فنذر بنو تميم
بالنعمان فهزموه (٥) فانهم النعمان حجية أن يكون أنذرهم فقتل البيتين

وكانوا يكفنون الميت في ثوب ثمين النسيج اذا كان عظيما . وشاعده ما
يروى أن دريد بن حرملة لما قتل معاوية بن عمرو الشريد قدم أخوه صخر
فأتى بنى مرة . فقال : من قتل أخى . فقال له هاشم بن حرملة اذا
أصبتى أو دريدا فقد أصبت نارك . قال فهل كفنتموه . قالوا : نعم في بردين

(١) الكفن لباس الميت (٢) الجدث القبر و (البز) الثياب (٣) اللقافة

ما يلف به على الرجل وغيرها جمعه لقائف يراد بها هنا الكفن

(٤) قوله وكفنت وحدى منذرا : أى أكون غريبا لا أجد معينا وقوله

في ردائه أى لا أجد كفنا يليق به و (المنذر) أخو حجية الشاعر و (حوط)

ابنه وبه يكنى (٥) نذر بالشىء كفرح علمه فخره و (انذره بالامر) أعلمه

وخره وخوفه في ابلاغه

أحدهما بخمس وعشرين بكرة قال : فأروني قبره . فأروه اياه . فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال ؟ كانكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزمي . فوالله ما بت مذعقت الا وارا أو موتورا أو طالبا أو مطلوباً حتى قتل معاوية فما ذقت طعام نوم بعده . وقال مهلهل بن ربيعة من رثاء أخيه كليب

فا بكين سيد قومه واندبته شدت عليه قباطي الا كمان (١)

وفد جاء ذكر الحنوط وترجيل الشعر والكف في شعر يزيد بن حذاق قال ابن قتبية انه أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره حيث قال هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق قدر جلوني وما بالشعر من شعث والبسوني ثيابا غير أخلاق وطيبوني وقالوا أيما رجل وأدرحوني كاني طي مخراق وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ليسندوا في ضريح القبر أطباق وقسموا المال وأرفضت عوائدهم وقال قائلهم مات ابن حذاق هون عليك ولا تولع باشفاق فاما مالنا لاوارث الباقي وجاء الشرع الاسلامي فأقر تحبيط الميت وتكفينه . وكره تسريح شعره الصلاة على الميت - كانوا يصلون على موتاهم وصلاتهم اذا مات الرجل وحمل على سريره ان يقوم واياه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه . قال رجل من كلب في الجاهلية لابن ابن له

اعمرو ان هلكت وكنت حياً فاني مكثرت لك من صلاتي

قيل وأول من صلى في الجاهلية على الميت عطيرة بن صعيب السكسكي . ومن بايغ ما ورد من ذلك في الاسلام ما ذكره الحرمازي وغيره من ان الاحنف بن قيس لما مات بالسكوفة أبام خرج مع مصعب بن الزبير الى قتال المختار فاما دفن قامت امرأة على قبره من بني منقر فقالت : لله درك من حجر في جنن ومدرج في كفن ففسأل الذي فجعا بموتك وابتلايا بفقدك

(١) القبطية بالضم وقد تكسر ثياب من كنان تنسج بمصر ومنسوبة

الى القبط على غير القياس كالدهرى جمعه قباطي بالتشديد وقباطي بالتخفيف

أن يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وان يوسع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك . ثم اقبلت بوجهها على الناس فقالت ، معشر الناس أن أولياء الله في بلاده شهود على عباده وانافأولون حقاومثنون صدقا . وهو أهل الحسن الثناء وطيب الدعاء ثم اقبلت على الفبر فقالت : اما والذي كنت من أجله في عدوة ومن الضمان الى غاية ومن الحياة الى نهاية الذي رفع عملك عند انقضاء أجلك لقد عشت حميدا مودودا ولقد مت فقيدا سعيدا وان كنت لعظيم السلم فاضل الحلم واد كنت من الرجال اشريفا وعلى الارامل عطوفا وفي العشرة مسودا والى الخلقاء موفدا ولقد كانوا اقوالك مستمعين ولرايك متبعين . فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها سرير الميت ، - كانوا يحملون الميت اما عنى الحارج وهر خشب يشد بعضه الى بعض قال امرؤ القيس

فاما ترى في رحالة جابر على حارج كالقر تينفق أكفاني (١)

وأما على النعش وهو سرير الميت وقيل النعش للمرأة والسرير للرجل ذكر ذلك ابن سيده في المختص . وعلى احتصاص المرأة بالنعش فأول امرأة حملت في نعش زينب بنت جحش زوج النبي عليه السلام كما حكاه القلقشندي في صبح الاعشى لكن جاء في كتاب وفا الوفا باخبار دار المصطفى ما يقتضى ان أول امرأة حملت في نعش منى فاطمة بنت رسول الله وذات انها بعد وفاة أبيها كمدت سبعين بين يوم وليلة فقالت : يا أسماء بنت عميس انى لا استحي من جلالة جسمي اذا أخرجت على الرجال غدا وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء وقيل قالت يا أسماء انى قد استقبحت ما يصنع بالذنا انه يطرح على المرأة الثوب فيصنفها . قالت أسماء : يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئا رأيت به بأرض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحننها ثم طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة :

(١) الرحالة هنا خشبة كان يحمل عليها امرؤ القيس وكان مريضا وجابر من

بنى تغلب وكان هو وعمرو بن قميئة يحملانه و(الحارج) خشب يحمل فيه الموتى و(الفر) مركب من مراكب النساء كالهودج

ما أحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل . فإذا أنامت فاعلميني أنت وعلى ولا ندخلي على أحدا فلما توفيت جاءت عائشة تدخل . فقالت أسماء لا تدخل فمشكت إلى أبي بكر قالت . إن هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن على بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فقالت أمرتني ألا أدخل عليها أحد وأريتها هذا الذي صنعت بهي حية فأمرتني أن أصنع ذلك لها . قال أبو بكر : فأصنعي ما أمرتك ثم انصرف وغسلها على وأسماء (١) رضى الله عنهما وروى أن فاطمة لما أرثها أسماء النعش تبسمت وما رؤيت متبسمة بعد موت النبي عليه السلام إلا يومئذ واتخذ النعش بعد ذلك سنة

قال ابن عبد البر فاطمة أول من غطي نعشها من النساء في الإسلام على الصفة المذكورة في الخبر المتقدم ثم بمدّها زينب بنت جحش صنع بها ذلك) وعلى ذلك فأهلية زينب بنت جحش التي حكاهما القاضى دى انما هي بالنسبة لمن عدا فاطمة .

تشيعم الجنازة - فاذا وضعوا الميت على سريره حملوه وساروا به الى

القبر . قال حاتم الطائي

فاصدق حديثك ان المرء يتبعه ما كان يبني اذا مالمعه حملا

وقالت الخنساء ترثي صخر

وبائلة والنفس قد فات خطوها لتدركه يالهدف نفسي على صخر

الا تكلت أم الدين غدوا به الى الفرم ماذا يحملون الى القبر

وكانت تحمل السيران في تشيعم الجنازة وتتبعها النوائج وقد نهى الإسلام

(١) منعت الخنافية الزوج من تغسيل زوجته ومسها لا من النظر اليها

وأجازته الائمة الثلاثة وحجتهم غسل على لفاطمة واحتج الخنافية بقوله عليه

السلام كل سبب ونسب ينقطع بالموت الا سببي ونسبي مع أن بعض الصحابة

أنكر على علي ذلك

عن ذلك لانه من شعار الجاهلية وقال عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة من حديث له رواه مسلم في صحيحه فاذا انا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا على التراب ساء (١) ثم اقيموا حدي قدر ما تنحرجون ويقسم لهما حتى استأنس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي فوهم ناجزاة - كانوا يقومون للجسارة ويقولون كنت في اهلك ما أنت

مرتين . وشاهده مارراه البخاري في صحيحه بسنده قال اخبرني عمرو ان عبد الرحمن بن القاسم حدثه ان القاسم كان يمشي بين يدي الجسارة ولا يقوم لها ويخبر عن عائشة انها قالت كان اهلك في الجاهلية يقومون لها ويقولون اذا رأوها كنت في اهلك ما أنت مرتين

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري . أي يقولون ذلك مرتين وما موصولة وبعض الصلة محذوف . والتقدير كنت في اهلك الذي كنت فيه . أي الذي أنت فيه الآن كنت في الحياة مثله لانهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون أن الروح اذا خرجت اصير طيرا فان كان لك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس ويحتمل أن يكون قولهم هذا دعاء لليت ويحتمل أن تكون ما نافية ونقظ مرتين من تمام الكلام أي لا تكوني في اهلك مرتين المرة الواحدة الى كنت فيهم انقضت وليست بعائدة اليهم مرد أخرى ويحتمل أن تكون ما استفهامية أي كنت في اهلك شريفة فأى شيء أنت الآن يقولون ذلك حزنا وتأسفا عليه

مقابرهم كانوا يحفرون لموتهم قبورا أو لحودا (١) يدفنونهم بها قال

عنبرة العيسى

بالله ما بال الاحبة أعرضت عنا وراحت بالفراق صدودها
رضيت مصاحبة البلى واستوطمت بعد البيوت قبورها ولحودها

وقال حاتم الطائي

(١) سن التراب صبه في سهولة (٢) القبر مدفن الالسان و (الاحود)

جمع اللحد بالفتح والضم وهو الشق يكون في عرض القبر .

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى اذا حشرت يوم ما وضاق بها الصدر
اذا أنا دلانى الذين أحبهم بملح ودة زلخ جوانبها غبر
ورا حواسرا عاينفضوا كفههم يقولون قد دى أنا ملنا الحفر
ومن القبور ما يبنى ومنه ما يجعل فوقه كومة من التراب وتوضع فوقها
الحجارة لتدل على مكان القبر قال طرفة بن العبد
أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد (١)
ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد (٢)
وقال لبيد بن ربيعة العامرى
وهل هو الا ما ابنتى فى حياته اذا قذفوا فوق الضريح الجنادلا
وقال دريد بن الصمة يرثى معاوية أخا الخنساء لما قتلتها بنو مرة
رأيت مكانه فمطقت زورا وأين مكان زور يا ابن بكر
الى ارم وأحجار وصير وأغصان من السمات سمر (٣)
وبنيان القبور أنى عليها طوال الدهر من سنة وشهر
وقال البرج بن مسهر الطائى
نطوف ما نطوف ثم بأوى ذوو الاموال منا والعديم
الى حفر أسافلهم جوف وأعلاهن صفائح مقيم (٤)
وقالت الخنساء من قصيدة ترثى بها صخر
فى جوف رهس مقيم قد تضمنه فى رسمه مقمترات وأحجار (٥)

- (١) النحام البخيل و (الغوى) الضال والبطالة ضد العمل (٢) جثوتين
تثنية جثوة بالتثليث وهى الكومة من التراب وغيره و (صفائح) جمع صفيحة
وهى حجارة عراض رقاق و (منضد) مجعول بعضه فوق بعض
(٣) الارم كعنب العلم و (الصير) واحده صيرة وهى حظيرة الغنم .
(٤) الجوف المطمئن من الارض و (الصفائح) حجارة عراض رقاق
(٥) قال أبو عمرو مقمترات صخور عظام وأحجار صفار

وقال حفص بن الاحنف الكنانى (١)

نمرت قلوصى من حجارة حرة بنيت على طلق اليمين وهوب (٢)
لا تنهرى يا ناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب (٣)
واذا كان للميت منزلة وشرف بنوا على قبره قبة أو بيتا أو بناء مشرفا
كأطم من الآطام مباهاة ونفراً واماظما وزهواً فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك . وقال عدى بن ربيعة المعروف بالمهلل التغلبى من قصيدة فى رثاء
كليب أخيه وكانت على قبره قبة رفيعة

سألت الحى أين دفنتموه فقالوا لى بسفح الحى دار
فسرت اليه من بلدى حثيثاً وطار النوم وامتنع القرار
وحادت ناقتى عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفخار

ومن ذلك ما رواه الاصبهاني فى الاغانى عن الاصمعى وأبى عبيدة ان
رحلا من غنى . يقال له قيس الدماى وفد على بعض الملوك . وكان قيس سيدا
جوادا فلما حفل المجلس أقبل الملك على من حضره من وفود العرب . وقال
لاصمى تاجى على أكرم رجل من العرب فوضعه على رأس قيس وأعطاه ما
شاء ونادمه مدة ثم أذن له فى الانصراف الى بلده فلما قرب من بلاد طى
خرجوا اليه وهم لا يعرفونه ففتلوه فلما علموا أنه قيس ندموا لا ياد له كانت
فيهم فدفنوه وبنوا عليه بيتا — وقد بنى المنذر الاكبر الغريانى وهما منارتان
على قبرى عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الاسديين . وسنذكر خبرهما
عند الكلام على العقر — واذا كان الميت من النصرارى وضعوا جثته فى
صندق يسمى التابوت ويسمى الاران أيضاً .

(١) فى الاغانى ان هذا الشعر ينسب لحسان بن ثابت وقيل أيضاً انه

لضرار بن الخطاب النهري . وذكر ان محمد بن سلام قال الصحيح انها لعمرو
ابن شقيق أحد بنى فهر بن مالك قال ومن الناس من يرونها لكرز بن حفص
ابن الاحنف العامرى وعمرو بن شقيق أولى بها (٢) الحرة بفتح الحاء أرض
ذاب حجارة نخرة سود (٢) المسعر الذى كانه آلة فى ايقاد الحروب

حمى القبر . من عاداتهم أن يجعلوا لقبر الشريف حمى لا ينتهك . حكى أبو عبيدة عن الحرمازي قال لما مات عامر بن الطفيل نصبت عليه بنو عامر أنصابا ميلا في ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش وكان جبار (١) بن سلمى غائبا فلما قدم . مر بقبره فقال ما هذه الانصاب قالوا نصبناها على قبر عامر . فقال ضيقتم على أبي علي وأفضاتم منه فضلا كثيرا ثم وقف على قبره وقال : أنعم صباحا أبا علي . فوالله لقد كنت تش الغارة وتحمى الجارة سريعا الى المولى بوعدك بطيئا عنه بايعادك وكننت لا تصل حتى يضل النجم ولا تعطش حتى يعطش البعير ولا تجبن حتى يجبن السيل وكننت والله خير ما كنت تكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا .

وعامر بن الطفيل هذا كان سيدا شريفا ينادى بسوق عكاظ ويقول : هل من راجل فاحمله أو جائع فأطعمه أو خائف فأؤمنه وقد أدرك الاسلام . وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسده وساده ثم قال أسلم يا عامر . قال : على ان لي الوبر ولك المدر . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام عامر مغضبا فولى وقال لا ملانها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ولا ربطن بكل نخلة فرسا . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم اهدني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت وكيف شئت وانى شئت فخرج عامر فأخذته غدة مثل غدة البكر فأوى الى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يثب وينزو في السماء ويقول : ياموت ابرز لي . غدة مثل غدة البعير وموت في بيت سلولية

نضح القبر بالحجر — كانوا ينضحون قبر العزيز عندهم بالحجر قال نصر بن غالب أصب على قبركما من مدامة فلا تذوقاها تروثا كما وقال حاتم يوصي امرأته بنضح الحجر على قبره

(١) كذافي الكامل للمبرد وفي مجمع الامثال انه حبان بالحاء المهمة آخره

نون ابن سلمى بن عامر بن مالك

أماوى امامت فاسمى بنطقة من الحجر ربا فانضحن بها قبرى
السقيا للقبر — وكانت العرب تحب نزول المطر على القبور وقد طلبت
لها السقيا قال المانعة الذبياني من قصيدة يرثى بها النعمان بن الحارث بن
أبى شمر الغساني

سقى الغيث قبرايين بصرى وجاسم لغيث من الوسمى قطر ووابل (١)
ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منتهاه ديمة ثم هاطن (٢)
وينبت حوذانا وعرفا مورا سابعه من خير ما قال قائل (٣)
وقد أوصى المتأسس بذلك فى قوله من قصيدة يرثى بها نفسه
خليلى امامت يوم اوزحزحت منابا كما فيماير حزحه الدهر
فرا على قبرى فقومما فساما وقولا سقالك الغيث والقطر باهبر
وفال مهاهل من قصيده فى رثاء أخيه كليب
أجبنى يا كليب خلاك ذم لقد فجعت بفارسها نزار
سقالك الغيث انك كنت غينا ويسرا حين يدمس اليسار
والاشعار فى هذا المعنى كثيرة مستهيمضة

وقد اختلف فى سبب استسقاءهم لها فقال الوزير أبو بكر عاصم بن
أيوب البطلبوسى تدعو العرب للقبور بالسقيا ليكثر الخصب حولها فيقصد
كل من مر بها دعاء لها بالرحمة
وقال التبريزى فى شرح الحماسة عند قول عكرشة العيسى من رثاء بنيه
سقى الله أجدانا ورائى تركتها بحاضر قنسرين من سبل القطر

(١) بصرى وجاسم موضعان بالشام و (الوسمى) أول المطر لانه يسم
الارض بالنبات (٢) وروى ابن الاعرابى : ريحان ومسك يثيره على
منتواه . و (يثيره) أى يهيج رائحته ويذكيه و (منتواه) موضع تباعده
عن الاحياء . ومن روى منتهاه أراد قبره لانه الموضع الذى ينتهى اليه سعى
الانسان (٣) الحوذان والعرف نباتان الا أن الحوذان اطيب رائحة .
وقوله (سأبعه من خير ما قال قائل) أى سأثنى عليه بأحسن القول

مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرير على قدر
ولو يستطيعون الرواح تروحو معي وغدوا في المصبحين على ظهر (١)
لعمري لقد وارت وضمت قبورهم أ كفاً شداً القبض بالاسل السمر
والقصد من طلب السقيا لها أن تبقى عهداً غضة من الدروس طرية لا يتسلط
عليها ما يزيل جدتها ونضارتها ألا ترى انه لما أراد الشاعر ضد ذلك قال :

فلا سقاها الا النار تضطرم * وقال السهيلي عند قول كعب بن مالك في
رثاء من قتل من الشهداء يوم موتة
صلى الأله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل

(وقوله وسقى عظامهم الغمام المسبل يرد قول من قال انما استسقت العرب لقبور
أحبتها لتخصب أرضها فلا يحتاجوا الى الانتقال عنها لطلب النجعة في البلاد .
وقال قاسم بن ثابت في الدلائل فلهذا كعب يستسقى لعظام الشهداء بموتة وليس
معهم وكذلك قول الآخر

سقى مطفيات المحل جوداً وديمة عظام ابن ليلي حيث كان رميمها
فقوله حيث كان رميمها يدل على أنه ليس مقبياً معه وانما استسقاؤهم لاهل القبور
استرحام لهم لان السقيا رحمة وضدها عذاب)

وكانت العرب تزعم أن المطر يسقى قبر أحد بنى عبد القيس ونسله حكى
ابن عبد ربه في كتاب النسب من العقد الفريد أن رباب بن زيد بن عمرو بن
جابر بن ضبيب كان ممن وحد الله في الجاهلية وسأل عنه النبي وقد عبد القيس .
وكان يسقى قبر كل من مات من ولده . وفي ذلك يقول الحجين بن عبد الله
ومنا الذي بالبعث يعرف نسله اذا مات منهم ميت جيد بالقطر
رباب وأنى للبرية كلها بمثل رباب حين يخطر بالسمر

وفي المعارف لابن قتيبة (أرباب بن رباب (٢) هو من عبد القيس من شن .
وكان على دين عيسى وسمعوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم منادياً ينادى

(١) أى لغدوا في صباح اليوم التالي على ظهر الارض ولم يصيروا في بطنها
مع الاموات (٢) في السيرة الحلبية نقلا عن ابن قتيبة أن اسمه رباب بن البراء

خير أهل الارض ثلاثة رثاب الشنى وبجيرا الراهب وآخر لم يأت بعد يريد
النبي صلى الله عليه وسلم . وكان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن الا رأوا
طشا على قبره) والطرش المطر الضعيف

العقر على القبر ونضجه بالدماء - كانوا يعقرون (١) على قبر العظيم أو السيد

الشريف الخليل او النوق وينضحون القبر بدمائها . وقد ذكر سبب عقرهم الابل
ابن السيد فيما كتبه على كامل المبرد فقال « واختلف في سبب عقرهم الابل على
القبور فقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعتر من
الابل في حياته وينحره للاضياف واحتجوا بقول زياد الاعجم

وانضح جوانب قبره بدمائها فاقدم يكون أخادم وذبايح

وقد قال قوم انما كانوا يفعلون ذلك اعظاما للميت كما كانوا يذبحون للاصنام
وقيل انما كانوا يفعلونه لان الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فكأنهم
يثأرون لهم منها . وقيل ان الابل أنفس أموالهم فكأنهم يريدون بذلك انها
قد هانت عليهم لمعظم المصيبة « نقل ذلك عنه البغدادي في خزانة الادب .
والشواهد على عقر الابل والخليل كثيرة من ذلك ما حكاه المبرد في الكامل
أن رجلا عربياً وقف على قبر النجاشي فترحم وقال : لولا أن القول لا يحيط
بما فيك والوصف يقصر دونك لا لمنبت بل لاسهيت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر النجاشي ناقى بايضا غضب أخايمته سياقله

على قبر من لو انى مت قبله لهانت عليه عند قبرى رواجه

وقال حريبة بن الاشيم الفقعسى يوصى ابنه بأن يعقر على قبره

اذا مت فادفنى بجداء ما بها سوى الاصرخين أو يفوز راكب

فان انت لم تعقر على مطيتى فلا قام فى مال لك الدهر حال (٢)

ولا تدفنى فى صوى وادفنى بدعومة تنزو عليها الجنادب (٣)

(١) عقر البعير بالسيف عقرا من باب ضرب اذا ضرب قوائمه به لا يطلق
العقر فى غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا فى المصباح (٢) يدعو عليه
بفقد ما يحلب من الشاء والابل اذا لم يعقر مطيته (٣) الصوى جمع صوة بضم

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « وقد ذكرت في مجموعي المسعى بالعقري الحسان ان أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالغ رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانها هذه الآيات واستشهد بها على ما كانوا يعتمدون في البلية وقلت انه وهم في ذلك وانه ليس في هذه الآيات دلالة على هذا المعنى ولا لها به تعلق وانما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته اما لكي لا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدي المعقور بمكة أو كما كانوا يعقرون عند القبور . ثم قال ومذهبهم في العقر على القبور مشهور وليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البلية فان ظن ظان ان قوله أو يفوز راكب فيه ايماء الى ذلك فليس الامر كما ظنه ومعنى البيت ادفى بفلاة جداء مقطوعة عن الانس ليس بها الا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة وهي المهلكة سموها مفازة على طريق الفأل وقيل انها تسمى مفازة من فور أي هلك فليس في البيت ذكر البلية ولكن الخالغ اخطأ في ايراده في هذا الباب كما اخطأ في هذا الباب أيضا في ايراده قول مالك بن الريب

وعطل قلوصى في الركاب فانها ستبردا كبادا وتبكي بواكيا
فظن أن ذلك من هذا الباب الذي نحن فيه ولم يرد الناعر ذلك وانما أراد
لا تركبوا راحلتى بعدى وعطلوها بحيث لا يشاهدا أعادى وأصادق ذاهبة
جائية تحت راكبها فيشمت العدو ويساء الصديق

ومن العقر على القبور ما ذكره أبو علي القالى في الامالى قال لما مات عمرو
ابن حمزة الدوسى وكان أحد من يتحاكم اليه العرب مر بقبره ثلاثة نفر من أهل
يثرب قادمين من الشام الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد أبو كلثوم
ابن الهدم الذى نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعتيك بن قيس بن هيشة
ابن أمية بن معاوية وحاطب بن قيس بن هيشة الذى كانت بسببه حرب حاطب
فمقروا رواحلهم على قبره وقام الهدم فقال

الصاد وهو ما غلظ وارتفع من الارض و (الديمومة) الفلاة الواسعة
و (نزو) تثب و (الجندب) الجراد جمعه جنادب

لقد ضمت الاثراء منك مرزاً
حليم اذا ما الحلم كان حزامه
اذا قلت لم تترك مقالا لقائل
ليبكك من كانت حياتك عزه
سقى الارض ذات الطول والعرض مشجماً
وما بي سقيا الارض لكن تربة
وقام عتيك بن قيس فقال :

برغم العلاء والجود والمجد والندى
لقد غال صرف الدهر منك مرزاً
يضم العفاة الطارقين فناؤه
ويسرو دجى الهيجا مضاء عزيمة
ويستهزم الجيش المرصم باسمه
وينقاد ذو البأو الابى لحكمه
ومضى اذا ما الحرب مد رواقه
فأما تصبنا الحادثات بنسكبة
طواك الردى ياخير حاف وناعل
نهوضاً بأعباء الامور الاثقل
كما ضم أم الرأس شعب القبائل (٥)
كما كشف الصبح أطراق الغياطل (٦)
وان كان جرارا كثير الصواهل
فيرتد قسراً وهو جم الدغاؤل (٧)
على الروع ورفضت صدور العوامل (٨)
رمتك بها احدى الدواهي الضآبل (٩)

(١) الاثراء جمع الثرى وهو التراب الندى و (الرزينة . المصيبة كالرزء
(٢) الحزامه والحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة (٣) الصفر خلاف العظم
(٤) مشجماً أى سحاب سريع المطر مديمه و (الاحم) الاسود من كل شئ
و(الرحى) وسط الغيم ومعظمه ووسط الحرب ومعظمها (٥) العافى الرائد
والوارد والضيف وكل طالب فضل أو رزق و قبائل الرأس) واحده قبيلة
للقطع المشعوب بعضها الى بعض (٦) يسرو يكشف و الدجى) الظلمة و(الهيجا)
الحرب و (اطراق) اطرق الليل ركب بعضه فوق بعض و (الغيطة) الظلمة أو
اختلاط الاصوات وقال ابن الاعرابى هى التفاف الناس واجتماعهم (٧) البأو
الفخر و (الدغاؤل) الدواهي (٨) الروع الفزع و (ارفضت) سالت و(عامل)
الرمح وعاملته صدره (٩) الضآبل الدواهي واحدها ضآبل

- فلا تبعدن ان الختوف موارد
وقام حاطب بن قيس فقال :
سلام على القبر الذي ضم أعظما
سلام عليه كلما ذر شارق
فيا قبر عمرو جاد أرضا تعطف
تضمنت جسما طاب حيا وميتا
فلو نطقت أرض لقال ترابها
الى مرمرس قد حل بين ترابه
فلو وألت من سطوة الموت مهجة
فلا يبعدنك الله حيا وميتا
وقد كنت تمضي الحكم غير مهمل
لعمر والذى حطت اليه على الونا
لقد هدم العلياء موتك جانبا
ومن العقر على القبور في الجاهلية عقر المنذر الاكبر على قبر عمرو بن مسعود
وخالد بن نضلة الاسديين الابل والحيل وطلاهما بالدماء . وقد بنى على قبرهما
الغريان (٨) روى انهما كانا يفدان على المنذر الاكبر في كل سنة فيقيمان
عنده ويادمانه وكانت اسد وغطقان لا يدينون للملوك ويغيرون عليهم فوفدا
سنة من السنين فقال المنذر لخالد يوما وهم على الشراب يا خالد من ربك فقال
(١) الوائل طالب النجاة (٢) ذر طلع (٣) المات السحاب الدائم المطر (٤) والمرزم)
الرعدي الشديد صوته (٤) المرمرس القبر والاضبط والضيغم اسمان للاسد
(٥) وألت نجت ويشتم يبطن ويشتم يحرك ويدفع (٦) المهمل المتوقف يقال
حمل عليه فما همل و (الابل) الظلوم و (الغشمشم) الذي يركب رأسه ولا يشبه
شيء مما يحب ويهوى (١٠) الحداير جمع حدبار وهي المنحنية الظهر (والني) الشحم
و (المتهم) الذائب (٨) في القماموس الغري كغنى البناء الجيد ومنه الغريان بناء ان
مشهوران بالكوفة .

خالد عمرو بن مسعود ربي وربك فامسك عنهما ثم قال لهما ما يمنعكما من
الدخول في طاعتي وان تدنوا مني كما دت تميم وربيعة فقالا أبيت اللعن هذه
البلاد لا تلائم مواشينا ونحن مع هذا قريب منك بهذا الرمل فاذا شئت
أجبتك فعلم انهما لا يدخلان في حكمه فأوحى الى الساقى فسفاهما سما فانصرفا
من عنده بالسكر على خلاف ما كانا ينصرفان فلما كان في بعض الايمل أحس
حبيب بن خالد بالامر لما رأى من شدة سكرهما فنادى خالدا فلم يجبه فقام
اليه فحركه فسقط بعض جسده وفعل بعمره ومثل ذلك فكان حاله كحال
وأصبح المنذر نادماً على قتلهما فغدا عليه حبيب بن خالد فقال أبيت اللعن
أسعدك الاهل نديك وخيالك نتابعا في ساعة واحدة فقال له يا حبيب
أعلى الموت تستعديني وهل ترى الا ابن ميت وأحاميت ثم أمر فحفر لهما
قبران بظاهر الكوفة فدفا فيهما وبنى عليهما منارتين فهما الغريان وعقر على
قبر كل خمسين فرسا وخمسين بعيراً وغراهما بداءها وجعل يوم نادمهما يوم
نعيم ويوم دفنهما يوم بؤس

ومن هذا الباب أيضاً ما حكاه الاصبهاني في الاغانى أن حسان بن ثابت

لما مر بقبر ربيعة بن مكدم قال يعتذر لمدم عقر ناقته على قبره

لا يبعث ربيعة بن مكدم	وسقى الغواذى قبره بذنوب (١)
نفرت فلوصى من حجارة حرة	بنيت على طلق اليدى وهوب
لا تنفري باناق منه فانه	شريب خمر مسعر لحروب (٢)
لولا السفرار ولعد قفر مهمه	لتركتها تحبو على عرقوب (٣)

(١) هذا الشعر نسبة أبو تمام في الحماسة لحفص بن الاحنف الكنانى
وقدمنا انما من تنسب له هذه الابيات أيضاً . و (الذنوب) الدلو العظيمة
وقيل لا تسمى ذنوباً حتى يكون فيها ماء وقد استعاره للغيث . وربما
جعل الذنوب في الحظ والنصيب (٢) المسعر الذى كانه آلة في أسعار الحرب
(٣) المهمة الممازة . و (الحبو) الزحف قبل القيام ويفعله البعير
المعقول وهو يريد المشى و (العرقوب) من الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى

فبلغ شعره بنى كنانة فقالوا والله لو عقرها لسقنا اليه الف ناقة سود الحدق ولا عبرة لقول ابن عبد ربه في العقد الفريد « كان يعقر على قبر ربيعة بن مكدم في الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره لما قدمناه ومنه ظهر ان العقر من سنن الجاهلية وعاداتهم المستفضة ولمشابهته القربان الذي يقدم للاصنام نهى نبيه الصلاة والسلام عنه بقوله لا عقر الاسلام ولتأصل هذه العادة من نفوس العرب لم يجتنبها بعضهم في الاسلام وشاهده قول أبي عمر وهانل بن العلاء الرقي (وعقر في الجاهلية على قبر ربيعة بن مكدم وفي الاسلام على قبر المغيرة بن المهلب عقر عليه كعب بن أبي ثور، وقال زياد الاعجم يرثي المغيرة ابن المهلب بن أبي صفرة

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا والبائرين وللمجد الرائع (١)

ان السامة والمرودة ضمنا قبرا بمرور على الطريق الواضح

فاذا صررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف ساجح (٢)

وانضج جوانب قبره بدمائها فلقد يكرن أخادم وذبايح (٣)

يروى ان زياداً الاعجم أنشد المهلب هذه القصيدة فلما أتى على قوله

فاذا صررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف ساجح

قال له مهلا عقرت عاينه يا أبا امامة فرسك قال انى كنت على مقرف ولو

يديها وقوله (تحبو على عرقوب) كناية عن الذبح لان العرب كانوا

يضربون ساق الناقة قبل ذبحها قال أبو طالب

ضروب بنصل السيف سوق سمانها اذا عدموا زادا فانك عاقر

(١) روى أبو الحسن والغزى اذا غروا و (القوافل) جمع فافلة وهي

الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها و (الغزاة) جمع غاز

(٢) عقر البعير اذا ضرب بالسيف قوائمه و (الكوم) بالضم جمع

كوماً بالفتح والمد الناقة السمينه و (الجلاد) جمع جلدة وهي أدمم الابل

لبنا و (الطرف) بكسر الطاء الاصيل من الخيل و (ساجح) جار بقوة و يروى

كل طرف طامح (٣) المضج الرش القليل

كنت على عتيق (١) لفعلت فاستحسن قوله وقال لمن حضره من ولده
ومواليه لينفذ كل واحد منكم الى زياد فرساً من خيله فانصرف بمدة افراس
ومن ذلك قول الفرزدق يرثي بشر بن مروان ويزعم انه عقر فرسه على
قبره من قصيدة أولها

أعيني الا تسمداني المكما وما بعد بشر من عزاء ولا صبر (٢)
وقل جداء عبيرة تسفحانها على انها تشفى الحرارة في الصدر (٣)
ولو أن قرما قاتلوا الموت قبلنا بشيء لقاتلت المنية عن بشر
الى أن قال في عقر فرسه

أقول لمحبوك السراة كأنه من الخيل مجنوب الاطاقة والخصر (٤)
أغر صريحاً أبوه وأمه طويل أمرته الجياد على شرد (٥)
أنه سهل عندي بعد بشر ولم تذق ذكورة قطاع الضريبة ذى أثر (٦)
غضبت ولم أملك لبشر بصارم على فوس عند الجنازة والقبر (٧)
حافت له لا يتبع الخيل بعد ما صحیح الشوى حتى تكوس من المقر (٨)
ألس شحيحاً ان ركبتك دمدها ليوم رهان أو غدوت مبي تجرى
وقال أبو عبدة دعوى المرزدق أنه عقر فرسه على بشر بن مروان كذب
و(كانوا) يطعمون ما يعقر للفقراء والمساكين
وقد أحسن بعض المحدثين في هذا المعنى فقال

(١) المقرف من الفرس وغيره من أمه عربية لا أبوه والفرس (العتيق)
الكریم (٢) أسعده الله أعانه (٣) الجداء الثواب (٤) محبوبك
السراة قوى الظهر (٥) الصريح فرس عبد غوث بن حرب وآخر لبني
نهشل وآخر للخم و(أمرته) فتلتته و(الشذر) قتل الجبل عن اليسار والمعنى
ان آباءه أورثته القوة (٦) المذكور من السيوف ذو الماء و(الضريبة)
حد السيف و(الاثر) فرند السيف وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل
(٧) الجنازة الميت (٨) الشوى اليدان والرجلان والاطراف (كاس)
البعير مشى على ثلاث قوائم وهو معرّقب

أيها الناعيان من تنعيان وعلى من أراكا تبكيان
اندا بالماجد الكريم أبا اسحاق رب المعروف والاحسان
واذهبا بي ان لم يكن لكما عقة — ر الى جنب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد كان دمي من نداه لو تعلمان

العقر للضيافة نيابة عن الميت — كما كانوا يعقرون الابل والخيول عند نزول
الموت أشمارا بأن أنفس أموالهم هانت عليهم لعظم المصيبة كانوا يعقرون
عند القبر اذا صروا به نيابة عن الميت في قرى الضيفان قال التبريزي في شرح
الجماسة عند قول حسان بن ثابت

لولا السفر وبعد قعر مهمه لتركتهما تحبو على عرقوب
كانت المادة في العرب ان الواحد اذا اجتاز بقبر كريم كان مأوى
للضياف ينحر راحلته ويطعمها للناس اذا أعوز الزاد ولم يتسع يفعل ذلك
نيابة عنه الا أن يمنع مانع من بعد سفر أو ما يجري مجراه فصار هذا
يعتذر من ابقائه على راحلته وقال في شرح قول حرير يرثي قيس بن ضرار
ابن القمقاع

وحق لقيس أن يباح له الحمى وأن تعقر الوحناء أن خف زادها
كان الواحد منهم اذا مر بقبر رئيس وهر في صحبة أحب أن ينوب عن
المقبور في الضيافة واذا لم يساعده من الطعام ما يدعو الناس اليه عقر ناقته
اكراما لذلك قال : وان تعقر الوحناء ان خف زادها — ثم قال وذكر النخري ما
يشبه هذا ورد عليه أبو محمد الاعرابي فقال ان قوله وان تعقر الوحناء ان خف
زادها مثل قول سعيد بن العاص بن أمية يرثي هشام بن المعيرة

ألا هلاك المأمول وهو نجيب ومن هو زاد الركب حين يقووب
فان لم يكن زاد فان قصاره من المفرقات صعبة وركوب
ومن العقر على القبر للقرى ما ذكره المبرد في الكامل عن هذم مكاتب لبني
منقر حين ظلع بمكاتبته فأتى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن
في عمامته ثم أتى الفرزدق فأنشده

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعد ما خشيت الردى او ان أُرده على قسر
بقبر امرىء تقرى المثين عظامه ولم يك الا غالباً ميت تقرى
فقال لي استقدم أمامك انما فكاكك أنت تلتقى الفرزدق بالمعمر

قال المبرد يريد بقوله تقرى المثين عظامه انهم كانوا ينحرون الابل عند
قبور عظامهم فيطعمون الناس في الحياة وبعد الممات وهذا معروف في أشعارهم
اتخاذ البلية - وقد كان من مذهبهم في الجاهلية اتخاذ البلية وهي ناقة

تعقل عند قبر صاحبها اذا مات حتى تموت جوعا وعطشا

وذكر البلية مطرود بن كعب الخزاعي من قصيدة يرثي بها المطلب وبنى
عبد مناف جيمًا حين أتاه نعي نوفل بن عبد مناف في قوله

يا عين فابكى أبا الشمث الشجيات يبكيه حسرا مثل البليات (١)

يبكين أكرم من يمشى على قدم يعولنه بدموع بعد عبرات

وقد بين مذهبهم في ذلك ابن أبي الحديد فقال «والبلية انهم اذا مات منهم كريم
بلوا ناقته أو بعيره فمكسوا عنقها وأداروا رأسها الى مؤخرها وتركوها في
حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما أحرقت بعد موتها وربما سلخت
وملى جلدًا ثمامًا وكانوا يزعمون أن من مات ولم يبلى عليه حشر ماشيًا ومن
كانت له بلية حشر راكبًا على بليته ، وقد ذكر القلقشندي في صبح
الاعشى «أن العرب كانت أشد نفة الميت الى قبره ويقبلون رأسها الى ورائها
ويغطون رأسها بولية وهي البرذعة فاذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى .
ويزعمون أنهم اذا فعلوا ذلك حشرت معه في المعاد ليركبها » . وقد قال أبو زيد
في تشبيه رجال بالبليات

كالبليات رهوسها في الولايا مانحات السموم خرز الخدود

والولايا البراذع وكانوا يقورون البرذعة ويدخلونها في عنق تلك الناقة

وقال الشهرستاني كانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يبلى

ظهرها أو مما يبلى كلكها أو بطنها ويأخذون ولاية فيشدون وسطها ويقلدونها

البليات جمع بلية

عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر .
ولا يتخذ البلية من لا يؤمن بالبعث . وقال حريبة بن الاشيم الفقعسي
يوصى ابنه بالبلية .

ياسعد أما اهلكن فاني أوصيك ان أخوا الوصاة الاقرب
لا تتركن أباك يسعي خلفهم تبعاً يخر على اليدين وينسكب (١)
واحمل أباك على بعير صالح يوم القيامة ان ذلك أصوب (٢)
ولعل لي مما جمعت مطية في الحشر أركبها اذا قيل اركبوا
وقال عويمر النبهاني يوصى ابنه أيضا

أبي لا تنس البلية انها لا يبك يوم نشوره مراكب
وقال عمرو بن زيد المتعنى يوصى ابنه عند موته بالبلية .

أبني زودني اذا فارقتني في القبر راحلة رحل قاتر (٣)
للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا (٤) مستوثقين معا لحشر الحاشر
من لا يوافقني على عثراته فالخلق بين مدفع أو عائر
وقال أبو العلاء المعري في رسالة الغفران (وقد كانوا في الجاهلية يكسعون
ناقة الميت على قبره ويزعمون انه اذا نهض لحشره وحدها قد بعثت له فيركبها
فليته لا يهض بثقله منكبها وهيئات بل حشروا عراة حفاة)
قولهم للميت لا يبعد — كان من عادتهم الدعاء للميت بنفوسهم لا تبعث
وقد كثرت أشعارهم في هذا . قال أعشى بأهله من قصيدة في رثاء المنتشر بن
وهب الباهلي

(١) في رواية : لا أعرفن أباك يحشر حلمكم . وفي رواية الخطائي

لا تتركن أباك يحشر مرة عدوا يخر على اليدين وينسكب

(٢) رواية . وتق الخطيئة انه هو أصوب (٣) القاتر من الرحال أو

السروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها الذي يقي الظهر ولا يعقره

(٤) رواية للبعث أركبها اذا قيل اركبوا

فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر اما سلكت سبيلا كنت سالكها (١)
وقالت أم عمرو ترثي ربيعة أخاها
فاذهب فلا يبعدنك الله من رجل لاقى التي كل حى مثلها لاقى
وقالت الخنساء من رثاء ل أخيها
اذهب فلا يبعدنك الله من رجل دراك ضيم وطلاب بأوتار
وقال السموءل

ياليت شعري حين أندب هالكا ماذا يؤبذنى به أنواحى
أيقظن لا تبعد قرب كريمة فرجتها بيسارة وسماح
وقال مخارق بن شهاب أحد بنى خزاعي بن مالك بن عمرو بن تميم .
كم شامت بي ان هلكت وقائل لا يبعدنك مخارق بن شهاب
المشترى حسن الثناء بماله والمالي الجففات للاصحاب
وقد قصدوا بقاء الذكركما قصد الشنفرى فى قوله وقد قطع يده من أسره
لا تبعدى اما ذهبت شامه قرب واد تقرت حمامه
ورب قرن فصلت عظامه

وقال عبد القادر البغدادي فى خزانة الادب ولب لباب لسان العرب عند
قول الخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
الضبي وابنها علقمة بن بشر وأخويه حسان وشرحبيل ومن قتل معه من
قومه فى يوم قلاب

لا يبعدن قومي الدين هم سم العداة وآفة الجزر (٢)

(١) يقال بعد بعدا من ناب فرح فرحا اذا هلك (٢) السم سينه
مثلثة و(العداة) الاعداء جمع عادٍ و(الآفة) العلة و(الجزر) يضم فسكون
جمع جزور والاصل بضمين كرسول ورسل فسكن الثانى تخفيفا والجزور هى
الناقة التى تنحر فان كانت من الفم فهى جزرة بفتحيتين - وصفتهم (أولا)
بالشجاعة والنجدة وانهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم و(ثانيا) بالكرم
ونحر الابل للاضياف فكانهم آفة للابل تصيبها فتهلكها

النازليين بكل معترك والطيبون معاقد الازر (١)
وقال ابن السينا في شرح أبيات الجمل فان قيل كيف دعت لقومها بالآ
يهلكوا وهم قد هلكوا فالجواب ان العرب قد جرت عاداتهم باستعمال
هذه اللفظة في الدعاء للميت ولهم في ذلك غرضان (احدهما) انهم يريدون به
استعظام موت الرجل الجليل . وكانهم لا يصدقون بموته وقد بين هذا المعنى
زهير بن أبي سلمى بقوله

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح
ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل نجوم السماء والاديم صحيح
يريد انهم يقولون مات حصن ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون كيف
يجوز أن يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج موتاها
وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث و(الغرض الثاني) انهم يريدون الدعاء
له بأن يبقى ذكره ولا يذهب لان بقاء ذكر الانسان بعد موته بمنزلة حياته
ألا ترى الى قول الشاعر

فائنوا علينا لا أبا لا بيكم بافعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال آخر يرثي يزيد بن يزيد الشيباني

فان تك أفنته الليالي فأوشكت فان له ذكرا سيفنى الاياليا

وقد بين مالك بن الريب المزني ما في هذا المعنى من المحال فقال من قصيدة

يقولون لا تبعد وهم يدفنوني وأين مكان البعد الا مكانيا

هذا وممن لم يجد في هذا المعنى غناء الضرار السلمي فقال

وكتيبة فرجتها بكتيبة حتى اذا التبتت نقضت بها يدي

(١) تعنى بقولها (النازليين بكل معترك) انهم ينزلون عن الخليل عند ضيق

المعترك فيقاتلون على أقدامهم وفي ذلك الوقت يتداعون نزال وتعنى بقولها

(والطيبون معاقد الازر) انهم اعفاء في فروعهم لان العرب تكنى بالشيء

عما يحويه أو يشتمل عليه و(المعاقد) اما جمع معقد بكسر القاف وهو موضع

العقد واما جمع معقد بفتح القاف وهو مصدر ميمي قال اللخمي (المعاقد) الحجز

ما كان ينفعني مقال نسايم وقتلت دون رجاهم لا تبعد (١)
ومثله قول الشاعر

يقولون لا تبعدو من يك مسدلا على وجهه ستر من الارض يبعد
وقال قراد بن غوية بن سلمى بن ربيعة بن زبان

ألا ليت شعري ما يقولن مخارق إذا جاوب الهام المصيح هامتي (٢)
ودليت في زوراء يسنى ترابها على طويلا في ذراها اقامتي (٣)
وقالوا ألا لا تبعدن اخنياله وصولته اذا القروم تسامت (٤)
وما البعد الا أن يكون مغيبا عن الناس منى نجدتي وقسامتي (٥)

معتقداتهم الدينية

نبدأ هذا الفصل باعتقادهم في الله تعالى فنقول : قد آمن به أصحاب
الاديان السماوية من العرب كما آمن به عبدة الاوثان منهم وانما حجوا للاصنام
وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور رعا منهم أنها تشفع لهم عند الله فقالوا
مانعبدكم الا ليقربونا الى الله زلي . قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات

والحجزة هي حيث ينثى طرف الارار في لوث الازار أى طيه و(الازر) جمع
ازار وسكن تخفيفا والاصل ضمها والازار عند العرب ماستر النصف الاسفل
من الانسان والرداء ماستر النصف الاعلى منه والعرب لا تكاد تلبس الا
الازر . وايس السراويل عندهم ادر . يروى ان اعرابيا مرّ بسر اويل ملقاء
فظنها قميصا فادخل يديه في ساقيهما وأدخل رأسه فلم يجد منفذا . فقال ما أظن
هذا الا من قص الشياطين (١) في رواية . وقتلت بين (٢) معنى البيت جاوب
صداه صداهم على عاداتهم فيما كانوا يقولون أن عظام الموتى تصير اصداء وهاما
(٣) أى أرسلت في حفرة معوجه يعنى اللحد و(يسنى ترابها)
أى يهال ترابها على (٤) اختياله أدلاله وتجبره و(القروم) الفحول ويريد
بنسامت القروم تنازلت (٥) القسامة الحسن وروى مكانها نسالتى
أى نجدتي وشجاعتى

والارض ليقولن الله . فكان كفرهم بخضوعهم لها الخضوع التام واحترامهم اياها أعظم الاحترام لان الله خص نفسه بغاية التعظيم ولم يرض الوساطة بينه وبين عباده لانه قريب يجيب دعوة الداع اذا دعاه وهو أقرب اليه من حبل الوريد ومن العرب من انكر وجود الله . وحكى الشهرستاني مذهبهم فقال : (وصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المهني وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضرورات فكرية وآيات قرآنية فطرية في كم آية وكم سورة فقال تعالى : أولم يتفكروا ما يصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض . وقال أولم ينظروا الى ما خلق الله . وقال يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي حاقكم فنبتت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة)

الا انبياء والرسل الكرام - قد آمن كل أهل دين سماوي بالانبياء والمرسلين الذين ذكروهم نبيهم أو أخبر عنهم كتابهم . اما الدهريون الذين أنكروا الخالق فأذكروا الانبياء والمرسلين كما أنكروهم عباد الاصنام وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق الى قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا قال الشهرستاني (وكان انكارهم لبعث الرسول في الصورة البشرية أشد واصرارهم على ذلك أبلغ وأخبر عنهم التنزيل وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا أبشر يهدونا فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتي ملك من السماء وقالوا لولا أنزل عليه ملك . ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفييع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الانصاب المنصوبة اما الأئمة والشريعة من الله اليها فهو المتكبر فيعبدون الاصنام التي هي الوسائل)

البعث والحساب - اختلف اعتقاد العرب في البعث اختلافا كثيرا فاما اكثر عباد الاصنام الذين تقربوا لله بعبادتها أنكروا بعث الاجساد مع اقرارهم بالخالق وابتداء الخلق والابداع - فقالوا (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) وقال تعالى فيهم (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم - وقد استدلل الله تعالى عليهم بالنشأة الاولى لاعترافهم بها فقال (قل يحييها الذي انشأها اول مرة) وقال (أفعمينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد) ومن أشعارهم الدالة على انكار البعث قول بعضهم
حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يأم عمرو
وقال شداد بن الاسود الليثي يرثي قتلى بدر من المشركين ويتهم بما أنزل
على سيدنا محمد

ألا من مبلغ الرحمن عني بأني تارك شهر الصيام
إذا ما الرأس زايل منكببيه فقد شبع الا نيس من الطعام
أبوعدنا ابن كبشة أن سنجيا وكيف حياة اصداء وهام (١)
أترك ان ترد الموت عي وتحييني اذا بليت عظامي

ومنهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعرض الاعمال يومئذ لحساب بقية
فيهم من الاديان السماوية وقال أعشى قيس في ذلك

فما أيبلى على هيكل بناه وصلب فيه وصارا (٢)
يرواح من صلوات الملب لك طور اسجودا وطور اجوارا (٣)
بأعظم منك تقى في الحساب اذا النسمة نفضن الغبارا (٤)

وقال حاتم الطائي في البعث واستنثاره تعالى بعلم الغيب
اما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم

(١) يريد ابن كبشة سيدنا محمد رسول الله (٢) الايبلى الراهب و(الهيكل) بيت النصرى فيه صورة مریم وديرهم و(صلب) اتخذ صليبا (٣) الجوار رفع الصوت بالدعاء (٤) النسمة الانسان جمعه نسمة

لقد كنت أطوي البطن والزاديشتهى
وقال حاتم أيضا

واني وان طال الثواء لميت
وإني لمجزى بما أنا كاسب

وقال قس بن ساعدة الأيادي في البعث وكان ممن يعتقد التوحيد
يا باكي الموت والاموات في جدث

دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم
حتى يجيئوا بحال غير حالهم

منهم عراة وموتى في ثيابهم
وهو القائل في وصية له : كلا ورب السمكة ليعودن ما باد وثن ذهب

ليعودن يوماً . وقال زيد بن عمرو بن نفيل .

فلن تكون لنفسى منك واقية
وقال علان بن شهاب التميمي

وعلمت أن الله جاز عبده
يوم الحساب بأحسن الاعمال

ومن المؤمنين بالبعث عبد الله بن تغلب بن وبرة وعبد المطلب بن هاشم وكان
يقول : انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه الى أن هلك رجل
ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فقيل له في ذلك ففكر ثم قال والله ان وراء
هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه والمسيء يعاقب بأساءته . ومنهم
عامر بن الظرب العدواني حكيم العرب القائل من وصية له : انى مارأيت شيئاً
قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعاً الا مصنوعاً ولا جائياً الا ذاهباً ولو كان
يميت الناس الداء لاحياهم الدواء ثم قال انى أرى أموراً شتى وحتى قيل له
وما حتى . قال : حتى يرجع الميت حياً ويعود ما ليس بشئ شيئاً ولذلك خلقت
السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين فقال : ويل أمها نصيحة لو كان من يقبلها
كتابة الاعمال — اعتقد بعضهم بكتابة الاعمال في هذه الدار وعرضها

(١) يعظمني من عظمه عظمة ضرب عظامه وفي رواية : يضظمني

يوم البعث . فهذا زهير بن أبي سلمى كان يمر بالعضاه وقد أورت بعد ما يبست
فيقول (لولا أن يسبني العرب لآمنت بان الذي أحيا الارض بعد يبسها
سيحيي العظام وهي رميم) أى لاعنت هذا المعتقد ثم جهر به فقال :
فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
ومعنى البيتين ان الله لا يخفى عليه خافية فلا تضمروا الغدر فيرقه الله
فى كتاب ويؤخر العقاب ليوم الحساب او يعجله فى الدنيا فينقم من
الغادر .

الايان بالقدر - كانت العرب فى الجاهلية تعتقد ان الله قدر جميع الممكنات
من خير أو شر قبل خلقها . قال الحسن البصرى لم يرل أهل الجاهلية يذكرون
القدر فى خطبهم وأشعارهم . وجاء الاسلام فزاد هذه العقيدة تأكيذا . وعن
سعيد بن أبى عروبة قال : سألت قتادة عن القدر . فقال رأى العرب تريدأم
رأى المعجم . فقلت رأى العرب . قال فانه لم يكن أحد من العرب الا وهو
يثبت وأنشد

ما كان قطعى هول كل تنوفة الا كتابا قد خلا مسطورا
ومن الايمان بالقدر قول لبيد بن ربيعة العامرى فى معلقته
فاقنع عما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علامها
وقال النابغة :

وليس امرؤ نائلا من هواه شيئا اذا هو لم يكتب

خالق أفعال الانسان - اختلف المتكلمون فى الموجد لأفعال الانسان
الاختيارية فقالت المعتزلة خلقها الانسان وحده وقالت الجبرية بل خلقها الله
وهذا الاختلاف مسبوق بالخلاف فيها عند العرب فى الجاهلية . وتوسط أهل
السنة فقالوا بوجود الجزء الاختيارى للانسان فى أفعاله

وحكى الخشنى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام خلافهم فى الجاهلية فقال :
شاعران من فحول الجاهلية ذهب احدهما فى شعره مذهب المدلية والآخر مذهب

الجبرية فالذي ذهب مذهب المدلية أعشى بكر حيث يقول
استأثر الله بالوفاء وبالعدل ل وولى الملامة الرجلا
والذي ذهب مذهب الجبرية لبيد بن ربيعة العامري حيث يقول
ان تقوى ربنا خير نفل وبأذن الله ريث وعجل (١)
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل
وذكر صاحب الاغانى أن أعشى بكر أخذ مذهبه من أساقفة نجران وكان
يعود فى كل سنة الى عبد المدان فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم
وينادهمم ويسمع من اساقفة نجران قوهم فكل شىء فى شعره من هذا
فهم أخذه

التناسخ - هو وصول روح اذا فارق البدن الى جنين قابل للروح .
وافترق القائلون به على فرقتين (الاولى) تميز انتقال الروح لجسد ولو لم يكن
من نوع الجسد الذى فارقتة اذ ليس انتقالها الى نوعها أولى من انتقالها الى
غير نوعها. والتناسخ عندهم على سبيل العقاب والثواب فالفاسق تنتقل روحه

(١) النفل محرقة الغنيمة والهبة و (الريث) الابطاء كالريث

قال السيد « ان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان
البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك . واما قوله . وبأذن الله ريثى والمعجل .
فيحتمل ان يريد باذنه علمه كما يتأول عليه قوله تعالى « وما هم بضارين به من
أحد الا باذن الله » أى بعلمه وان قيل فى هذه الآية انه أراد بتخليته وتمكينه .
وان كان لا شاهد لذلك فى اللغة أمكن مثله فى قول لبيد . وأما قوله من
هداه سبل الخير فيحتمل أن يكون مصروفا الى بعض الوجوه التى يتأول
عليها الضلال والهدى المذكوران فى القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضى الاجبار
اللهم الا أن يكون مذهب لبيد فى الاجبار معروفًا بغير هذه الايات فلا
تأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه «
زاد بعضهم بين بيتى لبيد قوله

أحمد الله فلان له بيديه الخير ما شاء فعل

الى أجساد البهائم المسخرة للأعمال الشاقة أو المعدة للذبح أو المرتطمة في الاقدار و (الثانية) تمنع انتقال الروح لجسد يغير نوع الجسد الذي فارقته لان النوع الذي أوجب لها طبعها الاشراف عليه والتعلق به لا يجوز ان تتعلق بغيره والتناسخ مذهب قديم قال به أهل الهند والعرب في الجاهلية قال ابن أبي الحديد : وكان من العرب من يمتقد التناسخ وتنقل الارواح في الاجساد ومن هؤلاء أرباب الهامة (١)

وقدمنا آنفا عند قولهم للجنابة كنت في أهلك ما أنت مرتين عن ابن حجر انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يمتقدون ان الروح اذا خرجت تصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس ولقد خالف بعض المسلمين الاجماع فأجاز انتقال الروح لجسد من نوع الجسد الذي فارقته أو من غير نوعه ومن هؤلاء احمد بن حابط و احمد بن تانوس تلميذه وأبو مسلم الخراساني ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب وهو قول القرامطة وأكثر جماعة الشيعة وقال رجل من النصيرية

اعجبي امننا لصرف الليالي جعلت اختنا سكينه فاره

فازجرى هذه السنانير عنها واتركيها وما نضم الفراره

المسح - تحويل الصورة الى صورة هي دونها قال الجاحظ قلت لعبيد

الكلابي وكان مشغولا بالابل أبينكم وبين الابل قرابة قال نعم خؤوله فقلت مسخك الله بعيرا فقال ان الله لا يسخ انسانا على صورة كريم بل لئيم . وينسخر المسخ اكثر الدهرية وأهل الكتاب لم يقرأوا به غير أنهم أجمعوا على أن الله جعل امرأة لوط حجرا والمسلمون على جوازه لامكانه ووقوعه قال تعالى (فلما

(١) قال الشهرستاني في الملل ومن العرب من يمتقد التناسخ فيقول اذا

مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيرا هامة فيرجع الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا أنكر الرسول عليهم فقال لا هامة ولا عدوى ولا صفر) وانت خبير بأن هذا ليس من التناسخ الذي هو وصول الروح عند مفارقة البدن لجسم جنين

عتوا عما نهوا عنه . قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أما اعتقاد مسخ شيء معين فتوقف على ورود النص

وكانت العرب في الجاهلية تعتقد وقوع المسخ فزعموا أن عشارين مسخ أحدهما ضبعا والآخر دثباً وزعموا أن سهيلاً كان عشاراً وأن الزهرة كانت امرأة اسمها اناهد فسحنا نجمين .

﴿ أحكامهم الدينية ﴾

لا نذكر في هذا الفصل الأحكام الدينية لليهود والنصارى من العرب ولكن نذكر بعض الأحكام الدينية لمشركيهم وهم الدهماء وتلك الأحكام إما من مجهود قرائعهم واستحسانهم ما حسنه عقلهم واستقباحهم ما قبجه أو بقية فيهم من شريعة إبراهيم وإسماعيل فإن الخنيفية لم تطمس جميع أحكامها بما دخل عليها من عبادة الأصنام والسكر والكب وغيرها فقد حرم كثير منهم الزنا لتحريم شريعة إبراهيم أياه أو لما فيه من ضرر الاغارة على الاعراض واختلاط الانساب فن هؤلاء عبد الله بن عبد المطلب والد نبينا عليه الصلاة والسلام وهو القائل لما راودته فاطمة بنت مر الخنعمية عن نفسها

أما الحرام فالملامات دونه والحل لاجل فأستبيبه فكيف بالامر الذي تبغيه يحمي الكريم عرضه ودينه

ومنهم الاسلوم اليالى وهو القائل في تحريم الزنا والحرم .

سألت قومي بعد طول مضاضه والسلم أبقى في الامور وأعرف وتركت شرب الراح وهى أميرة والمومسات وترك ذلك أشرف وعففت عنه يا أميم تكروماً وكذلك يفعل ذو الحجا المتعفف

ومنهم عنزة بنى عبس وهو القائل .

ما سمت أنى نفسها فى موطن حتى أوفى مهرها مولاها
أغشى فتاة الحى عند حليلها واذا غزا فى الحيش لا أغشاها
واغض طرفى ان بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها

وكانوا يرجون فى الزنا وبروى أبو هلال العسكري عند قولهم فى المثل

(احدى بنات طبق) ان امرأة قالت لزوجها فى سفر احمل لى هذا الكرز
حمله فلما توسط الثانية وخذ بللا على عنقه فقذف به فخرج منه رجل يسمى
فاستفتى لقمان بن عاد فى شأنها فقال تدفن حية فى كرزها قال أبو حاتم وأظن
ان أصل رجم المحصنة من هذا وذكر القلقشندي ان أول من رجم فى الزنا
فى الجاهلية ربيع بن حدان ثم جاء الاسلام بتقريره فى المحصن
وحرّم كثير من أهل الرأى فيهم الحجر تكريماً لا تقسّمهم وصيانه لها عن
معة السكر او اتقاء لضرر الحجر وذكر ان أول من حرّمها الوليد بن المغيرة
وقيل قيس بن عاصم السعدى وفيها يقول

لعمرك ان الحجر مادمت شارباً لسالبة مالى ومذهبة عقلى
وتاركتى من الضعاف قواهم ومورثتى حرب الصديق بلا نيل
وحرّمها صفوان بن أمية بن محرز الكنانى وقال وتروى لقيس بن عاصم
رأيت الحجر سالحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريماً
فلا والله أشربها حياتى ولا أشفى بها أبدا سقيماً
ولا أعطى بها ثمناً حياتى ولا أدعو لها أبدا نديماً
فان الحجر تفضح شاربها وتورثهم بها الامر العظيماً
اذا دب حمياها نعلت طوالع تسفه الرجل الخليماً

ومنهم مقيس بن صباية السهمى وذلك انه سكر مرة فجعل يخط بيوله .
ويقول نعامة أو بعير فلما أفاق أخبر بذلك حرّمها وقال

رأيت الحجر طيبة وفيها خصال كلها دس ذميم
ولا والله أشربها حياتى طوال الدهر ما طلع النجوم
ومنهم الاسلوم اليبالى وعبد المطالب بن هاشم جد النبي عليه السلام وعمه أبو طالب
وجده قصي بن كلاب وهو القائل لبنيه اجتنبوا الحجر فانها تصلح الابدان
وتفسد الاذهان وورقة بن نوفل وشيبة بن ربيعة والوليد بن الوليد وعامر بن
الظرب العدوانى وعبد الله بن جدعان وكان من أجواد قريش وساداتها وسبب
تحريمه الحجر كما قال أبو الزناد انه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فضربه

على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهب فقال له عبد الله
ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال له ألت ضاربها بالامس فقال أو بلغ مني
الشراب ما أبلغ معه من جليسي هكذا ووداها ديتين عشرة آلاف درهم وقال
الحمر على حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا وحرمها عفيف بن معد يكرب
الكندي عم الاشعث بن قيس وقال

وقائلة هلم الى التصابي فقلت عفت عما تعلمينا
وودعت القداح وقد أراني بها في الدهر مشغوفا رهينا
وحرمت الخمر على حتى أكون بقعر ملحود دفينا
وقال أيضا

فلا والله لا ألقي وشرباً أنازعهم شراباً ما حبيت
أبي لي ذاك ابا كرام وأخوال بعزم ربيت

ومن حرمها في الجاهلية وأدرك الاسلام أسد بن كرز وكان يدعي في
الجاهلية رب بجيلة وسويد بن عدى بن عمرو بن سلسلة الطائي وهو القائل
حين أدرك الاسلام

تركت الشعر واستبدت منه اذا داعى منادى الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامى
وحرمت الخمر وقد أراني بها سدكا وان كانت حراما

وأبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن مرداس وقد قيل
له حين كبر لو أخذت من الشراب شيئاً فانه يزيد في قوتك فقال لا أدخل
رأسى شيئاً يحول بينى وبين عقلى . وعثمان بن عفان وقيل له ما منعك من شرب
الخمر في الجاهلية فقال انى رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئاً ذهب جملة
ويعود جملة وعدى بن هاشم وقد قيل له مالك لا تشرب الخمر فقال لا أشرب
ما يشرب عقلى وقيل له مالك لا تشرب النبيذ فقال معاذ الله أصبح حكيم قومي
وأمسى سفيهم

ومن بقايا دين ابراهيم فيهم احترام البيت وأعمال الحج والعمرة وحره

الاشهر الحرم والغسل من الجنابة وتفصيل الموتى وتكفينهم مما تقدم ذكره
ومن الاحكام الدينية التي ذكرتها مفصلة في كتابي « المرأة العربية في الجاهلية »
حرمة تزوج الامهات والبنات والعمات والخالات وحرمة الجمع بين الاختين
وأول من جمع بينهما أبو احيحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتي
المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وحرمة قربان الحائض والاعتسال من
الحيض والظهار والايلاء والخلع وعدة الوفاة والطلاق والعدومة وكونه ثلاثا
على التفرقة قال عبد الله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم
بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها
حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها ولقد حرموا السرقة وكانوا
يقطعون يد السارق اليمى وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة تصلب الرجل اذا
قطع الطريق وقدروا الدية في النفس والجوارح وحكموا بأن الخنثى يتبع في
ميراثه المبال وكان طريق الحكم عندهم يميناً أو منافرة الى حاكم يقطع بالبينات
أو جلاء وبرهاناً يحل به الحق وتنصح به الدعوى وجاء ذلك في قول زهير
فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو حلاء

قال بعض الرواة لو أن زهيراً نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى
الاشعري ما زاد على ما قال وكانت اليمين على المدعى . وأول من قال البيعة على
من ادعى واليمين على من أنكر قس بن ساعدة الإيادي . وكانوا يقضون
بالقسامة وهي الايمان تقسم على أهل المحلة في شأن قتيل وجد في محلهم لم
يدر قاتله فيستحلف ولي الدم منهم خمسين رجلاً بالله ما قتلت وما علمت له قاتلاً
وأول قسامة في الجاهلية كانت بحكم أبي طالب وجاء الاسلام فأقر القسامة على
ما كانت عليه في الجاهلية . وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشر التي
ابتلى الله بها ابراهيم وهي خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وقص الشارب
وفرق الشعر والسواك وخمس في الجسد وهي الاستنجاء بالماء وتقليم الاظفار
ونتف الابط وحلق العانة والختان امثالاً لامر ربه . فلما جاء الاسلام أقرها
سنة من سنن الدين ولنبسط الكلام على الختان فنقول

الختان - هو في العرب سنة للنساء والرجال وأول امرأه أختنت هاجر أم اسماعيل وأول رجل أختن إبراهيم امتثالا لامر ربه . ولقد حافظت العرب على سنة الختان حتى أن العربي ليخشى أن يوسم بانه أغرل (١) وشاهده ما حكاه ابن هشام في غزوة حنين من انه لما استحر القتل من ثقيف في بني مالك فقتل منهم سبعون رجلا منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وقتل معه غلام نصراني له أغرل فبينما رجل من الانصار يسلب قتلى ثقيف اذ كشف العبد يسلبه فوجده أغرل فصاح بأعلى صوته يامعشر العرب يعلم الله ان ثقيفا غرل قال المغيرة بن شعبه فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في العرب فقلت لا تقل ذلك فداك أبي وامي انما هو غلام لنا نصراني . ومنه يعلم أن نصارى العرب كانوا لا يختنون ومن عادتهم أن يختنوا الوليد رضيعا أو صبيا ويتخذون لذلك وليمة يسمونها الاعذار وحكى أهل السير أن النبي ولد معمورا (٢) قال الجاحظ في الحيوان (والختان في العرب في الرجال والنساء من لدن إبراهيم وهاجر الى يومنا هذا ثم لم يولد صبي مختون قط أو في صورة مختون وناس يزعمون أن النبی وعيسى ابن مريم عليهما السلام ولدا مختونين والسبيل في مثل هذا الرجوع الى الرواية الصحيحة) وقد اختلف في ولادة نبينا مختونا على ثلاثة أقوال حكاها ابن القيم الجوزية في كتابه زاد المعاد (أولها) انه ولد مختونا مسرورا (٣) وقد روى في ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيرا من الناس يولد مختونا والناس يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (٤) (ثانيها) انه ختن

(١) الاغرل كالأقلاف ذو الغرلة أو القلفة وهي الجلدة التي تقطع في الختان
(٢) معمورا أي مختونا يقال عذر الصبي واعذر اذا ختن (٣) مسرورا أي مقطوع السرة (٤) كانت العرب في الجاهلية تزعم أن الغلام الذي يولد في القفر يخنه القمر وذلك لان غرلته تنقلص فيصير كالمختون قال ابن أبي الحديد « ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر كما أن من خواصه ابلاء الكتان واثنان اللحم وقد روى عن علي بن أبي طالب اذا رأيت الغلام طويل

يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليلة (نالها) ان جده عبد المطلب ختنه
يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا « قال أبو عمرو ابن عبد البر وفي هذا
الباب حديث غريب مسند الى ابن عباس ومن رجال سنده يحيى بن أيوب القائل
قد طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته الا عند
ابن أبي السرى وقد صنف كمال الدين بن طلحة مصنفا في انه ولد مختونا
وأجلب فيه من الاحاديث التي لا زمام لها فنقضه عليه كمال الدين بن العديم
وبين فيه انه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب مغنياً عن
نقل معين فيها

✽ الدين الفتشي ✽

يقال له دين الوثن وذى الروح . لان أهله اعتقدوا أن لكل مادة روحا
تحتل الجسم أو تتصل به ولها سلطان على الاجسام الاخرى حتى أن عبید
غانة كانوا اذا خرجوا لسفر أقسموا أمام أول كائن يبصرونه انهم يخصوصونه
بأنواع العبادة اذا وفقوا في سفرتهم فعبدوا لذلك الاشجار واغصانها وجزورها
وقشورها والجلد والعظم والريش والنباب والمخلب والحافر والسن والظفر
والحجر وأنواع الحيوان وآلات الحرب والشمس والقمر وغير ذلك لاعتبارهم
أن لها قوة مؤثرة وقدموا لها الترايين باعتبار الروح التي تتصل بها أو تحتلها
واتخذوها تيممة تقيهم عوادي الايام وتدفع عنهم الخطوب . وهذه ديانة كل
الامم المتوحشة ويسمى الافرنج هذا الدين فتيش fetichisme وأصلها في اللغة

الغرلة فأقرب به من السؤ د واذا رأيتة قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فأبعد به
وأنت خبير انه يولد في القمراء كثيرون ومتقاص الغرلة منهم أقل من القليل
وكان يصح دعوى جواز الخاصة للقمر لو كان من يولد في القمراء كلهم أو
جلهم متقلص الغرلة وانما خاطبهم على رضى الله عنه بحسب ما يعتقدون قال
امرؤ القيس لقيصر وقد وجدته أقلف حين دخل معه الحمام

انى حلفت يمينا غير كاذبة لانت أغلف الا ماجنى القمر

البرتغالية Luceo بمعنى السحر لان الملاحين البرتغاليين سموها السحرة من الزنوج . ثم توسعوا فيها فأطلقوها على هذا الدين ولقد كان اكبار بعض الناس للحكماء الاولين أن اتخذوا لهم الصور والتماثيل اعترافا بفضلهم فيما بذلوا من الارشاد والتهذيب فاتخذ المتأخرون لجهلهم تلك الصور والتماثيل زلفى يعبدونها لتقربهم الى الله ثم آل الامر ببعضهم أن اتخذ تلك الاصنام آلهة خصوصا بأنواع العبادة كما دعوتهم أوهاهم الى ذلك

ولشيوع هذا النوع من العبادة في أمم عديدة عبدت الملوك العادلون والعُباد والشجعمان والقواد والسحباء الاجواد ممن بلغ في صفة غاية الكمال ثم زادوا فيه توسعا فعبد كل قوم صنما استحسنوه على صورة انسان أو كوكب أو حيوان أو معدن أو نبات ثم توسعوا في ذلك حتى اختص بعضهم بصنم يعبده في خلوته دون ذويه وعشيرته

ومعبودات هذا الدين لا تحصر فان من لوازم النفوس البحث عن موحد فتصوروه النافع أو الضار من النبات أو المعدن أو الحيوان أو الكواكب وافترقوا في عبادة ذلك النافع أو الضار بحسب اختلاف النظر الى فرق شتى . فمنهم عباد الثيران وعباد الشعابين . وعباد الفيلة وعباد الققط وعباد الثوم وعباد شجر الزيتون وعباد الخرنوب وعباد الشمس أو القمر وعباد التماثيل ، وعباد الانسان أو جزء منه أو غير ذلك حتى عبدوا الارواح كالملائكة والشياطين . واعتنق هذا الدين كثير من العرب من قديم الزمان ولم تدل دولة هذا الدين وغيره من الاديان حتى أشرق على العرب نور الاسلام فتبددت بأشعته حجب الاوهام

﴿ عبادة الانسان والحيوان والشجر والملائكة والجن ﴾

من العرب عباد الحيوان أو عبدة الملائكة أو الجن أو الشجر لمعنى تلحظه في المعبود من النفع أو الضرر . فن عبادة الحيوان عبادتهم للجمل وشاهدها ما ذكره السهيلي في قدوم وفد طيبي على رسول الله قال « خرج نمر من طيبي »

يريدون النبي عليه السلام بالمدينة وفودا ومعهم زيد الخيل ووزر بن سروس
النبهاني وقبيصة بن الاسود بن عامر بن جوين الجرمي وهو النصراني ومالك
ابن عبد الله بن خيبري بن افلت بن سلسة وقعين بن خليف الظريفى رجل
من جديلة ثم من بنى بولان فمقلوا رواحلهم بفناء المسجد ودخلوا فجلسوا
قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم حيث يسمعون صوته فلما نظر النبي صلى الله
عليه وسلم اليهم قال انى خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الاسود
الذى تعبدونه من دون الله ومما حازت منا (١) من كل ضار غير نفاع ،
ونقل هذا الخبر الاصفهاني فى الاغانى . ومن ذلك ما كان من عمرو بن حبيب
الموصوف بنى الكيود أى كثير الكيد فانه أغار على بنى بكر فأصاب
سقباً (٢) كانوا يعبدونه من دون الله فأراد اغاظتهم فنجره وأكله وفى ذلك
يقول احمد البدوى الشنجيطى عند ذكر محارب وهو أبو قبيلة

وأنسب حبيهم وذا الكيود آكل سقب بكر المعبود

عبادة الانسان - كانوا يعظمون الامراء والرؤساء تعظيم العبادة . وليس

أدل على ذلك من الحج اليهم وتعظيم أما كتبهم وآثارهم وقد حجت العرب
عصابة الزبرقان بن بدر قال السهيلي « وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمائم
وثياب وينضح بالزعفران والطيب وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت وقد أشار
الزبرقان لذلك بقوله من قصيدة

بما ترى الناس تأتينا سرائهم من كل أرض هويا ثم نصطنع (٣)

فننجر الكوم عبطا فى أرومتنا للنازلين اذا ما انزلوا شبعوا

قال البغدادي فى خزنة الادب (وقال أبو محمد الاسود الاعرابي ان بنى سعد

ابن زيد مناة كانوا يحجون عصابة الزبرقان اذا استهلوا رجبا فى الجاهلية اجلالا
له واعظاما لقدره وذكر ذلك ربيعة بن سعد النمري يمدح الزبرقان بقوله
كانت تحج بنو سعد عصابته اذا استهلوا على أنصابه رجبا

(١) قال أبو المنذر يعنى بمناع جبل طي (٢) السقب ولد الناقة أو ساعة

يولد أو خاص بالذكر (٣) وفى رواية . من كل أرض هوانا ثم نتبع

سب يزغفره سعد ويعبده في الجاهلية يتتابونه عسبا
والمصابة ما يعصب به الرأس « فأنت ترى الشاعر قد صرح بان هذا
التمظيم نوع من العبادة في قوله ويعبده في الجاهلية . ولقد هجا الزبرقان بن
بدر المخبل السعدي فقال

ألم تعلمي يا أم عمرة اني تخاطأني ريب الزمان لا كبرا (١)

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المرعفرا (٢)

والزبرقان هو حصين بن بدر لقب به لحسن وجهه لان الزبرقان من أسماء
القمرأو لانه كان يزبرق عمامته في الحرب أي يصفرها . وكان الزبرقان في وفد
تميم الذين وفدوا على رسول الله فنادوه من وراء الحجرات وقد أسلم وولاه
رسول الله صدقات قومه فأداها في الردة الى أبي بكر فأقره ثم الى عمر وذكر
الكوكبي انه وفد على عبد الملك وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل
فرس الى آباءه وأمهاته وحلف على كل فرس مسها يمينا غير التي حلف بها
على غيرها فقال عبد الملك : عجي من اختلاف ايمانه أشد من عجي بعرفته
بأنساب الخيل

عبادتهم الملائكة والجن — شاهدهما ما ذكره الشهرستاني في كتابه

(١) تخاطأني بمعنى تخاطاني وفاتني و(ريب الزمان) حوادثه و (كبر) في

السن من باب فرح . يعنى انه كره أن يعيش ويعمر حتى يرى الزبرقان من
الجلالة والمظمة بحيث يحج بنو سعد عصابته (٢) قال البغدادي في خزانه
الادب قال أبو محمد الاسود (واشهد) بالنصب عطف على لا كبرا و(عوف)
أبو قبيلة وهو عوف بن كعب بن سعد و (الحلول) القوم النزل من حل
بالمكان اذا نزل فيه و (يحجون) يقصدون قال ابن دريد في الجمره الحج
القصيد وأنشد هذا البيت و (السب) بكسر السين المهملة العمامة وكانت
سادات العرب تصبغ العمائم بالزغفران وقال بعض الناس ان الشاعر قصد
بهذا البيت معنى قبيحا وكنى بهذا اللفظ عنه . ويدفعه قوله يزورون فان
الزيارة لا تستعمل في هذا الا أن يدعى التهم

الملل والنحل : ان من العرب من يصبوا الى الملائكة فيعبدونهم ومنهم من يعبد الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله . وقال أبو المنذر « وكانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن وفيهم نزلت ان الذين تدعون من دون الله عبادةً أمثالكم ، وفي شعب الايمان عن مجاهد قال قال كفار قريش الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر الصديق فن أمهاتهم قالوا بنات سراة الجن . ولقد رد الله عليهم بقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون » الى أن قال « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون »

وقد اعتقد بعض العرب في أشخاص من الملائكة والارواح التدبير لاهل الارض فيما دون الامور العظام من اصلاح حال العابد في نفسه وولده وماله وشبههم بحال الشفعاء والندماء . وبعضهم اعتقد أن الله جل جلاله يكتسب من الملائكة علما ليس عنده قياسا على الملوك بالنسبة للجواسيس . واعتقد العرب أيضا ان الجن يعلمون الغيب . وانهم قادرون على ايداء الالسان فكانوا يستعينون بهم اذا ركبوا المفاوز يزعمون انهم اذا استعاضوا بهم دفعوا عنهم كل مكروه حتى قال بعضهم وقد استعاض بالجنى عظيم الوادي فأكل السبع ولده

قد استعذنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الاعادي

فلم يجرنا من هزبر عادي

وسبوا أكثر الامراض الى الجن وداووها بالتقرب اليها واذا اشترى أحدهم داراً أو استخرج عينا ذبح للجن ذبيحة لتسعد الدار ولا تنضب العين وأمثال هذه المعتقدات كانت مدعاة لعبادتهم وعن عبد الله بن مسعود في رواية أن نفراً من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والانس كانوا يعبدونهم ولا يشعرون فأنزل الله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا : ولقد رد الله أيضا على من عبد الملائكة من العرب بقوله

« ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون عبادتهم للاشجار - حكى عبادتهم لها ابن هشام في السيرة عند الكلام على غزوة حنين عن الحارث بن مالك . قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية . فسرنا معه الى حنين وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط (١) يعظمونها ويأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويمكفون عليها يوماً . فرأينا ونحن نسير مع رسول الله سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر قاتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الهماً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم » وفيها يقول الشاعر

لنا الميمن يكفيننا أعادينا كما رفضنا اليه ذات أنواط

هذا وعبدت العرب العزى وهي كما قال السهيلي « مخلات مجتمعة وكان عمرو بن لحي قد أخبرهم أن الرب يشتى بالطائف عند اللات ويصيف بالعزى فعظموها وبنوا لها بيتاً وكانوا يهدون اليه كما يهدون الى الكعبة »

ومما فعله عمر بن الخطاب مخافة عبادة الشجر قطعه للشجرة التي حصلت تحتها بيعة الرضوان عام الحديبية سنة ست للهجرة فمن نافع قال (كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت . فعل عمر ذلك قطعاً لشأفة الوثنية خشية الفتنة بها وعبادة غير الله تعالى . ولعمر في هذا الباب مواقف مجيدة منها انه عند ما دخل مسجد بيت المقدس استدعى كعب الاحبار فلما أتى به قال له أين ترى أن نجعل المصلى فقال الى الصخرة فقال

(١) ناطه نوطاً علقه والانواط المعاليق سميت بذلك لانهم كانوا يعلقون

بها أسلحتهم

ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعتك نعليك فقال أحببت أن أباشره بقدمي فقال قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله قبلة مساجدنا صدورها فاذهب اليك فاننا لم نؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة. ومنها قوله للحجر الاسود لولا اني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ولقد أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع

* الوثنية في العرب *

أول من سجد للاصنام الصابئون . وكانوا كالمجوس يسجدون في مبدأ أمرهم للأجرام السماوية ولما رأوا الشمس تختفي ليلا وسائر الكواكب نهاراً وأرادوا التمكن من عبادتها في كل حين مثلوا لها صوراً عبدوها ولذلك كانت أوثان القدماء المشهورة هي المشتري وزحل والمريخ وعطارد وأرطاميس ويونون والزهرة ثم زعموا أن لنفوس الاموات العظماء مدداً الهياً به كانوا عظماء في الحياة فمثلوا لهم صوراً عبدوها واتخذوهم شفعاء عند الله . وأول من فعل ذلك نينوس بن نمرود بن نوح ملك الاشوريين باني مدينة نينوى فانه صنع لابيها تمثالاً سنة ٢٠٥٩ قبل الميلاد وحمل الناس على عبادته وذلك مبدأ عبادة الملوك والامراء والشجعان

وتاريخ دخول الوثنية في بلاد العرب قديم جداً وأول من أدخلها الى مكة وما جاورها عمرو بن لحي سيد خزاعة . وذلك أن جرهما كانوا قد طغوا في الحرم وظلموا واستحلوا منه أموراً عظيماً . فإرسل الله اليهم خزاعة حين أجلاهم سيل العرم من بلادهم فطردوا جرهما منه وقتلوا من قتلوا منهم فشفى ذلك صدور أهل الحرم وفرحوا بانتصار خزاعة على جرهم . وربما ظنوا أن الله قد أرسلهم اليهم ليخلص أهل حرمه من جورهم وكان رئيس خزاعة عمرو بن لحي فتولى سداً البيت . ودانت له العرب واتخذوه رباً لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة . وكان فوق ذلك قد ملكهم بأحسانه فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة . وكان يطعم الحجيج السويق فدعاهم لعبادة الاوثان وكانت نفوسهم مستعدة لعبادتها بما كانوا يعظمونه

من حجارة الحرم فأجابوه حكى أبو المنذر عن أبيه وغيره قال « ان اسماعيل ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان فيها من العماليق فضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا في البلاد والتماس المماش وكان الذي سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا أحتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصباغة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطاقوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وحباً لها وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتصرون على ارض أبيهم ابراهيم واسماعيل . ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان (١) وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم وانتجثوا (٢) ما كان يعبد قوم نوح منها على ارض ما بقي فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه . فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام فنصب الاوثان وسبب السائبة ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحى الحامية عمرو بن ربيعة . وهو لحي ابن حارثة بن عمرو بن عامر الازدي وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو الذي يبلى أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جرهما بيني اسماعيل فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة وتقاهم من بلاد مكة وتولى حجابة

(١) لهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمس التماثيل ولعن المتخذين على القبور المساجد والسرج ونهى عن الصلاة الى القبور وسأل ربه ألا يجعل قبره وثنا يعبد ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد حتى لا تحلف الخلوف بعد الخلوف وتنسى ما كان عليه السلف وتتخذ ما تصنع ديناً فسدنا للذريعة نهى عن ذلك (٢) انتجثوا استخرجوا

البيت . ثم انه مرض مرضاً شديداً فقبل له ان باللقاء من الشام حجة (١) ان أتيتها برأت فأثاما فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الاصنام . فقال ماهذه فقالوا نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة (٢) « فانت ترى ان الوثنية كانت فيهم قبل عمرو بن لحي بما عبدوه من حجارة الحرم في أسفارهم وانما عمرو بن لحي هو أول من وضع لهم أنواع عبادتها وبين لهم ضروب التقرب اليها من اتخاذ البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وغير ذلك . وأول من نقل الاصنام الى الحرم ونصبها حول الكعبة وحمل أهلها على عبادتها ولولاه ما رسخت فيهم أقدامها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت أول من سيب السائبة ونصب النصب عمرو بن لحي رأيت يئذى أهل النار يريح قصبه (٣) وقال سحنة بن خلف الجرهمي في اتخاذ عمرو بن لحي للاصنام

يا عمرو انك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت انصابا
وكان للبيت رب واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا
لتعرفن بأن الله في مهل سيصطنى دونكم للبيت حججا
ونظم ذلك أحمد البدوي الشنقيطى في كتابه عمود النسب فقال
قمة قيل جد عمرو بن لحي ذى القصب في حديث أفضل لؤى
أول من حمل أكياس الحرم لكفره على عبادة الصنم
وأدخل اللذين أخرجهما أذا حدثا فسحنا أهلها (٤)

(١) الحجة بفتح الحاء والميم المشددة المفتوحة كل عين فيها ماء حار ينبع يستشفى بها الاعلاء (٢) حكى أبو المنذر أيضاً أن عمرو بن لحي كان كاهنا ركان له رثى من الجن يكنى أبا ثمامه فقال له عجل بالسير والظمن من تهامة بالسعد والسلامة . قال جبر ولا أقامه قال . انت ضف جدة تجد فيها أصناما معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ثم أدع العرب لعبادتها تجب . فأتى شط جده فاستشارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة (٣) القصب بالضم المعنى جمع أقصاب (٤) انظر الكلام على أساف صفة ١٣٣

١٣١

وصلبها على الصفا ليتعظ عن الزنا بمكة كل يقظ
ملك أربعين الفا فسمي عن شكرها عيون عشرين جل (١)
وكاد يعبد فكل ما أمر به من المختلقات يعتبر
كالبحر والوصل وكالتسيب والحماية وكل ريب
الى أن قال بعد تفصيل في البحيرة والوصيلة والسائبة والحامى

والعرب قبل متدينونا بمكة الخليل يعملونا
وهو أبو خزاعة واكنم شبهه به النبي منهم (٣)

وقد نص الشهرستاني في الملل أن عمرو بن لحي وضع الاصنام في البيت في
أول ملك سابور ذي الاكتاف وتاريخ دخول الوثنية في الحرم يرجع لتولى
عمرو بن لحي الحرم حين تزوجه مع خزاعة وتغلبه على جرم عام سيل العرم .
وقد اختلفوا في وقت حدوث ذلك السيل قال حمزة الاصفهاني انه حدث قبل
الاسلام باربعمائة سنة أى في القرن الثالث للميلاد . وقال ابن خلدون أن السد
تهدم في أيام حسان بن تبيان أسعد أى في القرن الخامس للميلاد وذكر
ياقوت انه وقع في ملك حبشان ولعلها حسان حرفها النساح بحبشان فيوافق ابن
خلدون أو المراد بحبشان الاحباش وقد كان ملكهم على اليمن في القرن السادس
(١) في الروض الانف : وذكر أبو الوليد الازرقى في أخبار مكة أن عمرو

ابن لحي فقاً أعين عشرين بعيراً وكانوا يفتقون عين الفحل اذا بلغت الابل الفا
فاذا بلغت الفين فقوا العين الاخرى قال الراجز

وكان شكر القوم عند المنى كى الصحيجات وفق الاعين

(٢) حكى ابن اسحاق في سيرته أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله
يقول لاكنم من الجون الخزاعى يا أكنم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف
يجر قصبه في النار . فما رأيت رجلاً أشبهه برجل منك به ولا بك منه . فقال
أكنم عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر . انه
كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسب السائبة
ووصل الوصيلة وحى الحامى

وكانت الوثنية في عاد قوم هود وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان وفي عمود قوم صالح وكانت منازلهم بين الشام والحجاز في الحجر وقرح وهي وادي القرى وفي دولة حورابي وهي الدولة البابلية الاولى من سنة ٢٤٦٠ ق م الى ٢٨١ ق م وفي أثناء هذه الدولة بعث لهم ابراهيم الخليل وقد حكى الله قصة تكسيره الاوثان في قوله « وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلمهم اليه يرجعون » الى آخر الآيات ومعبودات البابليين على ما ذكره جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الاسلام كثيرة الشبه في أسمائها وأسماء الذين ينتسبون اليها باقدم الهة العرب في اليمن وغيرها مثل ايل وبل وشمس واشتار وسين وسمدان ونسر ويشع وذكر ايضا أن العرب القحطانيين والعدنانيين يشتركون في عبادة الاصنام الا أن آلهة القحطانيين أهل اليمن أقرب الى معبودات البابليين فعندهم عشتار وايل وبعل وغيرها أما العرب الاسماعيليون أو العدنانيون سكان شمال جزيرة العرب فيشتركون في عبادات تختلف عن تلك كاللات والعزى ومناة وهبل وغيرها وكانت الوثنية في مدين قوم شعيب وكانت منازلهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز وكانت الوثنية دين ملوك الحيرة قبل أن يتنصروا ودين أهل اليمن قبل أن يدخل تبع الآخر اليهودية فيهم

﴿ أصنام العرب وبيوت عبادتها ﴾

قال السهيلي يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن الا لما كان من غير الصخر كالنحاس وغيره وقال أبو المنذر المعمول من خشب أو ذهب أو فضة صورة انسان فهو صنم واذا كان من حجارة فهو وثن وقال غيره الوثن كل ماله جثة معمولا من جواهر الارض أو من الخشب أو الحجارة كصورة الأدمى تعمل وتنصب فتعبد والصنم الصورة بلا جثة ومن العلماء من لم يفرق بينهما وقال اذا كان ما يعبدونه حجرا على غير صورة فهو نصب وان كان تمثالا سمي صنما ووثنا ويقال لبيت الاصنام الذي يتخذ ويزين الزونة

وللبيت الذي فيه أصنام وتصاوير البد وكان للعرب أصنام عدة وبيوت للمعبادة يعظمونها ويجعلون لها سدنة وحجابا ويهدون لها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها كطوافهم بها وينحرون عندها وهم يعرفون فضل الكعبة عليها لانهم يعلمون انها من بناء ابراهيم الخليل عليه السلام . ولنذكر ما عثرنا عليه من ذلك مرتبا على حروف المعجم فنأتي بكل ما جاء منها بكتاب الاصنام لابي المنذر هشام بن محمد السائب بن بشر الشهير بأبن السكبي وما لم يذكر منها فيه ننبه عليه وقد نعزوه الى مأخذه ونكتفى فيما ذكره احمد بن فارس الشدياق في كتابه الساق على الساق فيما هو الفاريق بقولنا عن احمد فارس وفيما ذكره ابن سيده في المخصص بقولنا عن المخصص وفيما ذكره السيد مرتضى في تاج العروس شرح القاموس بقولنا عن تاج العروس فنقول :

آزر - صنم عبدة العرب في الجاهلية (عن تاج العروس)

اساف ونائلة - صنمان عبدة العرب وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما .
حكى ابن المنذر عن أبي صالح عن ابن عباس « ان اساف بن يعلى رجل من جرهم كان يتمشق نائلة بنت زيد من جرهم (١) في أرض اليمن فاقبلا حاجين فدخلتا الكعبة فوجدتا غفلة من الناس وخلوة في البيت ففجر بها في البيت فسخا فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما فوضعهما موضعهما ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها وكان أحدهما بلسق الكعبة والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان بلسق الكعبة الى الآخر فعبدتها خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب » وحكى ابن العربي عن ابن اسحاق « ان اسافا ونائلة بعد مسخهما وضع أحدهما على الصفا والآخر على المروة لينزجر الناس عن مثل ما ارتكبا فلم يزل الامر يدرس (١) في سيرة ابن هشام اساف بن بنى ونائلة بنت ديك . وفي الملل للشهرستاني اساف بن عمرو ونائلة بنت سهيل وفي الاغانى جزء ١٣٠ صفحة ١٠٥ عن عثمان بن ساج عن أبي الزناد اساف بن سهيل ونائلة بنت عمرو بن ذئب وقال غيره نائلة بنت ذئب

ويتقدم حتى صار يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحي أمر بعبادتهما وتمظيمهما والتمسح بهما . وقال : انهما كانا معبودين لمن قبلكم فلما كان قصي بن كلاب حولهما من الصفا والمروة فجعل أحدهما ماصقا بالكعبة وجعل الآخر في موضع زمزم وكان يطرح بينهما ما يهدى للكعبة . وكان يسمى ذلك الموضع الحطيم وكان ينجر عندهما ويذبح ولم تكن تدنو منهما امرأة طمئت وفي ذلك يقول بشر بن أبي حازم الاسدي أسد خزيمية

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من اساف

فكان الطائف اذا طاف بالبيت يبدأ باساف ويستلمه فاذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها فكان كذلك حتى كسرهما رسول الله مع الاصنام يوم فتح مكة « وفي عتبة باب السلام الخارجية أحد أبواب المسجد الحرام حجر عظيم يشبه درجة سلم غير منتظم تطوؤه النعال يقول أهل مكة انه اساف ذلك الصنم الاسحيم - صنم عبده العرب (عن تاج العروس)

الاشهل - صنم وبه سمي عبس الاشهل أبو حي من العرب (عن تاج العروس)

الاقيصير - قال أبو المنذر هو صنم كان لقضاة ولحم وجدام وعاملة وخطمان وكان في مشارف الشام فكانوا يحجونه ويحلقون رءوسهم عنده فكان كلما حلق رجل منهم رأسه التي مع كل شعرة قررة من دقيق - والقررة القبضة - فكانت هوازن تفتابهم في ذلك الابان فان أدركا أحدهم قبل أن يلقى القررة مع الشعر قال : أعطني فاني من هوازن ضارع وان فاته أخذ ذلك الشعر بما فيه من القمل والدقيق نجيزه وأكله « وفي الاقيصر يقول زهير بن أبي سلمى حلفت بأنصاب الاقيصر جاهدا وما سحقت فيه المقاديم والقمل أوال - صنم لبكر وتغلب (عن تاج العروس)

باجر - بالجيم المفتوحة وربما كسرت صنم كان للازد ومن جاورهم من

طي وقضاة

البجعة - صنم عبده العرب (عن تاج العروس)

بس - بيت لغطفان (انظر صفحة ٣٣)

بعل - صنم كان لقوم الياس عليه السلام (عن احمد فارس)

البعيم - صنم (عن تاج العروس)

بلج - صنم (عن تاج العروس)

بوانة - صنم عبده . روى عن أم أيمن أنهم كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيداً عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك أى تذبج له وتحلق عنده وتعكف عليه يوماً الى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك . قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعا فلم يرالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فرطاً مرعوباً فقلن ما دهاك فقال : انى أخشى أن يكون بي لمم (جمع) لمة وهى المس من الشيطان فقلن ما كان الله ليبتليك بالشیطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض يصيح بى وراءك يا محمد لا تمسه قالت أم أيمن فما حاد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم وتلك احدى ارهاصاته تيم - صنم كانت تعبده بنو تميم فى الجاهلية قال أبو عبيدة تميم كلها كانت فى الجاهلية يقال لها عبد تيم (عن الاغانى)

الجبهة - صنم كان يعبد فى الجاهلية (عن تاج العروس)

جريش - كأمر صنم عبد فى الجاهلية واليه نسب عبد جريش والد عبد

قيس (عن تاج العروس)

الجلسد - صنم عبد فى الجاهلية كما فى المنخص لابن سيده قال الشاعر

قبات محتاب شقارى كما ييقر من يمشى الى المجلسد (١)

(١) الشُقارى شقائق النعمان ويقر أسرع مطأطأ رأسه

جهار - صنم كان لهوازن (عن تاج العروس)
الدار - صنم سمي به عبد الدار بن قصي بن كلاب أبو بطن من العرب
(عن تاج العروس)

دوار - قال البغدادي في خزائن الادب « دوار بالفتح صنم كانوا يدورون
حوله أسابيع كما يطاف بالبيت الحرام قال امرؤ القيس

فمن لنا سرب كان نعاجه عذاري دوار في ملاء مذيل (١)
يقول ان هذا القطيع من البقر يلوذ بمضه يبعض ويدور كما تدور
العذاري حول دوار وهو نسك كانوا في الجاهلية يدورون حوله . وقال
العسكري في التصحيف وروي دوار بدال مضمومة ودوار بدال مفتوحة
وواو مخففة (٢) وهو نسك كان لهم في الجاهلية يدار حوله « ويطلق الدوار
على الطواف قال أبو المنذر » وكانت للعرب حجارة غير منصوبة يطوفون
بها ويعترونها عندها يسمونها الانصاب ويسمون الطواف بها الدوار وفي ذلك
يقول عامر بن الطفيل وأتى غني بن أعصر يوماً وهم يطوفون بنصب لهم فرأى
في فتياتهم جمالا وهن يظفن به فقال :

ألا ياليت اخوالي غنيا عليهم كلما أمسوا دوار

وقال في ذلك المثقب العبدى لعمر بن هند

يطيف بنصبهم حجن صغار فقد كادت حواجبهم تشيب (٣)
ذو الخلصة - بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة (٤) بيت نخشم
كان يدعى الكعبة اليمانية وكان فيه صنم يدعى الخلصة وقيل اسم البيت
الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة . وحكى المبرد ان موضع ذي الخلصة صار
مسجدا جامعاً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خشم وقال أبو المنذر « ان ذا الخلصة

(١) السرب قطيع من ظباء أو بقر أو شاء أو نساء أو قطا و (الملاء)

بضم الميم جمع ملاءة وهي الملحفة و (المذيل) السابغ (٢) في القاموس
الدوار ككتان ويضم صنم ويخفف (٣) حجن صبيان (٤) حكى فيه فتح أوله
اسكان ثانيه أو ضمه أو ضمهما

كانت مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن مسيرة سبع ليال من مكة وكان سدنتها بنو امامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وازد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوزان ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة وفيها يقول خدش بن زهير العامري لعنث (١) بن وحشى في عهد كان بينهم فغدر بهم

وذكرته بالله يبنى وبينه وما بيننا من مدة (٢) لوتذكرا

والمروة البيضاء يوم تبالة ومحبة السعمان حيث تنصرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها قدم عليه حرير بن عبد الله مساماً فقال له يا جرير ألا تكفيني ذا الخالصه فقال بلى فوجهه اليه فخرج حتى أتى بنى أميس من بجيلة فسار بهم اليه فقاتلته خثعم وناهلة دونه فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل وأكثرت القتل في خثعم وقتل مائتين من بنى قحافة بن عامر بن خثعم فظفر بهم وهزمهم وهدم بنيان ذى الخالصه وأضرم فيه النار فاحترق. وذو الخالصه اليوم عتبة باب مسجد تبالة وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تذهب الدنيا حتى تصطك أليات نساء دوس على ذى الخالصه يعبدونه كما كانوا يعبدونه» وكان يحج اليه ويهدى له روى العباس أحمد بن يحيى ثعلبان المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج ذى الخالصه ومعه غلمة من قومه وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث ابن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذى الخالصه اهدى له هدياً يتحرم به ممن لقيه فلم يكن مع المنتشر هدى فسار وانذر بنو نفيل بالمنتشر بنى الحارث بن كعب وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر رجلاً منهم يقال له هند بن اسماء ابن زبناع فسأله ان يهدى نفسه فأبأ عليه فقطع أئمله ثم أبأ فقطع منه أخرى وقد آمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعا والهي لا أومنة ثم قتل فرثاه أخوه لامه اعشى باهلة بقصيدته التي يقول في مطلعها

(١) خزانة الادب للبغدادى لعقبة (٢) رواية خزانة الادب من هذه

انى أتتى لسان لا أسر بها من علولا عجب منها ولا سخر (١)
الى أن قال

أصبت فى حرم منا أختة همد بن أسماء لا يهنى لك الظفر
خاطب قاتل المنتشر بقوله أصبت منا أختة فى حرم وهو حرم ذى الخليفة
وروى البخارى بسنده عن جرير قال كان بيت فى الجاهلية يقال له ذو
الخليفة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم
ألا تريحنى من ذى الخليفة فنفرت فى مائة وخمسين راكبا فكسرتاه واستشكاه
بعض المحدثين بان معناه كان يقال الكعبة اليمانية والشامية يعنون بالشامية
البيت الحرام فزيادة له سهو وباسقاطه يصح المعنى واجاب عنه السهيلي بان
الحديث فى جامع البخارى بزيادة له كما فى صحيح مسلم وليست له بزيادة
سهوا اذ المعنى كان يقال له أى يقال من أجله الكعبة الشامية للكعبة
وهو الكعبة اليمانية وله بمعنى من أجله لا تنكر كما قال ابن أبى ربيعة
وقير من آخر الليل قد لا ح له قالت العتاتان قوما

ذو الشرى - صنم كان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الازد
ذو الكعبات - بيت كان لربيعة كانوا يطوفون به كما فى تاج العروس
وكان بسداد وفيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة

بين الخورق والسدير وبارق والبيت ذى الشرفات من سداد
ذو الكفين - صنم كان لبني منهج بن دوس فلما أساموا بعث النبي عليه
الصلاة والسلام الطفيل بن عمرو الدوسى فجعل يلقي النار فى وجهه ويحرقه ويقول
يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أكبر من ميلادك

انى حشوت النار فى فؤادك

الربة - اللات وكعبة كانت بنجران لمذحج وبنى الحارث بن كعب (عن
تاج العروس)

(١) اللسان الرسالة واراد بها نعى المنتشر و (سخر) بضمين أى اتانى
رسالة من أعلى نجد لا أعجب منها وان كانت عظيمة لازم صائب الدنيا كثيرة

رضاء - بيت لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول
المستوغر بن ربيعة بن كعب حين هدمها في الاسلام
ولقد شدت على رضاء شدة فتركتها قفرا بقاع اسحما
وأعان عبد الله في مكروها وبمثل عبد الله أغشى المحرما
رثام - هو بيت كان بصنعاء لمحير وأهل اليمن يعظمونه وبنحرون عنده
ويكلمون منه فيما يذكرون فلما انصرف تبع من مسيره الذي سار فيه الى
العراق قدم معه الخبران اللذان صحباها من المدينة فأمرهما بهدم رثام وقال
انما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا وبينه قال شأنكما فنشر التوراة وجعلا
يقرآنها وهدماه . قال ابن اسحاق فبقاياها اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي
كانت تهراق عليه

السجة - صنم كما في القاموس

سعد - قال أبو المنذر هو صنم كان لبني مالك وملك كان ابني كنانة ومكانه
بساحل جدة وتلك الناحية وكان سعد صخرة طويلة فأقبل رجل من بني
ملكان بأبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فلما أدناها منه ورأته وكان يهراق
عليه الدماء نفرت منه فذهبت في كل وجه فغضب ربها فتناول حجرا فرماه
به وقال لا بارك الله فيك الها أنفرت على ابلي ثم خرج في طلبها حتى جمعها
ثم انصرف وهو يقول

اتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة بتنوفة من الارض لا يدعولغي ولا رشد

سعد - صنم أيضا كان لمذحج (عن احمد فارس)

سعد - صنم أيضا كانت تعبد هديل (عن المخصص)

السعيدة - بيت بني بجبل أحد كانت تحجر ربيعة في الجاهلية (عن المخصص)

سبير - بصيغة التصغير صنم كان لعنزة قال ابو المنذر خرج جعفر بن أبي

خلاس الكلابي على ناقته فر به وقد عترت عنزة عنده فنفرت ناقته منه

فأنشأ يقول

تفرت قلوبى من عتائر صرعت حول السعير يزوره ابنا يقدم (١)
وجوع يذكر مهطعين جنا به ما ان يحير اليهم بتكلم
سواع - قال ابوالمنذر وكان أول من اتخذ تلك الاصنام من ولد اسماعيل
وغيرهم وسموها باسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين اسماعيل
هذيل بن مدركة (٢) اتخذوا سواعا وذلك ان عمرو بن لحي دفع للحارث
ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا فكان لهم

(١) يقدم ويذكر ابنا عنزة رأى الشاعر بنى هؤلاء يطوفون حول السعير
(٢) مقتضاه ان ودا وسواعا ويعوث ويعوق ونسرا هي غير ما عبده
قوم نوح بل مطابقة لها في الاسم وفي المستطرف انها اصنام قوم نوح لقوله
واما يعوث ويعوق ونسر . فقبل انهم كانوا اولاد آدم عليه السلام وكانوا
اتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فأرادوا أن يصوروا صورته
لبذكروه اذا نظروه فصوروه من صفر ونحاس وجعلوه في مؤخر المسجد
كراهة ان يكون في قبلته ثم مات آخر ففعلوا به ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروه
هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وعبدوها الى أن بعث الله
نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها . ولما عم الطوفان الارض طمها وعلاعليها
التراب زمنا طويلا ثم أخرجها مشركو العرب فعبدوها . وذكر الواحدى
في الوسيط ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام
فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم
وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم جهال بالاحوال فحسن لهم
عبادتها فعبدوها ومقتضاه أن تكون هذه الاصنام تماثيل أنسانية لكن
نقل الواقدى ان ودا كان على صورة رجل وسواعا على صورة امرأة ويعوث
على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسرا على صورة نسر وهذا
يصحح ما ذكره ابوالمنذر وابن اسحق من أن الاصنام المذكورة ليست هي
الاصنام التي عبدها قوم نوح وإنما سميت باسمائها

برهاطٍ من أرض يذُبُع يعبده من يليه من مضر بن نزار وكانت سدنته
بنى لحيان وكانوا يحجون اليه وينحرون عنده ويعكفون عليه وفي ذلك
يقول الشاعر

تراهم حول قبلتهم عكوا كما عكفت هذيل على سواع
تظل جبا به صرعى لديه عتائر من ذخائر كل راع

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمه عمرو بن العاص قال عمرو
فلما انتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت أمرني رسول الله أن أهده
قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت وبحك وهل يسمع أو يبصر قال
فدنوت منه فكسرتة ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

الشارق - صنم كانت تعبده هذيل وبه سمى عبدالشارق (عن تاج العروس)

شمس - صنم قديم كان في الجاهلية وبه سمى عبد شمس وهو بطن من

قريش وأول من تسمى به سبأ بن يشجب (عن تاج العروس)

ضمار (١) - صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه (سيرة ابن هشام)

الضمينون - صنم كان يعبد من دون الله في الجاهلية (عن المخصص)

الضيزنان - صنمان كانا للمنذر الأكبر كان اتخذهما بباب الحيرة ليسجد

لهما من دخل الحيرة امتحانا للطاعة (عن المخصص)

عأم - بالهمز صنم كان لآزد السراة وأقسم زيد الخير به فقال

تخبر من لاقيت ان قد هزمتهم ولم تدر ما سيأتم لاوعأم

عبدة صرحب - صنم كان بحضرموت

عمعب - بالعين المهملة ويقال بالمعجمة صنم كانت قضاة تعبده (عن المخصص)

العزى - صنم عبده العرب واتخذ عليه بيت قال ابو المنذر (وهي

(١) قال السهيلي ضمار بكسر الراء مثل حذام ورقاش ولا يكون مثل

هذا البناء الا في أسماء المؤنث وكانوا يجعلون آلهتهم انا كالكالات والعزى ومناة

لاعتقادهم الخبيث في الملائكة انها بنات

أحدث من اللات ومناة وذلك انى سمعت العرب سمت هما قبل العزى فوجدت تميم بن مر سمي ابنه زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة وعبد مناة ابن اد وباسم اللات سمي ثعلبة بن عكابة ابنه تيم اللات وتيم اللات بن رفيدة ابن ثور وزيد اللات بن رفيدة بن ثور بن وبرة بن مر بن اد بن طابخة وتيم اللات بن النمر بن قاسط وعبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فهي أحدث من الاوليين . وعبد العزى بن كعب من أقدم ما سمت به العرب وكان الذى اتخذ العزى ظالم بن أسعد (١) وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض بازاء الغمير عن يمين المصعد الى العراق من مكة وذلك فوق ذات عرق الى البستان بتسعة أميال فبنى عليها بيتا وكانوا يسمعون فيه الصوت وكانت العرب وقريش تسمى بها وكانت أعظم الاصنام عند قريش وكانوا يزورونها ويتقربون عندها بالذبائح وكانت قريش قد حمت لها شعبا من وادى حراض يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة فذاك قول ابى جندب الهذلى فى حلف امرأة كان يهاها بها

لقد حلفت جهدا يمينا غليظة بفرع اتى أحمت فروع سقام
وكان لها منحرج ينحرون فيه هداياها يقال له الغبغب (٢) وفيه يقول
نهيكة الفزارى لعاصم بن الطفيل

يا عام لو قدرت عليك رماحنا والراقصات الى منى فالغبغب
وكانت قريش تخصصها بالاعظام فلذلك يقول زيد بن عمرو بن نفيل وكان
قد تأله فى الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الاصنام
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل الصبور
فلا العزى ادين ولا ابنتيها (٣) ولا صنمى بنى غنم أزور
ولا هبلا أزور وكان ربا لنا فى الدهر اذ حلنى صغير

(١) تنقل عن ابن العربى عند الكلام على اللات ان اول من دعا لعبادة العزى عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب (٢) قال السهيلي الغبغب هو المنحرج ومراق الدم كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعاثه (٣) رواية ولا ابنتيها

وكان سدنة العزى بنو شيبان بن جابر بن مرة من بني سليم وكان آخر من سدننها منهم ديبية بن حرمي السلمي . فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه فعبأها وغيرها من الاصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها فاشتد ذلك على قريش ومرض أبو أحيحة مرضه الذي مات فيه فدخل عليه أبو لهب يعود فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا أبا أحيحة أمن الموت تبكي ولا بدمنه قال لا ولكني أخاف ألا تعبد العزى بعدى قال أبو لهب والله ما عبت حياتك لاجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك فقال أبو أحيحة الآن علمت ان لى خليفة . وأعجبه شدة نصبه فى عبادتها فلما كان يوم الفتح دعا النبي خالد بن الوليد فقال انطلق الى شجرة ببطن نخلة فاعضدها فانطلق فقتل ديبية سادنها) وذكروا ابن هشام انها كانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر فلما علم سادنها السلمي بمسير خالد اليها علق عليها سيفه وأسند فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول

يا عاز شدى شدة لا توى بها (١) على خالد التى القناع وشمري
فانك الا تقتلى اليوم خالدا فبوتى بذل عاجلا وتنصرى
فلما انتهى اليها خالد هدمها وقال بعضهم ان خالدا حمل على العزى
وهو يقول

يا عاز كفرانك لا سبحانك انى رأيت الله قد أهانك

ثم قتل ديبية السادن وقطع الشجرة وكان من سدننتها أفلح بن النصر السلمي من بني سليم حكى سعيد بن عمرو الهذلى ان أفلح سادنها لما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعود وهو حزين فقال ما لى أراك حزينا قال أخاف ان تضيع العزى بعدى فقال له لا تحزن فانى أقوم عليها بعدك . فجعل أبو لهب يقول لكل من لقي أن تظهر العزى كنت قد أخذت عندها يدا وان يظهر محمد على العزى وما أراه يظهر فابن أخى فانزل الله تعالى (تبت يدا أبى لهب) وروى ابن العربى من حديث أبى الوليد ان سدنة العزى بنو شيبان بن سليم حلفاء

(١) رواه خزانه الادب : عزاي شدى شدة لا تكذبى .

بنى هاشم . وكانت قريش وبنو كنانة وخزاعة وجميع مضر تعظمها فاذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يخلوا حتى ياتوا العزى فيطوفون بها ويحلمون عندها ويعكفون عندها يوما وقال أبو المنذر (ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئاً من الاصنام اعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة فاما العزى فكانت تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية وذلك فيما أضل لقربها منها . وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش العزى وكانت الاوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين وكلهم كان معظما للعزى ولم يكونوا يرون في الخسة الاصنام التي دفعها عمرو بن لحي وهي التي ذكرها الله تعالى في القرآن المجيد حيث قال (ولا تذرون ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق وسرا) كرايهم في هذه ولا قريبا من ذلك فظننت ان ذلك كان لبعدها منهم وكانت قريش تعظمها وكانت غي وباهلة يعبدونها معهم » وروى ابن العربي بسنده عن ابن عباس ان خالد بن الوليد بعد أن هدم العزى رحع الى رسول الله . وقال الحمد لله الذي أكرمنا بك يا رسول الله وأتقنا من الهلكة لقد كنت أرى أبي يأتي العزى بخير ماله من الابل والغنم فيذبجها للعزى ويقم عندها ثلاثا ثم ينصرف اليها مسرورا فمظرت الى مامات أبي عليه والى ذلك الرأي الذي كان يعيش في فضله حتى يذبح لما لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . فقال رسول الله ان هذا الامر الى الله فمن يسره للهدى تيسر له ومن يسره للضلالة كان لها . وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان وجاء حسان بن ثابت الانصاري الى رسول الله وهو في المسجد فقال يا رسول الله ائذن لي أقول فاني لا أقول الا حقا فقال قل فانما يقول

شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذي فوق السموات من عل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد فقال حسان

وان ابايحي ويحيي كليهما له عمل في دينه متقبل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان الذى عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذى العرش مرسل
فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان
وان أخا الاحقاف اذ يعذلونهم يجاهد فى ذات الاله ويعدل
فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان
وان التى بالجزع من بطن نخلة ومن دانها فل عن الحق معزل (١)
فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد قال سفيان يعنى العزى
عميانس (٢) - قال أبو المنذر وكان لخولان صنم يقال له (عميانس)
بارض خولان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله تعالى بزعمهم
فما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه وما دخل فى حق الصنم
من حق الله الذى سموه له تركوه . ووهم اليعمرى فى عيون الاثر وابن هشام فى
سيرته فسمياه « عم انس » وقد تبعهما احمد البدوى الشنقيطى فى كتابه عمود
النسب فقال بعد ذكر خولان

أضاهم صنمهم عم أنس	كانوا اذا ما الغيث عنهم احتبس
توسلوا اليه بالذبايح	فامطروا وأعظم القبائح
ان جعلوا له ولله نصيب	من مالهم وان تغيب النصيب
أعطى للصنم حظ الله	وحظ له لم يعط للاله

ومن حديث هذا الصنم أن النبى عليه السلام قال لخولان ما أعظم ما رأيتم
من فتنته قالوا له يا رسول الله لقد رأيتنا وقد استنتنا حتى أكلنا الرمة وهلكت
ثاغيتنا وراغيتنا وحافرنا فقلنا قربوا لعميانس قرباناً يشفع لكم فتغاثوا فتعاونا
فجمعنا ما قدرنا عليه من عين مالنا ثم ذهب داهبنا فابتاع مائة ثور ثم حشرها
عيننا فنحرتها فى غداة واحدة وتركناها للسباع ونحن أحوج اليها من
السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا . فأى فتنة أعظم من هذه فلقد رأينا الغيث
يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عميانس وسأنوه عليه السلام عما قسموا
(١) قال هشام الفل من الارض المجذبة التى لا خير فيها ولا ركة فشبها بذلك
(٢) فى القاموس عميانس بالضم والياء المشناة تحت بعدها الف ونون صنم لخولان

له من ما لهم فذكر لهم ان الله أنزل عليه في ذلك « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والانعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل
الى الله . وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون » وفي سيرة ابن
هشام عن ابن اسحاق ان ذلك الصنم كان لبطن من خولان يقال لهم الادييم .
عوص - ذكر ابن هشام ان ابن السكبي لم يذكره في كتاب الاصنام
وقال عوض اسم صنم كان لبكر بن وائل وفيه يقول رشيد بن رميض بالتصغير
فيهما العزى

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير
حلف بالانصاب التي حول السعير وبلدماء الجاريات حوله وكانوا يذبحون
للانعام (عن البغدادي في خزنة الادب)

العوف - صنم (عن القاموس)

غيب - انظر عيب

غمدان - بيت غمدان بناه الضحاك بمدينة صنعاء اليمن على اسم الزهرة
وخر به عثمان ذو النورين (عن الممل والنحل للشهرستاني)

المليس - قال أبو المنذر . وكان لطبي صنم يقال الفليس وكان انفاً أحر في
وسط جبلهم الذي يقال له أجأ اسود كانه تمثال انسان . وكانوا يعبدونه
ويهدون اليه ويعترون عنده عتائهم ولا يأتيه خائف الا أمن عنده ولا يطرد
أحد طريدة فيلجأ بها اليه الا تركت له ولم تخفر حويته (١) وكانت سدنته
بنو بولان وهو الذي بدأ بعبادته فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له
صيفي فأطرد ناقة خلية (٢) لامرأة من كاب من بني عليم وكانت جارة لمالك
ابن كلثوم الشمجبي وكان شريفاً فانطلق بها حتى وقفها بقناء الفليس . وخرجت
جارة مالك فاخبرته بذهابه بناقتها فركب فرساً عربياً وأخذ رمحاً وخرج في

(١) الحوية كغنية استدارة كل شيء - والمعنى ان ماصار في حرمة يتركه

(٢) الخلية من معانيها الناقة التي تنتج وهي غزيرة فيجر ولدها من تحتها

فيجعل تحت أخرى وتخلي هي للحلب

أثره فأدركه وهو عند الفيلس والناقاة موقوفة عند الفيلس فقال له خل سبيل ناقاة جارتى . فقال انها لربك . قال : خل سبيلها قال أخفرك اهلك فبوا له الرمح (١) خل عقالها وانصرف بها مالك وأقبل السادن على الفيلس ونظر الى مالك ورفع يده وقال وهو يشير بيده اليه

- يارب ان مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بنابء الكوم (٢)

وكنت قبل اليوم غير مغشوم

يخرضه عليه وعدى بن حاتم يومئذ قد عثر عنده وجلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك وفزع لذلك عدى بن حاتم وقال انظروا ما يصيبه في يومه هذا فمضت له أيام لم يصبه شئ فرفض عدى عبادته وعبادة الاصنام وتنصر فلم يزل متنصرا حتى جاء الله بالاسلام فاسلم فكان مالك أول من أخفره فكان بعد ذلك السادن اذا أطرده طريفة أخذت منه فلم يزل الفيلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي عليه السلام فبعث اليه على بن أبى طالب فهدمه وأخذ سيفين كان الحارث بن أبى شمر الغساني ملك غسان قلده اياهما يقال لهما مخذم ورسوب فقدم بهما على بن أبى طالب على النبي صلى الله عليه وسلم فنقلد أحدهما ثم دفعه الى على بن أبى طالب فهو سيفه الذى كان يتقلده

القليس - كنيسة بناها أبرهة الاشرم (انظر صفحة ١٣٤)

القيس - صنم لم يذكره ابن الكلبي وبه سمي امرؤ القيس أى رجل ذلك الصنم ولذلك كان الاصمعي يكره أن يروى قوله في معاقته - عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل - فكان يقول يا مرأ الله

كثرى - صنم لجديس وطسم كسره نهشل الربيش بن عرعة ولحق بالنبي عليه الصلاة والسلام فأسلم وكتب له كتاباً وقال عمرو بن صخر بن اشنم حلفت بكثرى حلقة غير برة لتستلبن أثواب قيس بن عازب الكسعة - صنم عبدوه فى الجاهلية (عن تاج العروس)

(١) بوا الرمح نحوه قابله به (٢) أخفره نقض عهده وغدره و(الساب)الناقاة المسنة و(الملكوم) الشديدة

الكعبة - هي بيت الله الحرام وهو أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين بناه بالوحي الإلهي إبراهيم وإسماعيل قال الشهرستاني وكذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل ولهذا المعنى اقترب الدوام به بقاء والتعظيم له لقاء مقبولة وسماه بيت زحل وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب لان زحل يدل على البقاء وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لان البهاء الاول كان مستندا الى الوحي على يدى أصحاب الوحي

كعبة نجران . كانت ابني الحارث . قال أبو الفرج الاصفهاني انها بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران . وكان فيها أساقفة يقيمون وهم الذين جاءوا الى النبي ودعاهم الى المباهلة . وقيل انها قبة من ثلاثمائة جلد لعبد المسيح بن دارس بن عدي وسمتها العرب كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة . فكان اذا نزل بها مستجير اجير أو خائف أمن أو مسترفد اعطى ماطلب أو جائع شبع أو طالب حاجة قضيت وفيها يقول الاعشى يخاطب ائتمه

فكعبة نجران حتم عليك حتى تنأخي بأبوابها
نزور يزيد وعبد المسيح وقيسأهو خير أربابها

قال أبو المنذر « وكان ابني الحارث بن كعب كعبة بنجران يعظمونها وهي التي ذكرها الاعشى وقد زعموا انها لم تكن كعبة عبادة واعما كانت غرفة لاولئك القوم الذين ذكرهم وما أشبه ذلك عندي بان يكون كذلك لاني لا أسمع بنى الحارث تسموا بها في شعر وكان لا ياد كعبة أخرى بسنداد من أرض بين الكوفة والبصرة في الظهر وهي التي ذكرها الاسود بن يعفر (١) وقد سمعت ان هذا البيت لم يكن بيت عبادة انما كان منزلا شريفا فذكره»

كعب وامرأته - صنمان لم يذكرهما ابن الكلبي كانا في كنيسة القاييس وكان كعب خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعا وكانت امرأته

(١) قول الاسود بن يعفر المشار اليه هو

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد

خشبة من السّاج مثلها في الطول وكانوا يتبركون بهما في الجاهلية
اللات - صخرة بالطائف اتخذ العرب عليها بيتا قال أبو المنذر وهي أحدث
من مناة وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت عندها السويق وكان سدنتها
من ثقيف بنو عتاب (١) بن مالك وكانوا قد بنوا أمامها بناء وكانت قريش
وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت
في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم وهي التي ذكرها الله في القرآن
فقال (افرايتم اللات والعزى) وفيها يقول عمرو بن الجعيد

فانى وتركى وصل كأس لكالدى تبرأ من لات وكان يدينها

وقال السهيلي « ان عمرو بن لحي هو اللات الذي يلت السويق للحجيج
على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذي يلت كان من ثقيف
فلما مات قال لهم عمرو انه لم يمت ولكن دخل في الصخرة ثم أمرهم بعبادتها
وأن يبنوا عليها بيتا يسمى اللات . ودام أمره وأمر ولده على هذا بمكة
ثلثمائة سنة فاما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة الناء واتخذنا يعبد »
وحكى ابن العربي من حديث أبي الوليد بسنده عن ابن عباس قال : « ان رجلا
ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحجاج اذا مر يلت
سويقهم وكان ذا غنم فسميت صخرة اللات فلما فقده الناس قال لهم عمرو ان
ربكم اللات قد دخل في جوف الصخرة . وكانت العزى ثلاث شجرات نخيل
وكان أول من دعا الى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب وقال لهم عمرو
ان ربكم يصيف باللات لبرد الطائف ويشتى بالعزى لحرتهامة فبنوا على صخرته
بيتا يعبده أهل الطائف وهم ثقيف ويسترونه بالثياب ويهدون له الهدى
ويطوفون حوله ويسمون به الربة يضاهون به بيت الله الحرام بمكة ولهدمه خبر
مفصل وهو انه لما قدم وفد ثقيف على رسول الله بعد فتح مكة لاصلاح
لتيقنهم الاطاعة لهم بقتاله وهم بضعة عشر رجلا من أشرافهم فيهم كنانة
وعبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وصاحب أمرهم فعرض عليهم النبي الاسلام

(١) جعل ابن اسحاق سدنتها بني معتب :

فقالوا له أرأيت الزنا فانا قوم نفترب ولا بد لنا منه قال هو عليكم حرام . قالوا فالربا فانه أموالنا كلها قال والربا حرام ولكم رءوس أموالكم . قالوا فالخمر فانها عصير أرضنا ولا بد لنا منها قال ان الله قد حرمها وتلا عليهم بذلك كله قرآنا قالوا أرأيت الربة ماذا نصنع فيها . قال اهدمها . قالوا هيهات لو تلم الربة انك تريد هدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب ويحك يا عبدي ليل ما أحقك انما الربة حجر قالوا انا لم نأتك يا ابن الخطاب ثم قالوا يا رسول الله تول أنت هدمها فاما نحن فلا نهدمها أبداً فقال سأبعث من يكفيكم هدمها فرجعوا الى بلادهم وبعث رسول الله سرية منهم أبو سفيان بن حرب ومنهم المغيرة ابن شعبة وأمر عليهم خالد بن الوليد فلما قدموا عليهم عمدوا الى اللات ليهدموها وأنكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال وهم لا يرون انها تهدم ويظنون انها ستمتنع فاخذ المغيرة بن شعبة فأساً كبيرة وقال لاصحابه لاضحككم من ثقيف قالوا بلى فضرب بالمعول ضربة ثم صاح وخر مغشياً على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سرورا بان اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يا مغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم انها تهلك من عاداها . من شاء منكم فليقترب وليجد على هدمها فوالله لا تستطاع ابدا . فوثب المغيرة يضحك منهم ويقول والله يامعشر ثقيف ما قصدت الا الهزء بكم انما هي لكع حجارة ومدر ثم ضرب الباب فكسره ثم علوا سورها فما زالوا يهدمونها حتى سووها بالارض . وجعل صاحب المفاتيح يقول ليغضبني الاساس فليخسفن بهم الارض فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد : دعني أحفر أساسها فخفروه حتى أخرجوا ترابها وحرقها بالنار ثم أخذوا حايها وثيابها وكسوتها فقدموا به على رسول الله فقسمه من يومه وحمدوا الله عز وجل على نصر نبيه واعزاز دينه وروى ان المغيرة لما قام يهدمها قام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقلن

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع (١) لم يحسنوا المصاع (٢)

وفي اللات يقول كعب بن مالك الانصاري من قصيدة

وننسى اللات والعزى وودا ونسأبها القلائد والشنوفاء

ويقول شداد بن عارض الجشمي ينهى ثقيقا عن العود اليها

لاتنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر

ان التي حرقت بالدار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

ان الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

المحرق - صنم لبكر بن وائل كان إسمان (عن تاج العروس)

المدان - صنم وبه سمي عبد المدان وهو أبو قبيلة (عن تاج العروس)

مرحب - صنم كان بحضر موت اليمروذو مرحب ربيعة بن معديكرب

كان سادنه اى حافظه (عن تاج العروس)

مناة - صنم من أصنامهم قدم به عمرو بن لحي من البلقاء من أرض

الشام الى مكة ونصبه حول الكعبة . قال أبو المنذر . ان العرب دانت للأصنام

وانخذوها فكان أقدمها كلها مناة وسمت العرب عبد مناة وزيد مناة وكان

منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة . وكانت

العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله . وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل المدينة

ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له . وكان أولاد

معد على بقية من دين اسماعيل . وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه ولم

يكن أحد أشد اعظاماً له من الاوس والخزرج ومناة هي التي ذكرها الله

تعالى في قوله ومناة الثالثة الاخرى (٣) وكانت لهذيل وخزاعة وكانت قريش

(١) اى اسلمها اللئام (٢) فى رواية اذ ذكر هوا المصاع - والمصاع القتال

(٣) قال السهيلي مناة وزنه فعلة من منيت الدم وغيره اذا صببته لان

الدماء كانت تمنى عنده تقرباً اليه ومنه سميت الاصنام الدمى وجعلها ثالثة اللات

والعزى وأخرى بالاضافة الى مناة التي كان يعبدها عمرو بن الجموح وغيره من

قومه فهما مناتان واحداً غير الاخرى بالاضافة الى صاحبتهما

وجميع العرب تعظمه فلم يزل على ذلك حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث عليا (١) اليها فهدها وأخذ ما كان لها فأقبل به الى النبي صلى الله عليه وسلم . وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر ملك غسان أهدهما اسم أحدهما مخزم والآخر رسوب وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة في شعره فقال

مظاهر سر بالي حديد عايبهما عقيلا سيوف مخزم ورسوب فوهبهما لعلي . فيقال ان ذا الفقار سيف على أحدهما . ويقال ان عليا وجدتهما في الفلج صنم لطبي حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لهدها وكانت الاوس والخزرج يخصصونها دون غيرها بالزيارة والهدية «

وروى ابن العربي عن ابن اسحاق ان عمرو بن لحي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد وكانت الازد وغسان يحجونها ويعظمونها . فاذا طافوا بالبيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا من مي لم يجلوا الا عند مناة . وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين مناف - صنم به سمي عبد مناف قال أبو المنذر ولا أدري أين كان ولا من نصبه

منهب - صنم ذكره الجاحظ في الترييع والتدوير

نائلة - صنم (انظر أساف)

نسر - صنم قال أبو المنذر واجابت عمرو بن لحي حمير فدفع الى رجل من ذى رعين يقال له معد يكرب نسرا فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبد به حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم أسمع حمير سميت به أحدا ولم أسمع له ذكرا في أشعارها وأشمار العرب وأظن ذلك كان لا انتقال حمير عن عبادة الاصنام الى اليهودية «

(١) في قول آخر ان النبي بعث لهدها أبا سفيان بن حرب فهدها وذكر

القولان ابن هشام

(وأقول) ذكره في الشعر عمرو بن عبد الجن الجاهلي فقال

أما والدماء المائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عند ما
نصّر - صنم (عن المخصص)

نهم - صنم عبده مزينه وبه سمت عبدتهم وكان سادته خزاعي بن عبد
نهم من مزيعة فلما سمع ببعثة رسول الله شرح الله صدره للاسلام فكسر
صنمه وانشأ يقول

ذهبت الى نهم لا ذبح عنده عتيرة نسك كالذي كنت أفعل
فقلت لنفسى حين راجعت عقلها أهذا إله أبكم ليس يعقل
أبيت فديني اليوم دين محمد إله السماء الماجد المتفضل
ثم لحق بالنبي فأسلم وضمن اسلام قومه مزيعة

هبل - كان من أعظم الاصنام عند قريش وكان من عقيق أحمر على صورة
الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب وكان
أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . وكان يقال له هبل خزيمة
ذكر ذلك أبو المنذر وحكى ابن هشام أن هبل قدم به عمرو بن لحي من مأرب
فنصبه في مكة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه واختلف في موضعه فالشهرستاني
ذهب الى انه كان على ظهر الكعبة وابن اسحاق ذهب الى انه كان عند البئر
التي كانت في جوف الكعبة على يمين من دخلها . وكان عمقها ثلاث أذرع حفرها
ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ليحفظ فيها ما يهدى الى الكعبة . وكانت
تسمى الاخسف وكان قدامه سبعة أقدح يضربونها عنده اذا اختصموا في
أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً فما خرج عملوا به وانتهوا اليه

ود - صنم عبده كلب بدومة الجندل قال أبو المنذر « ان عمرو بن لحي أتى
شط جده فاستثار الاصنام ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب
الى عبادتها قاطبة فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن
كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فدفع اليه
ودا فجعله الى وادي القرى فأقره بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول

من سمي به ثم سمت العرب به بعد وجعل عوف ابنه عامرا الذي يقال له عامر
الاجدار سادنا له فلم يزل بنوه يسدونونه حتى جاء الله بالاسلام . قال الكلبي
فحدثني مالك بن حارثة الاجداري انه رأى ودا قال وكان أبي يبعثني بالابن اليه
فيقول اسقه الهك فاشربه قال ثم رأيت خالد بن الوليد كسره فجعله جذاذا وكان
رسول الله بعث خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه
بنو عبد ود وبنو عامر الاجدار فقاتلهم حتى قتلهم وهدمه وكسره قال الكلبي
فقلت لمالك بن حارثة صف لي ودا حتى كافي أنظر اليه قال كان تمثال رجل
كاعظم ما يكون من الرجال قد ذبر عليه (١) حلتان متر بحلة ومرتد بأخرى
عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة (٢)
فيها نبل « وفي ود يقول الشاعر

حياك ود فانا لا يحل لنا هو النساء وان الدين قد عرما
ودع - صنم (عن المخصص)

ياليل - وزن هابيل صنم سمت العرب به عبد ياليل (عن تاج العروس)
اليعبوب - كان لجديلة طيب صنم فأخذته منهم بنو أسد فاتخذوا بعده

اليعبوب صنما عبوده فلذلك قال عبيد

فتبدلوا اليعبوب بعد الههم صنما فقروا يا جديل وأعدبوا
أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا

يعوق - صنم قال أبو المنذر (وأجابت عمرو بن لحي همدان فدفع الى مالك

ابن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان يعوق
فاتخذته خيوان فكان بقرية يقال لها خيوان (٣) من صنماء على ليلتين مما يلي مكة
تعبده همدان ومن والاها من أرض اليمن ولم أسمع همدان سمت به ولا غيرها
من العرب ولم أسمع لها أو لغيرها فيه شعرا وأظن ذلك لانهم قربوا من صنماء
واختلطوا بحمير فدانوا معهم باليهودية أيام تهود ذو نواس فتهودوا معه)

(١) رواية زبر أى نقش (٢) الوفضة الجمبة (٣) خيوان بطن من همدان

كافي ابن هشام

أقول قد ذكره في الشعر مالك بن نبط الهمداني في قوله :

يريش الله في الدنيا ويبرى ولا يبرى يعوق ولا يریش (١)

يفوث - صنم - قال أبو المذر اتخذته مذحج وأهل جرش وفيه يقول الشاعر

وسار بنا يفوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح

ودفعه عمرو بن لحي الى أنعم بن عمرو المرادي فكان بأكمة باليمن يقال لها

مذحج تعبده مذحج ومن والاها

* كثرة الاصنام *

ليس في الاستطاعة حصر أصنامهم في الجاهلية فكثرتها تتجاوز العد .

وقد كان للقبيلة أكثر من صنم وكان منها عند الكعبة كثير حكى الزمخشري

انه كانت حولها ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحياهم . ولما دخل

رسول الله يوم فتح مكة المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة جعل

يطعن بسية قوسه (٢) في عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل

ان الباطل كان زهوقا ثم أمر بها فكفئت على وجوهها وارتقى على بن أبي

طالب على منكبه الشريف حتى صعد الكعبة فقال له عليه السلام الق صنمهم

الاكبر وكان من نحاس وقيل من زجاج وألقى كل ما عليها من الاصنام ولم يبق

الا صنم خزاعة موندا بأوتاد من حديد فما زال يعالجه حتى تم كمن منه فقذفه

فتكسر ثم أخرجت من المسجد فخرقت وفي تكسيرها يقول فضالة بن عمير

ابن الملوح الليثي (٣)

قالت هلم الى الحديث فقلت لا ياأبي عليك الله والاسلام

() يریش ويبرى من رشت السهم وبريته ثم استعير في النفع والضرر

قال سويد

فرشني بخير طالما قد بريتني وخير الموالى من يریش ولا يبرى

(٢) سية القوس ماعطف من طرفها (٣) نسبها ابن الكلبي في كتاب

الاصنام لراشد بن عبد الله السلمي

أو ما رأيت محمداً وجنوده (١) بالفتح يوم تكسر الاصنام
رأيت دين الله أضحى بينا (٢) والشرك يغشى وجهه الاظلام
وقال تميم بن أسد الخزاعي

وفي الاصنام معتبر وعلم لمن يرحو الثواب أو العقابا
وأصنامهم سفرا وحضرا تجل عن الحصر أما في الحضر فذكر ابن اسحاق
ان أهل كل دار اتخذوا في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر
ما يصنع في منزله أن يتمسح بصنمه واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع
اذا دخل منزله أن يتمسح به فلما بعث الله تعالى نبيه ودعاهم لمباداة الله
وحده قالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً ان هذا امشي عجاب . وأما في السفر
فكان الرجل منهم اذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها
فأخذها رباً وجعل الثلاثة اثنى لقدره واذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلاً آخر
فعل مثل ذلك قال أبو المنذر « واستهترت العرب في عبادتها فمنهم من اتخذ بيتاً
ومنهم من اتخذ صنماً ومن لم يقدر على اتخاذ صنم أو بناء بيت نصب حجراً اما
من الحرم واما من غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها
الانصاب وسموا طوافهم الدوار » واتخذ كثير منهم في داره صنماً وكثيراً ما
يسميه بأسم الصنم الذي تعبده القبيلة ويتخذ على مثاله ليتمكن من عبادته
وهو في داره حكى ابن هشام في سيرته ان عمرو بن الجموح أحد سادات بني
سامة وأشرفهم كان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له مناة كما كانت
الاشراف يصنعون تتخذها لها تعظمه وأطهره فلما أسلم فتيان بني سامة كانوا
يدلجون (٣) بالليل على صنمه فيجملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سامة
وفيهما عذر الناس منكساً على رأسه فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا (٤)
على آلهتنا هذه الليلة قال تم يغدو يلتمسه حتى ادا وجدته غسله وطهره وطيبه

(١) رواية وقبيلة (٢) رواية نور الله أضحى ساطعاً (٣) أدلج سار أول
الليل وأدلج سار آخر الليل وقيل الادلاج سير الليل كله (٤) الاصل ان معنى
غدا عليه بكر ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق في أي وقت كان

ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لاخزينه فاذا أمسى ونام عمرو غدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الاذى فيفسله ويطهره ويطيبه ثم يغدون عليه اذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما ففسله فطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له انى والله ما أعلم من يصنع بك ماترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكساً مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكله من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وقال حين أسلم يذكر صنمه وما أبصر من أمره

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكنب وسط بئر فى قرن (١)
أف للملأك إلهاً مستدف الآن فتشناك عن سوء الغبن (٢)
الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين (٣)
هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر صتهن

ومثله فى ترك عبادة صنمه حين رآه عاجزا عن الدفاع عن نفسه غاوى بن ظالم فقد كان يأتى صنمه بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له أطعم وقيل انه كان سادنا له فجاء ثعلبان (وهو ذكر الثعالب) فأكل الخبز والزبد ثم بال على رأس الصنم فلما رأى ذلك غاوى بن ظالم تبين له الحق فآل لقد خاب قوم أملوك لشدة أرادوا نزالا ان تكون تحارب فلا أنت تغنى عن أمور تواترت ولا أنت دفاع اذا حل نائب

(١) القرن الحبل (٢) مستدن من السدانة وهى خدمة البيت وتمعظيمه و (الغبن) يكون فى الرأى يقال غبن رأيه بمعنى خسر نفسه وأوبقها (٣) قال السهيلي الدين جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضا ويجوز أن يكون أراد بالدين الاديان أى هو ديان أهل الاديان ولكن جمعها على الدين لانها ملل ونحل

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بآلت عليه الثعالب
ثم ضرب الصنم فكسره وأتى النبي فأمن وسأله عليه الصلاة والسلام
عن اسمه فقال غاوى بن ظالم . قال لا بل أنت راشد بن عبد ربه
(وكانوا) لا يتخذونها من مادة معينة . قال أبو رجاء العطاردي كنا نميد
الحجر في الجاهلية فاذا وجدنا حجرا أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه فاذا لم
نجد حجرا جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به . وقال
أيضا كنا نعمد الى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكنا نعمد الى الحجر
الابيض فنعبده زمانا ثم نلقيه .

وقد اتخذت بنو حنيفة صنما من حيس فعبدوه دهرآ طويلا ثم أدركتهم
مجاعة فأكلوه . وفيهم يقول الشاعر
أكلت حنيفة ربهما زمن التقم والمجاعة
لم يحذروا من ربهما سوء العواقب والتباعة
وقال رجل من بني تميم

أكلت ربهما حنيفة من جو ع قديم بها ومن أعواز

عبادة الاصنام وما يتقرب بها

عبد أكثر العرب الاصنام لا لذاتها بل لتقربهم الى الله زلفى وتشفع لهم
عنده روى انهم كانوا يقولون في طوافهم بالكعبة واللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى فانهن الغرائيق العلى وان شفاعتهم لترجي فعملوا عبادتها
وسيلة لعبادته ولما كان ذلك من الشرك انكره الله تعالى عليهم في غير ما آية من
كتابه كما انكر عليهم اعتقادهم انها بنات الله في قوله (أفرايم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى الحكم الذكر وله الاثني تلك اذن قسمة ضيزى ان هي الا
اسماء سميت موها أتم وآباؤكم ما أنزل الله بهما من سلطان) وما أسرع تزلزل هذه
المقيدة عند مبدأ النظر فقد روى ان قريشا قالت قبيضا لابي بكر رجلا
ياخذ فقيضا له طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم فقال يا أبا بكر قم الى
فقال الام تدعوني قال أدعوك الى عبادة اللات والعزى فقال أبو بكر من اللات

والعزى قال بنات الله قال فن أمهم فسكت طلحة وقال لأصحابه أجيئوا صاحبكم فسكتوا فقال طلحة قم يا أبا بكر فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (فكانوا) يعظمونها ويلبسونها أحسن الثياب وحلف الشفري بثياب الاقيصر فقال

وان امرأ اجار عمرا ورهطه على وأثواب الاقيصر يعنف (وكانوا) يتقربون لها بالمناسك والمشاعر وحملوا لها وحرموا وسبوا لها السوائب والبجائر (وكانوا) يمجون اليها فلذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجده عليه السلام والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان الله ضاعف أجر العبادة فيها (وكانوا) يطوفون بها تقربا اليها وشاهده قول امرى القيس يشبه قطيعا من البقر يلوذ بعضه ببعض ويدور كما تدور العذارى حول الصنم دوار

فمن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار في الملاء المذيل

(وكانوا) يسبحون ويهللون لها قال ربيع بن صبيغ الفزاري

واننى والذي نغم الانام له حول الاقيصر تسبيح وتهليل

(وكانوا) يستقسمون عندها بالارلام (وكانوا) يجعلون لها نصيبا من

انمامهم وحرورهم (وكانوا) يقفون لها الاوقاف ويهدونها أقواتهم يرجون

بذلك الخير والبركة * روى نافع عن أبي نعيم قال : كان أبو طالب يعطى عليا

قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات

(وكانوا) يسمون أنفسهم باسماء مضافة اليها بالعبودية أو الاختصاص كعبد

اللات وعبد العزى وامرى القيس فغير النبي عليه الصلاة والسلام ما كان من أسماء

أصحابه كذلك يعبد الله وعبد الرحمن و (كانوا) يقسمون بها فيقول الحالف

واللات أو وهبل مثلا ويرون ان الحلف بها كذبا يستوجب نقصا في الاموال

والانفس والثمرات فلا يقدمون على ذلك . ويستحلف الاخصام بعضهم بعضا

باسمائها فنهوا عن ذلك بقوله عليه السلام من حلف بغير الله فقد أشرك

و (كانوا) ينذرون لها النذور ومنها مولى السائبة وهو ما سيب نذر الالهة

فلا يمنع من ماء ولا كلاء وان كان رقيقا وأعتقه مالكة سائبة فلا يعقل عنه ولا يورث ولا ولاء عليه لاحد . ومن اعتق سائبة سالم مولى أبي حذيفة اعتقته قتيبة بنت يعار وقيل اسمها ثبيثة بنت يعار فانقطع سالم الى أبي حذيفة ابن عتبة بن ربيعة فتبناه فقيل سالم مولى أبي حذيفة

(و كانوا) يسجدون لها وينكسون رأسهم عندها قال الشاعر

فبات يجتاب شقارى كما يقرر من يمشى الى الجلسد (١)

(و كانوا) يستعينون بها في حوائجهم من شفاء المريض وغنى الفقير وغير ذلك فأوجب الله عليهم أن يقولوا في صلاتهم (اياك نعبد واياك نستعين) وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) و (كانوا) لا يمكنون الحيض من النساء من الدنو منها ولا التمسح بها انما كانت الحائض تقف ناحية منها قال بلعاء بن قيس بن عبد الله بن يعمر وهو الشداخ اليبى

وقرن قد تركت الطير منه كعتنز العوارك من مناف (٢)

(و كانوا) يجعلون لاصنامهم أعيادا وروينا حديث أم أيمن في ذلك عند ذكر الصنم بوانة و (كانوا) يهدون لها الهدايا ويقربون لها القرابين فمنها (الفرع) وفسره الشافعي بأنه أول نتاج البهيمة كانوا يذبحونه ولا يملكونه لاحد رجاء البركة في الام وكثرة نسلها وفسره أبو علي القالى بأنه ذبح كان أهل الجاهلية يذبحونه على أصنامهم ويلبسون جلده سقبا آخر وفي المحكم الفرع أول إنتاج الابل والغنم كان أهل الجاهلية يذبحونه لاصنامهم ثم يأكلونه ويلقى جلده على الشجر وعن أبي مالك انه البكر ينجره الرجل للصنم اذا بلغت ابله مائة ويقال انه ذبح كانوا اذا بلغت الابل ما تمناه صاحبها ذبحوه وكذلك اذا بلغت ابله مائة يعتر منها بعير كل عام ولا يأكل منه هو ولا أهل بيته ويطاق الفرع أيضا على الطعام الذى يصنع لتاج الابل كالخرس لاولادة وقال الميداني في مجمع الامثال عند قولهم في المثل (أول الصيد فرع) مانصه الفرع أول

(١) البيقرة أن يعدو الرجل منكسا رأسه و (الجلسد) صنم (٢) المعتنز

المتنحى فى ناحية - و (مناف) صنم

ولد تنتجه الناقة كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك وكان الرجل يقول
إذا قت ابلى كذا نحرت أول نتيح منها (كاوا) إذا أرادوا نحره زينوه
والبسوه ولذلك قال أوس بن حجر يذكر أزمة في شدة البرد

وشبه الهيدب العيام من الاقوام سقياً مجللاً فرعاً (١)

وأفرع القوم إذا ذبحوا الفرع يقال أفرع إذا أراق الدم مأخوذ من الفرع
ومنه قولهم للضبع اذ وقعت في الغنم

أفرعت في قرارى كأنما ضرارى أردت يا جمار (٢)

ومنها (العتيرة) بوزن عظيمة وهي كما قال أبو عبيد . ذبيحة كانوا يذبحونها
في الجاهلية في رجب يتقربون بها لاصنامهم وهي الرجبية . ولغيره انهم كانوا
ينذرون من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منها في رجب عتيرة . وفي
الصحاح العتيرة هي أن الرجل كان يقول في الجاهلية ان بلغ ابلى مائة عترت
منها عتيرة في رجب ونقل أبو داود تقييدها بالعاشر الاول من رجب . وروى
الحميدى انها الشاة التي تذبح عن أهل بيت في رجب وسميت بذلك لذبحها وهو
العتير . وفسرها النووي بأنها ذبيحة كانوا يذبحونها في العشر الاول من رجب
ويسمونها الرجبية وفيها يقول السابغة الجعدي وكان من المعمرين

قالت أمامة كم عمرت زمانة وذبحت من عتر على الاوثان

وقد أبطلت الشريعة المطهرة كلا من الفرع والعتيرة لقوله عليه السلام
في الحديث الصحيح لا فرع ولا عتيرة وهذا النهي محمول على ما اذا كان
ذبحهما لطواغيتهم وآلهتهم كما كانوا يصنعون في الجاهلية أما اذا لم يقصد
بذبحهما غير وجه الله تعالى فلا حظر فيه وعليه يحمل ما رواه البيهقي بسنده
عن الحارث بن عمر قال أتيت النبي بعرفات أو قال بمنى وسأله رجل عن العتيرة
فقال من شاء عتر ومن شاء لم يعتر ومن شاء فرع ومن شاء لم يفرع ولكنهم
نهبوا عن تخصيص ذبح العتيرة في رجب لحديث ان رجلاً نادى رسول الله
(١) الهيدب الغبي الثقيل و (العيام) العبي الثقيل و (المقب) الذكر

من ولد الناقة ساعة يولد (٢) القرار الغنم و (جمار) كقطام الضبع

انا كنا نعتر عتيرة في الجاهلية فما تأمرنا قال اذبحوا لله في أى شهر كان لما في التخصيص من تفضيل بعض الاوقات على بعض وتمييزها بالمعبادة من غير نص من الشارع كما نهوا عن تخصيص ذبح الفرع أول ما يولد لان رسول الله لما سئل عن الفرع قال الفرع حق وأن تركوه حتى يكون بكرا أو ابن مخاض أو ابن لبون (١) فتعطيه ارملة أو تحمل عليه في سبيل الله خير من أن تذبحه فيلزق لحمه بوبره (٢) وتكفيء اناءك (٣) وتوله ناقتك (٤) ومنه تعلم ان الفرع كان يصلح عندهم للنسك ولو ذبح صغيرا أما غيره فلا يصلح لذلك الا اذا ذبح كبيرا وشاهده قول أبي علي القالى في أماليه (الحلان والحلام فويق الجدى وأنشد لابن احرر

تهدى اليه ذراعُ الجدى تمكرومة اما ذبيحا واما كان حلانا

فالذبيح الذى يصلح للنسك والحلان الصغير الذى لا يصلح للنسك ثم قال وانشدنا أبو عبيدة قول مهلهل

كل قتيل في كليب حلام حتى ينال القتل آل همام

يقول كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن يذبح للنسك حتى ينال القتل آل همام فانهم وفاء به «

و (كانوا) يذبحون قربانهم عند الاصنام اذا كانوا بمقربة منها وحينئذ يلعظونها بدمائها يلتمسون بذلك الزيادة في أموالهم ودفع المكروه عنهم

وشاهده قول زهير بن أبي سلمى

فزل عنها وأوفى رأس سرقية كمنصب المتردى رأسه النسك (٥)

(١) البكر الفتى من الابل والائى بكرة و (ابن المخاض) التفصيل اذ لقت أمه وقيل ما دخل في السنة الثانية لان أمه لحقت بالمخاض أى الحوامل وان لم تكن حاملا و (ابن اللبون) ولد الناقة اذا كان في العام الثانى واستكمت، وقيل اذا دخل في الثالث والائى ابنة لبون لان أمه وضعت غيره (٢) يريد انه لا شبع فيه (٣) يشير به الى ذهاب اللبن لان ذهاب ولدها يدفع لبنه فكانه اذا فعل ذلك كمنأ اناءه وأراقه (٤) يعنى تفجما بولدها (٥) معنى البيضة

وقد هجا شاعرهم رجلا فشببهه برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها
فلا تصلح الا للذبح والنسك فقال

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة من الادم أهداها أمرؤ من بني غنم
رأى قدعا في عينها اذ يسوقها الى غبغب العزى فوسع في القسم (١)
وكذلك كانوا يصنعون اذا نحرروا هديا قسموه فيمن حضرهم و (كانوا)
يهلون بأسمائها عند الذبح فيقولون باسم اللات أو العزى مثلا وغلوا في ذلك
حتى قالت كفار قريش ما ذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه وما ذبحتم لغيره فكلوه
فحرم الله ذلك واعتبر ذبيحتهم نجسة يحرم أكلها بقوله (ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه وانه لنسق) (٢) وتبعته نصارى العرب كفار قريش في
تعمد ترك اسم الله تعالى عند الذبح ولذلك نهى عليه الصلاة والسلام عن ذبيحة
نصارى العرب على أن من العرب من فتح الله بصيرته فعلم سوء صنيعهم هذا
من هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل وكان ممن اعتزل عبادة الاوثان وحرّم أكل
ذبائح المشركين ومن قوله في ذلك (يامعشر قريش أيرسل الله قطر السماء وينبت
بقل الارض ويخلق السائمة فترعى فتذبخونها لغير الله)

ومن أنواع قرابينهم في الجاهلية البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وورد
ذكر الثلاثة الاخيرة في قول الشاعر

حول الوصائل في شريف حقة والحاميات ظهورها والسيب (٣)

زل الصقر عن القطة وأشرف على رأس (سرقبة) وهى المكان المرتفع حيث
يرقب الرقيب وقوله (كمنصب العتر) أى كأن الصقر مما به من الدم الحجر
الذى يعتر عليه وهو النصب و(العتر) ذبح كان يذبح في رجب (١) القدح
ضعف البصر من ادمان النظر و(الغبغب) المنحرج مهراق الدماء (٢) فسرق الفسق
بمتروك التسمية عمدا لقوله تعالى أوفسق أهل لغير الله به (٣) حول جمع حائل
ويقال فى جمعها أيضا حوال والحائل كل أنثى لا تحمل و(الشريف) اسم موضع
واذا طعنت الابل فى الرابعة فهى حق وحقة و(وصائل) ووصل جمع وصيلة
و(سيب) وسوائب جمع سائبة - وفى نسخة حول الفصائل

وتتميز كل واحدة منها عما عداها بإعلامة كما قال الجاحظ « وقد أعلم العرب البحرية بغير علم السائبة لتمييز عنها وأعلموا الحامى بغير علم الفحول وكذلك الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم وكذلك سائر الاغنام السائمة » ولنبيين معانيها فنقول ، أما البحرية فهي فعيلة بمعنى مفعولة من البحر وهو الشق جمعها بحائر وبحر . وفسرها الزجاج بأن أهل الجاهلية كانوا اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنفا وحرموها ونحرها وركوبها ولا تطرد من ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها المعى لم يركبها وفسرها ابن اسحاق بانها بنت السائبة (١) وتعقبه ابن هشام بأنها عند العرب ليست كذلك بل البحرية عندهم الناقة تشق أذنفا فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف ولا يتصدق به وتهمل لآلهتهم

وقال الكلبي كانت الناقة اذا نتجت خمسة أبطن فكان الخامس ذكرا أكله الرجال دون النساء وان كان أنثى بحروا أذنفا وشقوها وتركها لا يشرب لها لبن ولا تركب قيل ولا يجز لها وبر ولا يحمل عليها شيء ولا يذكر اسم الله عليها ان ذكيت وتكون ألبانها للرجال دون النساء وان كانت سيمتة اشترك فيها الرجال والنساء . وقيل البحرية الناقة التي ولدت خمسة أو سبعة وقيل بل عشرة أبطن وتترك هملا واذا ماتت حل لحمها للرجال خاصة وقيل هي في الشاة خاصة اذا نتجت خمسة أبطن بحرت . وعن ابن المسيب انها التي منع لبنها للطواغيت فلا تحلب وقيل هي السقب الذي اذا ولد شقوا أذنه وقالوا اللهم ان عاش ففتى وان مات فذكى فاذا مات أكلوه . وقيل التي تترك في المرعى بلا راع

أما السائبة فهي فاعلة من سيبته أى تركته وأعملته فهو سائب وهي سائبة قال ابن اسحاق هي الناقة اذا تابعت بين عشر أناث ليس بينهن ذكر سبيت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنفا ثم خلى سبيلها مع امها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بأمها فهي البحرية بنت السائبة وتعقبه

(١) من معانيها فى القاموس انها ابنة السائبة وحكمها حكم أمها

ابن هشام بأن السائبة عند العرب هي التي ينذر الرجل أن يسيبها ان يرى من مرضه أو ان أصاب امرا يطلبه فاذا كان ذلك اسباب ناقة من ابله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها وعن أبي عبيدة كان الرجل اذا قدم من سفر بعيد أو نجتته دابته من مشقة أو حرب . قال هي سائبة أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظماً (١) وكانت لاتنعم من ماء ولا كلاء ولا تركب وكان هذا نذرا من نذورهم وقيل هي البعير الذي يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب وقيل ماترك ليحج عليه وعن ابن عباس وابن مسعود انها التي تسيب للاصنام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها الا أبناء السبيل ونحوهم والسائبة أيضا العبد يعتقد على ألا يكون عليه ولاء ولا عقل ولا ميراث

وأما الوصيلة فهي فعيلة بمعنى فاعلة على الاظهر وقيل بمعنى مفعولة وفسرها ابن اسحاق بأنها الشاة اذا اتأمت عشر أناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة قالوا قد وصلت . فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون اناتهم (٢) الا ان يموت منها شيء فيشترك في أكله ذكورهم وأناتهم. وتعقبه ابن هشام بان الوصيلة عند العرب هي التي تلد اثنان في كل بطن فيجعل صاحبهما لآلهته الاناث منها ولنفسه الذكور فتلدها (٣) أمها ومعها ذكر في بطن فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخوها معها فلا ينتفع بهما

وقال الفراء هي الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين (٤) عناقين واذا ولدت في آخرها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الام الا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة . وعن ابن عباس هي الشاة تنتج سبعة أبطن فان

(١) نقل القلقشندي في صبيح الاعشى سببا آخر لاغلاق الظهر اذ قل

كان الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة عمد الى البعير الذي كملت به المائة فاغلاق ظهره بأن ينزع شيئا من فقراته ويعقر سنامه كي لا يركب ليعلم ان ابل صاحبه قد اتمت (٢) يروي فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنينهم دون اناتهم (٣) أي الاثنى (٤) العناق كسحاب الاثنى من اولاد المعز جمع أعنق وعنوق

كان السابع انثى لم ينتفع النساء منها بشى الا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء وكذا ان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها فترك معه وينتفع بها الرجال دون النساء فان ماتت اشتركوا فيها قال ابن قتيبة ان كان السابع ذكرا ذبح وأكلوا منه دون النساء . وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على أزواجنا وان كان انثى تركت في الغنم وان ذكرا وانثى فيكقول ابن عباس

وقال الزجاج هي الشاة اذا ولدت ذكرا كان لآلهمم واذا ولدت انثى كانت لهم واذا ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها أى دفعت عنه الذبح فلم يذبحوا الذكر لآلهمم . وقيل هي الشاة تنتج خمسة أبطن أو ثلاثة . فان كان جديا ذبحوه وان كان انثى أبقوها وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها . وقيل الوصيلة من الابل هي الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن لا ذكر بينها . وقيل أنها الناقة التي تبكر فتلد أنثى ثم تثني بولادة أنثى أخرى ليس بينهما ذكر فيتركونها لآلهمم ويقولون قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينهما ذكر

وأما الحامى فهو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلف فيه . فقال ابن اسحاق انه الفحل اذا نتج له عشر أنثى متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره . فلم يركب ظهره ولم يحز وبره وخلي في ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك وقيل هو الفحل ينتج له سبع أنثى متواليات فيحمى ظهره . وقال الشافعى انه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين وقال الفراء هو الفحل اذا لقح ولد ولده فيقولون حمى ظهره فيهمل ولا يطرد من ماء ولا مرعى . وقال أبو عبيدة والزجاج انه الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن فيقولون حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وروى هذا القول عن ابن عباس وابن مسعود

وكانوا يرون أن الضرورة تبيح المحظور . وشاهده ما رواه المفضل الضبي أن جبيلة بن عبد الله أخا بني قريع بن عوف أغار على ابل جرية بن أوس بن عامر يوم سلوق فاطرد ابله غير ناقة كانت مما يحرم أهل الجاهلية ركوبها وكان لجرية ابن أخت يرعى ابله فبلغ الخبر خاله والقوم قد سبقوا

بالابل غير تلك الناقة الحرام فقال جرية للسلام رد على تلك الناقة لأركبها في أثر القوم فقال الغلام أنها حرام فقال جرية «حرامه يركب من لاحلال له» فحرت مثلاً لمن اضطر الى ما يكرهه

واختلاف أئمة اللغة والمفسرين في معناها يرجع لاختلاف القبائل في ذلك فنقل بعضهم عن قبيلة معنى يخالف ما نقله غيره عن قبيلة أخرى وبهذا تعلم أن لا وجه لابن هشام في تعقبه ابن اسحاق ويؤيد ما ذهبنا اليه ما رواه أبو هريرة ان النبي عليه السلام قال ان عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف أول من غير دين اسماعيل وبحر البحيرة وسيب السائبة وحى الحامى وما رواه زيد بن أسلم أن رسول الله: قال قد عرفت أول من بحر البحائر رجل من مدليج كانت له ذاقتان فجدع آذانها وحرم ألبانها وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما فشرب ألبانها وركب ظهورهما قال فلقد رأيت في النار يؤذى أهل النار ريح قصبة فقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة أن أول من بحر البحيرة عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة من القحطانية (١) وأخبر في حديث زيد بن أسلم أن أول من بحرها رجل من مدليج وهم بطن من كنانة بن خزيمة بن مدركة من العدنانية . وأوليتها إنما هي بالنسبة لمن اتبعهما فيما ابتدعا فلا ينافى أولية غيرهما فاختلف المعنى لاختلاف الواضعين وقد أبطل الشارع ذلك وحرمه لقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) وقوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميته فمهم فيه - شركاء (٢) سيجزيهم

(١) قال القاضى عياض المروف فى نسب خزاعة انه عمرو بن لحي ابن قعدة بن الياس بن مضر وعليه فهو من العدنانية وان لم يكن من بنى مدليج (٢) الحجر الحرام كانوا لا يطعمون ما حرّموا من الحرث والانعام الا من

وَضَفَرَهُمْ (١) أَنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ »

الاستقسام بالازلام

من عادتهم معرفة ما قدر لهم بالاستقسام بالازلام أى القداح فإذا أراد أحدهم سفرا أو غزوا أو تجارة أو أمرا من معازم الامور ضرب بالقداح وهي ثلاث قطع من الخشب مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها أسرنى ربي وبعضها غفل كذا قال الفراء فان خرج الآسرمضى لطيته وان خرج الناهى أمسك وان خرج الغفل أجالها عودا . وقيل كان يستقسم بقدحين مكتوب على أحدهما افعل وعلى الثانى لا تفعل . فان خرج افعل مضى وان خرج لا تفعل ترك وقيل كان لا يمضى حتى يخرج له لا تفعل ثلاث مرات فان خرج له مرة افعل ومرة لا تفعل ولم يخلص له أحدهما ثم مضى فى ذلك فقد مضى وهو يرجو ويخاف . وذهب ابن ظفر الى أن الازلام سبعة قداح مكتوب على أحدها نعم وعلى الاخر لا وعلى قدح منكم وعلى قدح من غيركم وعلى قدح ملصق وعلى قدح العقل وعلى قدح فضل العقل وكانت بيد سادن الاصنام فيأتيه ذو الحاجة بدرع فيدأل الصنم أن يوضح له ما سأل عنه بضرب القداح . وجعلها ابن هشام سبعة أيضا لكنه اسقط فضل العقل وجعل سابعها للمياه اذا أرادوا أن يحفروا المياه ضربوا به فاخرج عملوا به وذكر انها كانت عند الصنم هبل شاءوا من خدمة الاوثان والرجال دون النساء . وكانوا يحرمون ظهور السوائب والبحائر والحوامى وكانوا يحرمون ذكر اسم الله على بعض الانعام فلا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها كما حرموا ذكر اسمه تعالى على ما ذبح للاصنام وجعلوا ما فى بطونها للذكور دون الاناث . وفى الآية من الفقه الزجر عن التشبه بهم فى تخصيصهم الذكور دون الاناث بالهبات حكى البخارى فى التاريخ ان عمرة روت عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يعبد أجدكم الى المال فيجعله عند ذكور ولده ان هذا الا كما قال الله تعالى « وَقَالُوا مَا فى بَطُونِ هَذِهِ الْانْعَامِ خَالصةً لِّلذَّكَورِ نَا » (١) أى سيجزيهم الله بما كذبوا عليه فى التحليل والتحرير

فكانوا يذهبون اليه اذا ارادوا امرامما يستشار فيه ويعطون الذي يضرب بالقداح مائة درهم وجزور فان شكروا في نسب أحد قربوا من يشكون في نسبه ثم قالوا يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ويأمرون صاحب القداح أن يضرب بالقداح الموسومة بمنكم ومن غيركم وملصق فان خرج منكم أضافوا نسبه الى أنفسهم وان خرج من غيركم كان حليفا وان خرج عليه ملصق كان على منزلته فيهم لان نسب له ولا حلف واذا تنازعوا في العقل وهي دية المقتول أحضروا المتهم بالقتل واستقسم لهم الامين بقدحين أحدهما موسوم بالعقل والآخر غفل فان خرج الموسوم بالعقل تحمل الدية وان خرج الغفل لا وان اشتبهوا فيمن يحمل العقل منهم ضربوا بهذين القدحين أيضا فان خرج على قوم العقل برئ منه الآخرون وان عقلوا ففضل شيء فان اختلفوا فيه ضرب بالقدح الموسوم بفضل العقل فان خرج عليه أداء واذا أرا. وا معرفة ما في فعل أس من خير أو شر أجال لهم أمين القداح قدحى أمرنى ربى ونهاى ربى (١) فان خرج قدح الامر ائتمروا وباشروا المسئول عنه من حرب أو سفر أو زواج أو ختان أو بناء أو نحو ذلك وان خرج قدح النهى أخروا ذلك العمل الى سنة أخرى فاذا انقضت استقسموا مرة أخرى

هذا ما ذكره الثقات ويتاخص من كلامهم ان الاستقسام عام وخاص فالعام ما يزاوله كل واحد بان يعمد الى ثلاث قداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل فيضعها في خريطة ويحيلها ثم يخرج منها واحدا فان خرج الأمر فعل وان خرج النهى ترك وان خرج الغفل أعاد . والخاص وهو ما يراد منه الحكم لا مجرد الاستشارة يكون لدى سادن الصنم كما اذا ارادوا معرفة من عليه العقل أو غير ذلك . وقال ابن اسحاق كان لهبل سبعة قداح يضرب بها على الميت والعذرة والسكاح وكان قربانه مائة بعير . وكان له حاجب . وكانوا اذا جاءوا هبل بالقربان ضربوا بالقداح وقالوا (١) يروى ان الاستقسام حينئذ بقدحين كتب على احدهما نعم وعلى

الآخر لا

انا اختلافنا فهب السراحا ثلاثة ياهبـل فصاحا
الميت والعدرة والنكاحا والمبرئ المريض والصحاها
ان لم تقله فر القداحا

ولم يقصرها الفلقشندي في صبح الاعشى على سبعة لقوله « كانوا اذا ارادوا فعل امر ولا يدرون ما الامر فيه أخذوا قداحا مكتوبا على بعضها افعل . وعلى بعضها لا تفعل وعلى بعضها انعم وعلى بعضها لا وعلى بعضها خذو على بعضها سر وعلى بعضها سريع فاذا اراد احدكم سفرا مثلا اتي سادن الارثان فيضرب له بتلك القداح ويقول اللهم أيها كان خيرا له فاخرجه فما خرج له عمل به واذا شكوا في نسب رجل أجالوا القداح وفي بعضها مكتوب صريح وفي بعضها مكتوب ملحق فان خرج الصريح انبتوا نسبه وان خرج الملحق نفوه وان كان بين اثنين اختلاف في حق سمي كل منهما له سهما وأجالوا القداح فن خرج سهمه فالحق له »
ومن شواهد الاستقسام عند النصب قول طرفة بن العبد

للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه
أخذ الازلام مقتسما فأتى اغواها زلمه (١)
عند انصاب لها زفر في صعيد حمة ادمه (٢)

واخبار استقسامهم كثيرة فمنها ما حكاه الاصبهاني وغيره انهم كانوا يستقسمون عند ذى الخلصة وان امراً القيس لما قتل بنو أسد اياه حجراً اخذ ازالامه وأتى الصنم ذا الخلصة فاستقسم نخرج له القدح الذي يكره فكسر الازلام وضرب بها وجه الصنم وقال لو كان ابوك قتل ماعقتني ثم انشد
لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا مشلى وكان شيخك المقبوراً

(١) يروى : فأفاض القدح مقتسما و (اغواها) من الغواية وثنى الضمير في اغواها وهو للازلام لان الشعر لحكم قافيته يحتمل ما لا يحتمله النثر و (الزلم) واحد الازلام

(٢) الانصاب الحجارة التي كانوا يذبحون عليها و (الصعيد) التراب و (حمة) كثيرة و (ادمه) جلوده يعنى جلود ما حمل الرجل الى الانصاب

لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم خرج فظفر ببني أسد . قال ابو المذرف فلم يستقسم أحد عند ذى الخلصة بعد ذلك حتى جاء الاسلام فكان امرؤ القيس أول من أحفره
ومن ذلك ما حكاه ابن اسحاق «أن عبد المطلب بن هاشم شرع في حفر
بئر زمزم فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان
دفنت جرحهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافا قاعية (١) وأدراعا
فقلت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن
هدوا الي أمر نصف ببني وبينكم نضرب عليها بالقداح . قالوا وكيف تصنع
قال أجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج له قدحاه
على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين
أسودين له وقدحين أصفرين للكعبة وقدحين أبيضين لقريش وضرب صاحب
القداح بها عندهبل أعظم أصنامهم وهو الذي عناه أبو سفيان بن حرب يوم
أحد حين قال اعل هبل أى أظهر دينك نخرج الاصفران على الغزالين وخرج
الاسودان على الاسياف والادراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب
عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان
أول ذهب حلته الكعبة فيما يزعمون

ومنها ان قريشا استقسمت في غزوة بدر الكبرى عند هبل للخروج
لحرب رسول الله فاستقسم أمية بن خلف وعتبة وشيبة نخرج القدح الناهي
فاجمعوا المقام حتى أزعجهم أبو جهل وخرج زمعة بن الاسود حتى اذا كان
بذى طوى أخرج قداحه واستقسم بها نخرج الناهي عن الخروج فلقى غيظا
ثم أعادها الثانية فلقى مثل ذلك فكسرها وقال ما رأيت كاليوم قدحا كاذب
ومن الشواهد على استقسام الرؤساء بالازلام قول شمعة بن أخضر الضبي
جلينا الخليل من أطراف فلج ترى فيها من الغزو أقورارا (٢)

(١) نسبة الى القلعة بلد ببلاد الهند واليه ينسب السيوف (٢) فلج اسم

بلد و (الاقورارا) الضمور والتغير

بكل طمرة وبكل طرف يزبن سواد مقلته العذارا (١)
حوالى عاصب بالرأس منا جبين أغر يستلب الدرارا (٢)
رئيس ما ينازعه رئيس سوى ضرب القداح اذا استنارا
على أن منهم الحازم الذى لا يستشير قداحه بل اذا هم بالامر مضى فيه
كجدع بن سنان حيث يقول

أتانى قائر وبنو أبيه وقد جن الدجى والليل لاحا
وحذرنى أمورا سوف تأتى أهر لها الصوارم والرماحا
سأمضى لاذى قالوا بعزم ولا أبغى لذلك قداحا

وقد حدث الاستقسام بالازلام فيهم بعد أن كانوا يعتمدون فى المعرفة
على الرؤيا المنامية . وقد رأى رسول الله صورة ابراهيم واسماعيل وفى
أيديهما الازلام فقال لقد علموا أنهما لم يستقسما قط وقد حرمه الله تعالى
وجعله رجسا أى مأثما وفسقا فى قوله (انما الحجر والميسر والانصاب والازلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وقال (وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق)
واعما حرمه لانه تهجم على علم الغيب الذى استأثر به اعلام الغيوب وقل (لا يعلم
من فى السموات والارض الغيب الا الله) فان الغيب لا يمكن ادراكه بصناعة
من الصناعات واقتراء على الله فى قوله أمرنى ربي ونهانى ربي وما يدريه أنه
أمره ونهاه . ومن الفسق أيضا الرجوع الى الكهنة والمنجمين لان مفسدته
كهذه المفسدة

﴿ الاقسام ﴾

اذا أراد أحدهم فعل أمر أو تركه وخشى أن تهن عزمته قواها بالحلف
لان الحنث يوجب المؤاخذة . فكانوا يحلفون بعبوداتهم وبشعائر دينهم

(١) الطمرة الفرس الكريم و (الطرف) الكريم الطرفين من

الامهات والآباء (٢) (الدر) النفس وجمعه الدرار يعنى أنه شجاع يفتهب
النفوس

وبما عظم فيه ولما كان قصد تعظيم المحلوف به غاية التعظيم هو داعية البر في
اليمين وهذا نوع من أنواع العبادة وهي لا تليق لغير الله تعالى قال عليه الصلاة
والسلام من كان حالفا فأيحلف بالله أو ليصمت فحرم الحلف بالنبي وبأحد من
ذريته وبالكعبة والصالحين والكن المسلمين خصوصا في هذه الايام لبسوا
الدين مقلوبا وفعلموا ما نهوا عنه (وكان العرب) مع اختلاف عقائدهم ونحلهم
يحلون بالله تعالى وبصفاته لانهم ما عبدوا الاصنام الا لتقريبهم اليه بل كان
الحلف به أعظم ايمانهم قال المابغة الذبياني

حلقت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
وقال أوس بن حجر

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله ان الله منهم أكبر
ومن الحلف بصفاته تعالى قول عنتره العبسي

قسما بالذي أمات وأحيا وتولى الارواح والاجساما

وقول مهلهل التغلبي

قتلوا كليباً ثم قالوا لا تثب كلا ورب البيت ذى الاحرام

وقولهم لا ورب هذه البنية . (١) لاوقائت (٢) نفسى القصير . وقولهم
لا والذى لا أتقيه الا بمقتله (٣) لاوالذى أخرج العذق (٤) من الجريمة (٥)
والنار من الوثيمة (٦) لاومقطع القطر . لاوقائق الاصباح . لاومهب الرياح .
لا ومنشر الارواح . لا والذى مسحت أيمن كعبته . لا والذى جلد الأبل
جلودها . لا والذى شق الجبال للسيل والرجال للخيل . لا وبارئ الخلق .
لا والذى يرانى من حيث ما نظر لا والذى نادى الحجيج له لا والذى رقصن
بيطحاته . لا والذى أمد اليه بيد قصيرة . لا والذى كل الشعوب تدينه .

(١) كغنية الكعبة (٢) القائت من القوت يعطيه قليلا قليلا .

(٣) أى كل شئ منى مقتل من حيث شاء قتلى (٤) الذخلة (٥) الزواه

(٦) هى الموثومة أى المربوطة يريد به قدح حوافر الخيل النار من

لا والذى وجهى زمم بيته (١) لا والذى شقهن (٢) خمساً من واحدة لا والذى
أخرج قائبة من قوب (٣) وقد أكثروا من الحلف بشعائر الحج ومشاهده لانهم
كانوا على اختلاف نحلهم يرون الحج من دين ابراهيم واسماعيل وحلف زهير
ابن أبى سلمى بالكعبة فقال

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرحم
وحلفوا بزمام والحطيم قال ابن دريد وسمى بالحطيم لان أهل الجاهلية
كانوا يحلفون به فيحطم الكاذب وحلف زهير بن أبى سلمى بالمنازل من منى فقال
فاقسمت جهداً بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادير والقمل
حتى حلفوا بالابل التى تؤم مزدلفة فقالوا لا والراقصات بيطن جمع
وبالتى تؤم منى قال أعشى قيس

حلفت له بالراقصات الى منى اذا محرم خلفته بعد محرم
وحلفوا بشهر رجب لتعظيمهم له لانه الشهر الذى كانوا يعتمرون فيه ويذبحون
فيه العتيرة وهى الرجبية وحلف الوثنيون بالاصنام وبما ألبسته من الثياب
وبالانصاب وهى حجارة كانت فى الجاهلية يهل عليها ويذبح وبما هريق لها
أو عابها من الدماء قال مهلهل بن ربيعة

قتلوا كليباً ثم قالوا ارتعوا كذبوا لقد منعوا الجيادرتوعاً
كلاً وانصاب لنا عادية معبودة قد قطعت تقطيعاً

وقال طرفة بن العبد يخاطب الملك عمرو بن هند
انى وجدك ما هجوتك وال انصاب يسفح بينهن دم
وقال النابغة الذبياني

فلا لعمرو الذى مسحت كعبته وما هريق على الانصاب من جسد (٤)
ما قلت من منى بم..... أتيت به اذاً فلا رفعت سوطى الى يدي

(١) أى تجاهه وحذاءه - (٢) يعنون الاصابع (٣) يعنون فرخان بيضة

(٤) رواية فلا ورب الذى قد ذرته حججاً و (الجسد) والجساد الزعفران

والمراد به هنا الدم

وقال رشيد بن رميظ العنزي
حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السمير
وقال المتلمس من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند الملقب بالخرق
أطردتني حذر الهجاء ولا واللات والانصاب لا تثل (١)
وحلف مهلهل بن ربيعة بالحرام والحل فقال
كذبوا والحرام والحل حتى يسذب الخدر بيضه المحجولا (٢)
وحلف عدى بن زيد وكان نصرانيا بالله والصليب فقال يخاطب النعمان
لما حبسه

سمى الاعداء لا يألون شرا عليك ورب مكة والصليب
ارادوا كي تمهل عن عدى ليسجن او يدهده في القليب
وحلفت النصارى بالابيل وهو الناسك والراهب قال في لسان العرب (وكانوا
يعظمون الابيل فيحلفون به كما يحلفون بالله) حتى حلف الاعشى بسوح
الرهبان فقال :

حلفت بثوبى راهب الدير والتي بناها قصى والمضاض بن جرهم
وحلفوا بانفسهم فقالوا لعمري اى وبقائى ولعمرك قال طرفة بن العبد
لعمرك ما امرى على بغمة نهارى ولا ليلي على بسرمد (٣)
وحلفت العرب بالآباء قال عروة بن الورد
فلا وايبك لو كاليوم امرى ومن لك بالتدبير فى الامور
وكانت قريش تحلف بآبائها فنهاهم النبي عليه السلام عن ذلك بقوله لا تحلفوا
بابائكم (وكانوا) يحلفون بالملح والرماد كقول الاعشى فى حرب ذى قار فيما
رواه الاصبهاني فى الاغانى
حلفت بالملح والرماد وبالعمزى وباللات تسلم الحلقة

(١) أطردتني اى صيرتني طريدا . وىروى والله والانصاب . و(لا تثل)
لا تنجو (٢) الحل بالكسر ما جاوز الحرم (٣) الغمة الكرب و(السرمد)
الدائم اى اذا هممت بأمر أمضيته وأمضى همى بالليل ولا ابالى طوله

حتى يظل الهمام منجدلا ويقرع النبل طرة الدرقة
وقد اختلفوا في المراد باسحج المقسم به من قول أعشى قيس
رضيعي لبان ثدى ام تحالفا باسحج داج عوض لانتفرق
على سبعة أقوال ذكرها ابن السيد البطليموسى فى الاقتضاب أولها هو
الرماد وكانوا يخلفون به قال الشاعر

حلفت بالملح والرماد وبالندى وباللؤلؤ
حتى يظل الجواد منعفرا وتخضب النبل غرة الدرقة

(ثانيها) هو الليل (ثالثها) هو الرحم (رابعها) هو الدم لانهم كانوا
يغمسون ايديهم فيه اذا تحالفا حكي هذه الاقوال الاربعة يعقوب وحكى
غيره وهو (الخامس) انه حلقة الثدى وقيل وهو (السادس) زق الخمر وقيل
وهو (السابع) دماء الذبائح التى كانت تذبح للاصنام وجعله اسحج لان الدم
اذا يبس اسود قال ابن السيد وابعده هذه الاقوال من قال انه الرماد لان الرماد
لا يوصف بانه اسحج ولا داج وانما يوصف بأنه أورق وممن ذكر حلقهم بالنار
ابن قتيبة فى ابيات الممانى عند الكلام على نار التحالف حيث قال كانوا يخلفون
بالنار وكانت لهم نار يقال أنها كانت بأشواف اليمن لها سدنة فاذا تفاقم الامر
بين القوم خلف بها انقطع النزاع بينهم وكان اسمها هولة والمهولة وكان سادتها
اذا أتى برجل هيمه من الحلف بها ولها قيم يطرح فيها الملح والكبريت فاذا
وقع فيها استشاطت فيقول هذه النار قد تهددتك فاحلف فان كان مريبا نكل
وان كان بريئا حلف قال أوس بن حجر يصف عيرا على مرتفع من الارض
اذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف (١)
وقال الكميث

مخوفونا بالعمى هوة الردى كما شب نار الحالفين المهول

وقال ابو عبيدة كان فى الجاهلية لكل قوم نار وعابها سدنة وكان اذا
وقع بين الرجلين خصومة جاء من ثبت عليه اليمين الى النار فيحلف عندها

(١) كحدث الحلف

وكان السدنة يطرحون بها ملحاً من حيث لا يشعر يهولون بها عليه قال الكميث
وذكر أمراً

فقد صرت عما لها بالمشيب زوالاً لديها هو الأزل

كهولة ما أوقد المحلفون لدى الخالفين وما هولوا (١)

وفي القاموس « التهويل شيء كان يفعل في الجاهلية إذا أرادوا أن
يستحلفوا انساناً أوقدوا ناراً ليحلف عليها وكان السدنة يطرحون فيها ملحاً
من حيث لا يشعر يهولون بها عليه والجمع التهويل . والتحليف عند النار
أو بها أثر من آثار المجوسية سرى لهم من مجاورتهم لفارس

وحلفت الكهان بما جل قدره وعظم خطره كالسما والارض والليل
والنهار والشمس والقمر وامتازوا عن غيرهم بكثرة الايمان في صدر كلامهم
وأخبارهم بالمغيبات كقول سلمى الهمدانية الحميرية

والخفو والوميض (٢) والشفق والاعريض (٣) والقلعة والحضيض ان
خزيماً لمنيع الجيز (٤) وقول زبراء أمية حويلة والليل الغاسق واللوح (٥)
الخافق والنجم الطارق والمزن الوادق ان شجر الوادي ليأدوا (٦) ختلاً
وقول الكاهن الخزاعي لما تنافر اليه أمية بن عبدشمس وهاشم بن عبد مناف
والقمر الباهر. والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجومن طائر وما اهتدى
بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر ولامية أو اخر.
ولقد اقسم الله في القرآن بكثير من الازمنة والامكنة والاشياء وحاشاه ان
يحتاج في تأكيد اخباره الى القسم بشيء هو صنع قدرته بل اقسم لاغراض
منها تقرير وجود المقسم به في عقل من انكره وتعظيم شأنه عند من احتقره
أولئيبه الغافل الي موضع العبارة فيه او غير ذلك من الاغراض الشريفة

(١) هاله هولاً افزعه كهوله فاهتال

(٢) الخفو اللعمان الضعيف (والوميض) اشد من الخفو (٣) الاعريض

حجارة النورة (٤) الجيز الناحية (٥) اللوح بضم اللام الهواء بين السماء
والارض واللوح بفتح اللام العطش (٦) ادوت له ادوا ختلته

أما الحلف بالطلاق فما كانت العرب تعرفه ولا نستحلف به وفي محاضرات
الادباء : واول من استحلف به ابن مسleme وكان واليا على كرمان استحلف
جنده بالطلاق فقال بعضهم

رايت هذيلآ احدثت في طلاقها طلاق نساء لم يسوقوا لها مهرا
وقيل ان اول من استحلف بالطلاق العباس بن عبد المطلب استحلف
الانصار ليلة العقبة حين اخذ عليهم البيعة لرسول الله « وبيعد صدور ذلك عن
العباس خاصة وعن العرب عامة لانهم لم يكونوا يذكرون الطلاق الا عند ارادة
حل عقدة الزواج وانى لم اعثر على ذكر ذلك في سيرة من السير ولو صح لنقل
واستفاض . وكانت بيعة رسول الله ان يقول لمن بايعه بايعتك او ابايحك على
السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره فاحدث الحجاج كما قال
ابن قيم الجوزية بيعة غير هذه تتضمن اليمين بالله تعالى والطلاق والعناق
وصدقة المال والحج و (كانوا) يغفلون الايمان بالحلف عند الامكنة المحترمة
كالا نصاب وشاهده قول طرفة بن العبد

فأقسمت عند النصب انى لهالك بمعلقة ليست بغيبط ولا خفض (١)

او مكة كقول زهير بن ابى سلمى

فتجمع أيمن منا ومنكم بمقسمة تمور بها الدماء (٢)

او الحطيم وفي القاموس « والحطيم حجر الكعبة او جداره او ما بين الركن
وزمزم والمقام وزاد بعضهم الحجر او من المقام الى الباب او ما بين الركن
الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء وكانت الجاهلية
تتحالف هناك »

وكانوا يحرصون على البر في اليمين وعدم الخنث فيها حتى لقد زعم علماء
كندة كما حكاه الاصبهاني في الاغانى ان جد امرئ القيس وهو الحارث بن
عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة خرج الى الصيد

(١) المتلفة المفازة و (بغيبط) أى تفتبط (٢) المقسمة موضع القسم

وأراد بها مكة حيث تنجر المدن فتسار دماؤها

فألظبتيس (١) من الأطباء فأعجزه فألى الية ألياً كل اولاً الا من كبده فطلبته الخيل ثلاثاً فأنى بعد ثلثه وقد هلك جوعاً فشوى له بطنه فتناول فلذة من كبده فأكلها حارة فمات وفي ذلك يقول الوليد بن عدي الكندي في بني بجيلة فشوا فكان شواءهم خبطاله ان المنية لا تجل جايلاً

و (كانوا) لا يتركون المحلوف عليه الا اذا وجدوا مخرجاً من اليمين. وشاهده ما ذكره ابن رشيقي في العمدة من ان المنذر بن ماء السماء حلف في يوم اواراة الاول ليقتلن بكراً على راس اواراة حتى يلحق الدم بالحضيض فشفع لهم رضيع المنذر مالك بن كعب العجلي وقال للمنذر انا اخرجك من عيئك فصب الماء على الدم فلحق الارض وبر يمين المنذر فكف عن القتل وما روى ان الحارث ابن عباد آلى الا يصالح تغلب حتى تكلمه الارض فلما كثرت وقائعه في تغلب ورات تغلب انها لا تقوى عليه حفروا سرباً تحت الارض وادخلوا فيه رجلاً وقالوا اذا مر بك الحارث فغن بهذا البيت

أبا منذر أفنيت فاستبق . بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض فلما أتى الحارث على ذلك الرجل غنى بذلك البيت فقيل للحارث برّ قسمك فأبق بقية قومك ففعل واصطلحت بكر وتغلب (وكانوا) يخافون عقوبة الله في الحنث ولا تعلم من تجراً على الله بالحلف حانثاً قبل امرئ القيس في قوله

فقلت يمين الله أبرح قاعداً وان قطعوا رأسي لديك وأوصالي (٢)
حلفت لها بالله حلفة فاحر لنا موارثنا ان من حديث ولا صالى

ولقد نحا نحوه الشماخ بن ضرار الغطفاني في الاسلام فقال

وجاءت سليم قضاها بقضيضها تمسح حولي بالبقيع سبالها (٣)

يقولون لي يا جلف ولست بحالف أخادعهم عنها لكيا أناها (٤)

(١) الظ به لازمه ولم يفارقه (٢) تعارفوا يمين الله حلفاً به تعالى (٣) قضاها

بقضيضها بالنصب اي منقضاً آخرهم على اولهم و (البقيع) موضع بالمدينة و (السبال) جمع سبلة وهي مقدم اللحية

(٤) عنها أي عن الحلقة المفهومة من احلف اي يقولون احلف فأقول

ففرجت هم النفس عنى بحلقة كما قدت الشقراء عنها جلالها (١)
يقول كسفت هم النفس عنى باليمين الكاذبة وخرجت من الهم كما خرجت الفرس
الشقراء من جلالها . ومثله قول بعضهم

سألوني اليمين فارتعت منها ليغروا بذلك الانخداع
ثم ارسلتها كمنحدر السيل تعالى من المكان اليفاع

ومثله قول ابن الرومي

واني لدو حاف كاذب اذا ما اضطررت وفي الحال ضيق
وهل من جناح على مسلم يدافع بالله ما لا يطيق

✽ التحالف ✽

التحالف التعاقد . ولقد دعانا لذكره ما يكون عنده من الاقسام بما هو
محترم ديناً فقد كانت قبائلهم لكثرة شتمهم الغارات وطلبهم الثارات ووقوع
العداوة والبغضاء فيما بين بعضهم وبعض تحتاج القبيلة لحفظ كيانها ان تتحالف
مع قبيلة او اكثر حسبما تقتضيه حاجتها الى البقاء او رغبتها في الانتصار
على الاعداء وقد يكون التحالف لكف القتال والصلح بعد الضال .
وكانوا يغمسون ايديهم في دم أو خلوق أو رب او غير ذلك عند الحلف كناية
عن صبغتهم بصبغة واحدة فمن التحالف بغمس اليد في الدم ما كان من تحالف
قبائل عبد الدار ومخروم وعدى وسهم وجمح فانهم عند ما تحالفوا على الا
يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً اخرجوا جفنة مملوءة دم جزور نحروها وقالوا
من ادخل يده في دمها فلعق منه فهو منا ففعلوا ذلك فسموا لعقة الدم لذلك .
ومن ذلك ايضاً ما كان من امر الدم الذي قريوه عندما ارادوا الحلف مع
الهجرس بن كليب وذكر خبر ذلك الاصفهاني في الاغانى قال

لا احلف حتى يقبلوها مي فاحلف فتقطع الخصومة (١) قدت شقت والجل
بالضم وبالفتح ما تلبسه الدابة لتصان به

« ان جساسا لما قتل كليبا وكانت اخت جساس تحت كليب فرجعت الى اهلها ووقعت الحرب بين الفريقين زمنا طويلا ثم صاروا الى المهادنة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت اخت جساس غلاما سمته الهجرس ربا جساس فكان لا يعرف ابا غيره فزوجه ابنته فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام فقال البكري ما انت بمنته حتى بلحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل الى امه كئيبا فسألته عما به فأخبرها الخبر فلما آوى الى فراشه ونام الى جنب امراته وضع اتفه بين تدييها فتتنفس تنفسه تنفط ما بين تدييها من حرارتها فقامت الجارية فزعة قد اقلتها رعدة حتى دخلت على ابيها فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس نائر ورب الكعبة وبات جساس على مثل الرضف حتى اصبح فارسل الى الهجرس فأتاه فقال له انما انت ولدى ومنى بالمكان الذى قد علمت وقد زوجتك ابنتى وانت معى وقد كانت الحرب فى ابيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطاحنا وتحاجزنا وقد رايت ان تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق حتى نأخذ عليك مثلما اخذ علينا وعلى قومنا فقال الهجرس انا فاعل ولكن مثلى لا يأتى قومه الا بلائمه وفرسه حملة جساس على فرس واعطاه لأمة ودرعا . نخرجا حتى اتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا فيه من العافية . ثم قال وهذا الفتى ابن اختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم . فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد اخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال . اما وفرسى واذنيه ورمحى ونصليه . وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل ابيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ثم لحق بقومه . ومن ذلك ما كان من بكر بن وائل وذلك ان جساس بن صرة لما قتل كليبا اخذه ابوه فأوثقه رباطا وجعله فى بيت ثم دعا بطون بكر بن وائل واستشارهم فى امره . فقال سعد بن مالك بن صبيبة البكرى لا والله ما نمطى تغلب جساسا ولنقاتلن دونه حتى تقضى جميعا فدعا بخزور فنحرت ثم تحالفوا على الدم . ومن ذلك ما قيل ان حثعم وهم بطن من انمار سموا بذلك من التخمع وهو التلطلخ بالدم وذلك أنهم نحرروا بعيرا

وغمسوا ايديهم في دمه واحتلفوا عليه

ومن التحالف بغمس اليد في الخلق ما كان من امر بني عبد مناف وبنى اسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحارث بن فهر فانهم تحالفوا على النصره وغمسوا ايديهم في جفنة مملوءة طيبا ثم مسحوا الكعبه بأيديهم توكيدا على انفسهم فسموا بالمطيبين لذلك . ومن ذلك ما روى ان منشم التي صرب المثل بعطرها فقبل اشأم من عطر منشم ودقوا بيدهم عطر منشم كانت امرأة عطارة تبيع الطيب فكانوا اذا قصدوا الحرب غمسوا ايديهم في طيبها وتحالفوا عليه بأن يستميتوا في تلك الحرب ولا يولوا أو يقتلوا

ومن التحالف بغمس اليد في الرب ما كان من أمر بني عبد مناة بن اد بن طابخة وهم تيم وعدى وعكل وثور فانهم غمسوا أيديهم في الرب في حلف على بنى صبة فلقبوا بالرباب كذا في العقد الفريد وفي القاموس والرباب احياء نسبة لانهم ادخلوا أيديهم في رب وتماقدوا - والرب بالضم سلافة خنثارة كل ثمره بعد اعتصارها وثقل السمن و (كانوا) يوقدون نارا عند التحالف وذكرها الجاحظ في البيان والتبيين فقال : وكانوا يتحالفون على النار ويتماقدون ويأخذون العهد المؤكد واليمين الغموس مثل قولهم ماسرى نجم وهبت ريح وبل بحر صوفة وخالفت جرة درة . ولذلك قال الحارث بن حازة اليشكري . واذكروا حلف ذى المجاز وما دم فيه اليهود والكفلاء

حذر الخون والتعدى وهل تنقض ما في المهارق الالهواء (١)
وقال في كتاب الحيوان « كانوا لا يعقدون حلفهم الا عند نار فيذكرون عند ذلك منافمها ويدعون الله بالحرمان والمنع من منافمها على الذي ينقض عهد الحلف ويخيس بالعهد ويقولون في الحلف الدم الدم (٢) والهدم الهدم

(١) الخون الخيانة ويروى الجور و (المهرق) الصحيفة جمعه مهارق
(٢) قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دمي دمك وهدمي هدمك أى ما هدمت من الدماء هدمته انا ويقال أيضا بل الدم الدم والهدم الهدم وأنشد (ثم الحتى بهدى ولدنى) فالدم

(بحر كون الدال في هذا الموضع) (١) لا يزيد طول الشمس الا شدا وطول الليالي
الا مدا ما بل البحر صوفة وما أقام رضوى في مكانه ان كان جبلهم رضوى
وكل قوم يذكرون جبلهم وربما دنوا منها حتى تكاد تحرقهم ويهلون على من
تخاف عليه الغدر بحقوقها ومنافعها والنخويف من حرمان منفعتها . ولقد
يخالفت قبائل من مرة بن عوف عند نار فدنوا منها حتى محشتهم فسموا المحاش
وربما تحالفوا وتعاقدوا على الملح قال الشاعر

خلقت لهم بالملح والقوم شهد وبالنار واللات التي هي أعظم
والملح شيئان أحدهما المرقة والآخر اللبن وأنشدوا لشتيم بن خويلد

الغزاري

لا يبعد الله رب العباد والملح ما ولدت خالده

وأنشدوا في قول أبي الطمجان

واني لا رجو ملحتها في بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبرا

وذلك أنه كان جاورهم فكان يسقيهم اللبن كأنه يقول كنتم مهازيل
والمهزول يتكشف جلده وينقبض فبسط ذلك من جلودكم « قال ابن السيد
البطليوسي ولأنهم كانوا يتجالفون على النار ذكر اعشى بكر البار عند مخالفة
في قصيدته التي امتدح بها المخلق حيث قال

لعمري قد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار المدى والمخلق

رضيحي لبان ندى أم تحالفا باسحج داج عوض لا تتفرق

جمع لادم وهم أهله الذين يلتدون عليه اذا مات وهو من لدمت صدره اذا ضربته
(١) قال ابن هشام الهدم بفتح الدال الحرمة وانما كنى عن حرمة الرجل
وأهله بالهدم لانهم كانوا أهل نجمة وارتحال ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم
فكلما ظعنوا هدموها والهدم بمعنى المهدم كالتقبض بمعنى المقبوض ثم جعلوا
الهدم وهو البيت المهدم عبارة عما حوى فهو كقولهم هدمي هدمك أي رحلتني
مع رحلتك أي لا أظن وأدعك وأنشد يعقوب (كانها هدم في الجفر منقاض)

وعلى العسكري تحالفهم على النار بأن منفعتها تختص بالإنسان لا يشاركه فيها غيره من الحيوان. وأرى ان خلفهم بالنار وتعاقدهم عليها أثر من آثار الديانة المجوسية سرى اليهم من مجاورتهم لفارس ثم رأيت ابن عبد ربه قال في العقد الفريد في بيت الاعشى المتقدم « قوله تقاسما باسحهم داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شئ تفعله الفرس لا يتفرقوا أبد الدهر » فاذا كان تحالفهم على الرماد الذي هو أثر النار المقدسة جاءهم من مجاورتهم الفرس فلان يكون تحالفهم على المارجاء هم من مجاورتهم الفرس من باب أولى

﴿ الدعاء ﴾

العربي ككل انسان ذى دين اذا نزل به مكروه لجأ الى معبوده في كشف الضر عنه وادا أصابه قوى بمصيبة تضرع لبارئه أن ينتقم له ممن ظلمه وكانوا يعتقدون أن من دعى عليه فاضطجع لم تستجب فيه دعوة الداعي وشاهد ذلك ما حصل عند دعوة خبيب بن عدى وذلك انه قدم رهط من عضل والقارة وهما قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة على رسول الله فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلما فابعث الينا من يفقهوننا في الدين فبعث اليهم ستة نفر منهم خبيب بن عدى فذروا بهم وباعوا خبيبا من قريش بأسير من هذيل كان بمكة فابتاع خبيبا حجير بن أبي اهاب التميمي لعقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه فأقام في أيديهم حتى انقضت الاشهر الحرم ثم خرجوا به الى التنعيم ليصاموه ورفعوه على خشبة وقتلوه طعنا بجريرة قال ابن اسحاق « فلما أوثقوا خبيبا قال : اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ثم قتلوه رحمه الله فكان معاوية بن أبي سفيان يقول حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيت يلقىنى الى الارض فرقا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه »

﴿ الصابئون ﴾

ينسب الصابئون دينهم الى سيدنا نوح والى ابراهيم الخليل بالتلقى عن نوح

وعن أدريس ومنهم عبدة الاصنام والكواكب والفئة الباقية منهم على معتقدها الاطى بعد أن مزجته بالعقايات يتوجهون في عبادتهم للقرب الشمالي ويصلون ثمانى ركعات عند ظهور شفق الشمس الشروقي وخمسا وقت الزوال ومثلها وقت غروب الشمس يسجدون في كل ركعة منها ثلاث سجودات بلا انحناء ويتلون في قيامهم وسجودهم كلمات تشتمل على مناجاة ودعوات واستغفار ويصومون في كل سنة ثلاثين يوما عدد ما تقطعه الشمس في كل برج من بروجها يسكون فيها عن الطعام والشراب من شفق شروق الشمس الى شفق غروبها ويفطرون على غير اللحوم من الالبان والنباتات الا ما حرم منها عندهم يصومون من الثلاثين يوما أربعة عشر يوما متتالية في فصل الشتاء موافقة لاعداد الكواكب السبعة وأفلا كها وسبعة أيام في الربيع موافقة لاعداد الكواكب وحدها وتسعة ايام في أواخر الصيف موافقة للافلاك السبعة مع فلكى الثوابت والمحيط ويقدمون الضحايا في هياكلهم ومعايدهم للسنة والفقراء ويعظمون الكواكب لاعتقادهم أنها أعظم أثر الهى فعال في الاجرام السفلية ويمنعون تورث الفاسق من العدل ويعتقدون بعث الارواح لا الاجسام وطهارة النفس العاصية بعد تعذيبها ثلاثة آلاف سنة وان الرسل لم يبعثهم الله بل هم ملهعون من المجرذات وان الخير من الله والشر من النفوس وان الله لا تدركه الابصار لا في هذه الدار ولا في الدار الآخرة وحرهوا تعذيب الحيوان وقتله الا ما أحل كل لحمه وكلاهما ثم لا يكفر الا بالضحايا المبينة في كتبهم . ذلك هو الاصل ثم تعددت المذاهب واختلفت فبعضها يحرم من النبات والحيوان ما أحله الآخر وبعضها يحل زواج امرأة الاب التي لم تعقب منه والبعض يحرمها مطلقا وبعضها يوجب غسل جراحات القتل عند دفنه والآخر يحرمه الى غير ذلك من الفروع ثم اشتغلوا بالاهيات الحكماء وكتب الفلاسفة على أنها كتب تعليم وارشاد ككتب الرسل والصابئون يعتقدون في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك أحدهم ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا

بنوء كذا وهم ينقسمون الى مؤمن وكافر ولذلك ذكرهم الله تعالى في الامم الاربع الذين تنقسم كل أمة منهم الى ناج وهالك في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فذكرهم في آية الوعد بالجنة لذلك ولما ذكر المجوس والمشركين وليس منهم سعيد حكم عليهم بالفصل بينهم في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) وحران دار الصابئة وهم فرق فصابئة حنفاء وصابئة مشركون وصابئة فلاسفة وصابئة يأخذون محاسن ما عليه اهل الملل والنحل من غير تقييد بجملة ومنهم من يقر بالنبوات جملة ويتوقف في التفصيل ومنهم من يقر بها جملة وتفصيلا ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلا

والمشركون منهم يعبدون الله بالتقرب للكواكب والعلويات بأنواع للعبادة من التضرع والابتهاج بالدعوات والصلوات وذبح القرابين والبخور والعزائم لتستمد نفوسهم منها بغير واسطة الرسل وأقاموا لها الهياكل للعبادة فكان كفرهم لعبادة العلويات والكواكب

عبادتهم الكواكب وآثار عبادتهم لها

نظر فريق من الناس الى الكواكب نظر المتقدمين من علماء النجوم من حيث تأثير الكواكب في هذا العالم فعملوا الموجودات الارضية اثرا للشمس عند قوم وللکواكب بتوزيع التأثير فيها عند آخرين وهذه الطائفة ترى الكواكب مدبرة لهذا العالم وعنهما يصدر ما فيه من خير وشر وسعادة ونحس وغير ذلك بسبب أوضاع الكواكب من التثايت والتسدیس والتربيع ومقارنة كوكبين أو أكثر من الكواكب السبعة السيارة في درجة واحدة من برج واحد ومن الصابئين من عدل عن معتقده الالهي فاعتقد التأثير للكواكب وهؤلاء ثلاث فرق (الفرقة الاولى) ذهبت الى أن الكواكب واجبة

الوجود لذاتها غير محتاجة الى مخصص و (الفرقة الثانية) ترى أن الكواكب
آلهة و لكل منها عمل قائم به في هذا العالم يصدر عنه لا يقدر عليه غيره و انها
أبدية الوجود أزلية الاولية تجري أحكامها لا لغاية (والفرقة الثالثة) ترى
أن لهذه الكواكب والافلاك الهأ مبدعا أعطاهها قدرة و ارادة ذاتية نافذة
في هذا العالم و فوض اليها تدبيره وهذه الطوائف كان لها عصبية في بلاد
العرب فدانت العرب بهذا الدين و اعتقدته و بنوا الهياكل العظيمة للشمس
و قربوا لها القرابين و حجوا اليها و ذبحوا لها الذبائح و اعتكفوا عندها خاضعين
عابدين و أول من دان بهذا الدين من العرب قبائل سبأ الحميرية فلما تهدمت
سدودهم و تخربت أراضيهم تفرقوا في بلاد العرب و قبائلها فانشر دينهم في القبائل
التي نزلوا بها أو جاوروها و البطون التي سكنوا معها و عاشروها حتى شاع في
بلاد العرب و انتقل منها الى مجاورهم أهل الحبشة و الشام و من قبائل سبأ قوم
بليقيس و قد حكى القرآن حديث الهدهد لسيدنا سليمان عبادتها و قومها في قوله
« و جئتك من سبأ نبياً يقين انى وجدت امرأة تملكهم و اوتيت من كل شىء و لها
عرش عظيم و جدتها و قومها يسجدون للشمس من دون الله و زين لهم الشيطان
أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون » و عبدت ثمود الشمس و كانوا بين
الحجاز و الشام بأرض الحجر فدعاهم صالح لعبادة الله تعالى و هدم هياكل الشمس
فا آمن به الا قاييل . و أخص أنواع عبادتهم للشمس كانت بالسجود لها عند
شروقها و عند غروبها و عند توسطها السماء فلماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
الصلاة في هذه الاوقات قطعاً لمشابهة الكفار ظاهراً و سداً لذريعة الشرك
و بعض كنانة كانت تعبد القمر و الدبران و بنو لخم و جرهم كانوا يسجدون
للمشترى و من العرب من عبد عطار و بنو طي و عبد بعضهم سهيلاً و بعضهم
الثرى و هي عدة كواكب مجتمعة و بعض قبائل ربيعة عبدوا المرزم كمنبر
(و المرزمان نجمان مع الشمريين يسمى أحدهما كف الكلب و هو يتبع الشعري
العبور و ثانيهما هو الكوكب الاخفى من كوكبي الدراع) و طائفة من تميم
عبدوا الدبران و بعض قبائل لخم و خزاعة و قريش عبدوا الشعري العبور

وهي الشعرى اليمانية ذكر بعضهم ان اول من سن لهم ذلك أبو كبشة وجزء ابن غالب جد وهب بن عبد مناف وهو أبو آمنة أم نبينا عليه السلام فلما بعث الرسول وخالف العرب في عبادتهم الاوثان دعوه بابن أبي كبشة (١) لمخالفته لهم كمخالفة أبي كبشة لقومه في عبادة الشعرى

قال ابن قتيبة « وكان قوم في الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بها وكان أبو كبشة الذي كان المشركون ينسبون اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من عبدها وقال قطعت السماء عرضا ولم يقطع السماء عرضا غيرها وعبدها وخالف قريشا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الى عبادة الله وترك عبادة الاوثان قالوا هذا ابن أبي كبشة أى شبهه ومثله » وخص الله الشعرى بالذكر في قوله : وانه هو رب الشعرى « اما لعبادة كثير منهم لها واما للاشعار بأن النبي عليه السلام ان وافق أبا كبشة في مخالفته دين قومه فانه يخالفه في أن دين أبي كبشة باطل ودين محمد الحق لعبادته الله تعالى أما آثار عبادتهم للشمس والالهة قال الشاعر

تروحنا من اللعباء عصرا واعجلنا الالهة أن تؤوبا (٢)

قال الفارسي سموها الالهة على نحو تعظيمهم لها وعبادتهم اياها وعلى ذلك نهاهم الله عز وجل عن عبادتها وأمرهم بالتوجه في العبادة اليه دون ما خلقه وأوجده بعد ان لم يكن فقال « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس وللأقمر واسجدوا لله الذي خلقهن »

(١) في القاموس وكان المشركون يقولون للنبي ابن أبي كبشة شبهوه بأبي كبشة رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان أو هي كنية وهب بن عبد مناف جده صلى الله عليه وسلم من قبل أمه لانه كان نزع اليه في الشبه أو كنية زوج حليلة السعدية أو كنية عم ولدها (٢) تروحنا سرنا وقت الرواح وهو العشى أو من الزوال الى الليل (اللعباء) اسم مكان و (اعجلنا) سبقنا

ومن آثار عبادة الشمس ما يفعله الغلام اذا سقطت سنه وذلك انه كان اذا سقطت له سن أخذها بين السبابة والابهام واستقبل الشمس اذا طلعت وقذف بها وقال : يا شمس أبدليني بهاسنا أحسن منها ولتجر في ظلمها أياتك أويقول اياؤك وهما جميعا شعاع الشمس زعموا انه يأمن على اسنانه العوج اذا صنع ذلك . والى هذا أشار شاعرهم

شادن يجلو اذا ما ابتسمت عن اقاح كأقاح الرمل غر
بدلته الشمس من منبته برداً أبيض مصقول الاشر (١)
وقال طرفة بن العبد البكري يصف ثغر محبوبته
سقطه آية الشمس الا لثاته أسف ولم تكدم عليه بأحمد (٢)
وقال آخر

وأشذب واضح عذب الثنايا كأن رضا به صافي المدام
كسته الشمس لونا من سناها فلاح كأنه برق الغمام

وقال آخر

بذي أشر عذب المذاق تفردت به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا

ووجه كون هذه العادة من آثار عبادة الشمس ان الشمس كانت من معبوداتهم في الجاهلية والعبد يطالب من معبوده سؤاله والاباء يلقنون عقائدهم لابنائهم فالظاهر أن يكون عابد الشمس علم ولده أن يسأل معبوده الشمس أن تبده بسنه التي سقطت سنا أخرى خيرا منها بريئة من الفساد والعوج ويكون الولد قد امتثل أمر والده فسمعه غيره من الابناء الذين لم تكن الشمس معبودة لهم ولا لابائهم فقلدوه . وبهذا البيان لا تكون هذه العادة من الاوابد التي

(١) أشر الاسنان التحزيز الذي يكون فيها خلقة ومستعملا يقال أشرت

المرأة أسنانها حزرتها وهذا كان من صنيعهم (٢) أي ثغرها براق الالثاته فانها حواء و (أسف) ذر عليه و (الاحمد) الكحل و (اللاثات) اللحم الذي تنبت فيه الاسنان و (آية الشمس) ضوءها و (لم تكدم) لم تعض و (بأحمد) متعلق بأسف أي ذر الاحمد على اللثاة والشفاة وكانت تلك عاداتهم التي يستحبونها

لا يفهم معناها ولا يزال الخلف ينقل هذه العادة عن السلف فمن الولدان اليوم من اذا سقطت سنة رمى بها في عين الشمس وقال « يا شمس يا شمسة خذى سنة الحمار وهاتى سنة العروسة »

﴿ المجوسية والزندقة ﴾

المجوس يعتقدون نبوة ابراهيم الخليل وقد بحثوا في كتب الحكماء مقتصرين على مبحثى التكوين والخير والشر فنظروا فى مبحث التكوين الى انفصال الحرارة التكوينية من ممكن المصادر الاول ثم تدرجها الى الحرارة المركزية بالنسبة لبطان الارض ومحيط سطحها وبها صارت الارض ذات رواب وجبال وصحارى وجزائر ونظروا للانسان من حيث تركيبه وأصل نشأته فجعلوه ابن الارض التى هى بنت الحرارة المقابلة عندهم للقدره الالهية فاتخذوا النار من حيث هى أثر الأله وفيها صفته التكوينية دالاعلى معبود ومع تقادم الزمن وكثرة تصرف الرؤساء الدينيين فى هذا الاصل اختلفوا فى الاعتقاد حتى قالت طائفة منهم أن النار معبود قائم بذاته ونظر قداماؤهم فى مبحث الخير والشر لقول الحكماء ان البارى بتوحيد ذاته جهة واعتبارا يستحيل صدور التكرار عنه لانه لو صدر الخير والشر عنه لكان عين التكرار فى امكانه وهو باطل فقالوا بوجود فاعلين أزايين يصدر عن أحدهما الخير وعن الثانى الشر فاعتقدوا بوجود الهين أحدهما نور ومبدأ الخير كله ويسمونه أرمزاد أو يزدان والثانى ظلام ومبدأ الشر كله ويسمونه اهرمان او اهرمن يكون الغالب منهما إله الشر متى كثرت الشرور ومنه يطلب الانسان الشر والبلاء لاعدائه ويغلب إله الخير متى كثرت الخيرات واليه يضرع الانسان فى طلب الخير لنفسه ولأحبائه وهؤلاء هم الثنوية وانتهى الامر بالمتأخرين أن صوروا الههم بصورة على كتفها صورتا الخير والشر ولما نشأ زرادشت بن بيورشت المتوفى سنة ٤٨٧ قبل الميلاد أبطل القول بألهى النور والظلمة وعلمهم أن الاله واحد وانه خلق ملكى النور والظلام وان الشر فى العالم يصدر عن طبيعة المخلوقات وعند انتهاء العالم تبعث

الاموات للجزاء فيسجن ملك الظلام وأتباعه في مكان ظلمة وعذاب أبدي ،
أما ملك النور وأتباعه فيتمعمون خالدون في مكان نور وسعادة وشرع لهم
شرائع مدونة في مجلدات والمجوس تقر بنبوته وأتباعه هم الزرادشتية ولم يكن
للمجوس هياكل قبله وكانوا يسجدون للشمس لانهم يزعمون انها مسكن الاله
والنار لمشايتها للشمس في الحرارة والنور فأمرهم ببناء الهياكل حتى لا يمنعهم
مزاج الفلك عن العبادة في أى وقت وجد لهم بيوت النيران التي أخذها
منوشهر وأخبرهم انه عرج الى السماء ورأى الله في سحابة لامعة وسمع صوته
ثم هبط منها بقبس من النار اشعلت به النار المقدسة التي في هياكلهم ولا يجيزون
للكهنة تفخها بأفواههم ومن يفعل ذلك فجزاؤه القتل ولا يقربها الكهنة الا
وعلى وجوههم براقع لئلا يفسدوها بانفاسهم ولا يطفئونها ليلا ولا نهارا
ووقودها حطب نظيف مقشور وان انطفأت لا تجدد الا من نار هيكل آخر .
وهو الذي شرع لهم عيد النيروز أى اليوم الجديد في الاعتدال الربيعي وعيد
المهرجان أى الخريف في الاعتدال الخريفي ولما ظهر مزدك الخارجى في أيام قباز
ابن فيروز بن يزدجرد زعم انه يدعو الى شريعة ابراهيم واستحل المحارم
والمسكرات وسوى بين الناس في الاموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء
حتى لا يكون لاحد على أحد فضل في شئ وكان يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى
ذاك وكذا في العبيد والاماء والاموال فكثر أتباعه وعظم شأنه ، وكان مما
شرعه تحريم ذبح الحيوان واكتفاء الانسان في طعامه بما تنبت الارض وما
يتولد من الحيوان كالبيض والابن والسمن والجبن وأتباعه هم المزدكية .

وقد دخلت المجوسية بلاد العرب قال ابن قتيبة « وكانت المجوسية في تميم
منهم زرارة بن عدس التميمي وابنه حاجب بن زرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم
(١) ومنهم الاقرع بن حابس (٢) كان مجوسيا وأبو سود جد وكيع بن
حسان كان مجوسيا . »

(١) ندم لان زواج البنت كان من الفواحش عند قريش في الجاهلية

(٢) أدرك الاسلام فأسلم وله صحبة

وفي تاريخ ابن الاثير قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين فكان زرارة بن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن خابش وغيرهم مجوسا وان لقيط تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسي وقتل وهي زوج له فقال في ذلك

ياليت شعري عنك دختنوس اذا أتاها الخبر المرموس

أتخلق القرون أو تميم لا بل تميم انها عروس

وقال أبو زيد احمد بن سهل البلخي في كتابه البدء والتاريخ ا كانت المزدكية والمجوسية في تميم) ومن آثار هذه الديانة فيهم نار الاستسقاء ونار الحلف وحلقتهم بالرماد والبار

وأما الزندقة فكانت عند العرب أيضا : قال ابن قتيبة في كتاب المعارف عند الكلام على أديان العرب في الجاهلية وكانت الزندقة في قريش أخذوها عن الحيرة . وقال البلخي في كتاب البدء والتاريخ كانت الزندقة والتعطيل في قريش وقال ابن الاثير في تاريخه وفي أيام قباذ بن فيروز بن يزدجرد ملك الفرس خرج مزدك فدعا الناس الى الزندقة فأجابه قباذ الى ذلك ودعا قباذ المنذر بن ماء السماء عامله على الحيرة ونواحيها فامتنع فدعا الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ملك نجد الى ذلك فاجابه فاستعمله على الحيرة وطرد المنذر من مملكته وفي القاموس (الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو هو معرب من دين أي دين المرأة) وفي اللسان الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسي معرب وهو بالفارسية زندكراي يقول بدوام الدهر والزندقة الضيق وقيل الزنديق منه لانه ضيق على نفسه ورد ابن الكمال . اذهب اليه القاموس من انه معرب من دين وقال ان زندا اسم كتاب أظهره مزدك رئيس الفرقة المزدكية من الفرق الثنوية ونقل بعضهم عن ابن خلدون انه قال ان زرادشت بن بيورشت الحكيم جاء بكتاب ادعاه وحيا وان كيستاسف وضع هذا الكتاب في هيكل باصطخر ووكل به الهرامزة ومنع العامة من تعليمه ويسمى هذا الكتاب تستاه ثم

فسره زرادشت ومسمى تفسيره زند ثم فسر التفسير ثانيا وسماه زنديه فكانت هذه اللفظة أصلا لكلمة زنديق لان العرب عربتها هكذا واختصت في عرف الشرع بمن يظهر الاسلام ويظن الكفر والظاهر ان ابن قتيبة يريد بالزندقة احدى الفرق المجوسية من الثنوية أو المرذكية أو الزرادشتية بدليل قوله اخذوها عن الحيرة فان الحيرة وان كانت من بلاد الفرس سكانها وملوكها العرب دينهم دين الفرس أو دين المسيح ولو كانت مراده من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية لم يكن لاخذها من الحيرة وجه فان كثيرا من قبائل العرب كانوا كذلك .

﴿ الموحدون من العرب ﴾

كانت العرب قبل البعثة عدا من كان على دين سماوى أو غير سماوى مشركين يعبدون الاصنام الايمان أنار الله بصائرهم وهم أفراد قليلون وأخذوا الله وعبدوه بما ارتضته عقولهم او بما أخذوه عن الشرائع السابقة ولا نخلى كتابنا من ذكر بعضهم فمنهم (تبع الاول) و (خالد بن سنان العبسى) و (حنظلة بن صفوان) و ذكرت خبرهم في المختلف في نبوتهم من العرب ومنهم (زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالمزى) وقد خلاص هو وورقة بن نوفل ابن أسد وعبيد الله بن جحش بن ذئاب وعثمان بن الحويرث بن أسد يتناجون فيما حكاه ابن اسحاق وقد اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويمكفون عنده ويدرون به وكان ذلك عيدا لهم في كل سنة فقال بعضهم لبعض تصادقوا ولا يكتم بعضكم على بعض قالوا أجل قال تعلموا والله ما قومكم على شيء لقد اخطئوا دين أبيهم ابراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع يا قوم التمسوا لانفسكم فانكم والله ما أنتم على شيء فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فاما ورقة بن نوفل فاستحکم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب واما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة فلما قدمها تنصر وطارق

الاسلام حتى هلك هناك نصرانيا واما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الاوثان ونهى عن قتل المؤودة وقال اعبد رب ابراهيم ونادى قومه بعيب ما هم عليه . وروى البخارى في صحيحه بسنده قال حدثنا موسى حدثنا سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح (١) قبل ان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي فقدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سفره (٢) فأبى « أى زيد » أن يأكل منها ثم قال زيد انى لست آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه (٣) وان زيد بن عمرو كان

(١) بلدح مكان فى طريق التنعيم ويقال هو واد (٢) تلك رواية البخارى فى المواقب وروايته فى باب ما ذبح على النصب والاصنام فقدم اليه رسول الله سفره فيها لحم فأبى أن يأكل منها . وجمع ابن المنير بينهما بأن القوم الذين كانوا هناك قدموا السفره للنبي فقدمها لزيد فقال زيد مخاطبا لاولئك القوم ما قال (٣) قال السهيلي فان قيل فالنبي عليه الصلاة والسلام كان اولى من زيد بهذه الفضيلة فالجواب انه ليس فى الحديث انه عليه السلام أكل منها وعلى تقدير ان يكون أكل فزيد انما كان يفعل ذلك برأى يراه لا بشرع متقدم وانما تقدم شرع ابراهيم بتحريم الميتة لا تحريم ما ذبح لغير الله وانما نزل تحريم ذلك فى الاسلام واذا كانت الاشياء قبل ورود الشرع حكمها الاباحة كما يقوله بعض الاصوليين فان كان أكل فقد فعل أمرا مباحا وان كان لم يأكل فلا اشكال وان قلنا على ما هو الاصح ان الاشياء قبل ورود الشرع لا توصف بالاباحة ولا بالتحريم فان الذبائح لها أصل فى تحليل الشرع المتقدم ولم يقدح فى هذا التحليل ما ابتدعوه من الذبح على النصب حتى جاء الاسلام وأنزل الله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)

يعيب على قريش ذبائهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض الكلا ثم تذبجونها على غير اسم الله انكارا لذلك واعظاما له . قال موسى حدثني سالم بن عبد الله ولا اعلمه الا تحدث به عن ابن عمر ان زيد بن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال انى لعلى ان ادين دينكم فاخبرنى فقال لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد لا أفر الا من غضب الله ولا احمل من غضب الله شيئا أبداً وانى استطيعه فهل تدلنى على غيره قال ما اعلمه الا أن يكون حنيفاً قال زيد وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد الا الله فخرج زيد فلقى عالماً من النصارى فذكر مثله فقال ان تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال ما أفر الا من لعنة الله ولا احمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وانا أستطيع فهل تدلنى على غيره قال ما اعلمه الا أن يكون حنيفاً قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد الا الله فلما رأى زيد قولهم فى ابراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم انى أشهد انى على دين ابراهيم وقال الليث كتب الى هشام عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى وكان يحى المؤودة يقول للرجل اذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيكها مؤنتها فياخذها فاذا ترعرت قال لا يبها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول اللهم لو انى أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته قال ابن اسحاق وحدثت أن ابنه سعيد وابن عمه عمر بن الخطاب قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده ولم يكن زيد يأكل الميتة ولا الدم وهو القائل
وأسلمت وجهى لمن أسلمت له الارض تحمل صخرها ثقلاً

دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا [زلالا
إذا هي سيقت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا

ولما خرج زيد بن عمرو بن نفيل من مكة يطلب دين ابراهيم سار
يسأل الرهبان والاحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل لخال الشام
كلها حتى اذا كان بأرض البلقاء أخبره كاهن انتهى اليه علم أهل النصرانية
بأنه قد اظل زمان بنى يبعث من بلاد العرب بدين ابراهيم فرجع سريرا يريد
مكة حتى اذا توسط بلاد لحم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل يرثيه

رشدت وأنعمت ابن عمرو وانما (١) تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثلته وتركك أو ثان الطواغى كاهيا
وادراكك الدين الذي قد طلبته ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت في دار كريم مقامها تعمل فيها بالكرامة لاهيا

ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل في الالهيات قوله

عبادك يخطئون وأنت رب بكفيك المنايا والحتوم (٢)

(ومنهم قس بن ساعدة الايادي) كان من أقدم من آمن بالبعث من العرب
وعمر طويلا وسمعه النبي عليه السلام قبل البعثة بعكاظ يقول في خطبته
ايها الناس اسمعوا وعوا فان وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات
فات وكل ما هو آت آت ان في السماء ظبرا وان في الارض لعبرا مهادموضوع
وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار ان تغور ليل داج وسما ذات أبراج
أقسم قس قسما حتما ان لله ديننا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه مالي
أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ومنهم
(سحنة بن خلف الجرهمي) وقد منا قوله في لوم عمرو بن لحي على وضع الاوثان
حول الكعبة وجملة العرب على عبادتها ومنهم « المتلمس بن أمية

(١) رشدت وأنعمت أي رشدت وبالغت في الرشدا كما يقال أمعنت

في النظر وأنعمته (٢) الحتوم الاقضية

الـكـذائـي) وكان يخطب بفناء الكعبة ويقول أطيعوني ترشدوا قالوا وما ذاك قال انكم تفردتم بالهة شتى واني لا اعلم ما الله راض به وان الله رب هذه الالهة وانه ليحب أن يعبد وحده فتفرقت عنه العرب وزعموا أنه على دين بني تميم ومنهم أجداده عليه السلام كعب بن لؤى وقصى وعبد مناف وهاشم وعبدالمطلب فاما (كعب) فقد كانت العرب تجتمع اليه في كل يوم جمعة فيحشهم على صلة الارحام وحفظ العهد وصراعاة حق القرابة والتصدق على الفقراء والاحسان للايتام ويذكروهم بالموت وأهواله وينبئهم ببعثة رسول من عند الله وأما : قصى « فكان يأمر قومه بتعظيم الحرم وينهاهم عن عبادة الاوثان ويحذر قومه ببعثة نبي ينهى عن عبادة الاصنام (وأما عبد مناف) فكان يبغض الاصنام ويأمر قريشا بتقوى الله وصلة الرحم وأما (هاشم) فكان يؤدى الحقوق ويحمل ابن السبيل وبجانب عبادة الاوثان ويؤمن بالله واما (عبد المطلب بن هاشم) فقد منا ايمانه بالبعث وتوحيده الله ورجوعه اليه في قصة الفيل ومن الموحدين (وكبيع بن سلمة بن زهير بن أباد) وكانت له ولاية أمر البيت بعد جرحه وبني صرحا بأسفل مكة وجعل فيه أمة يقال لها جزورة وبها سميت جزورة مكة وجعل في الصرح سلما فكان يرقاه ليخلو بنفسه ويتفكر في ملكوت السموات والارض والعرب يعدونه من الصديقين ومن أقواله مرضعة أوظامة ووادعة أوقاصمة والقطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلام . ومن كلامه زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا وبالشر عقابا ان من في الارض عبيد لمن في السماء هلكت جرحهم وربلت اباد وكذلك الصلاح والفساد فلما حضرته الوفاة جمع ابادا فقال لهم أسمعوا وصيتي الكلام كلمتان والامر بعد البيان من رشد فاتبعوه ومن غوى فافرضوه وكل شاة برجلها معلقة . ولما مات نعى على الجبال وفيه يقول بشير بن الحجير الايادى

ونحن أباد عبيد الاله ورهط مناجيه في سلم

ونحن ولاة حجاب العتيق زمان النخاع على جرحهم (١)

(١) هلك من جرحهم بدء النخاع ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشبان

ومنهم (قيس بن نثبة) قال فيه ابن سيده في المخصص كان منجما متفلسفا واعداء
ببعثة الرسول فلما بعث عليه الصلاة والسلام أتاه فقال يا محمد ما كحلة فقال
السماء فقال وما كحلة فقال الارض فأمن به وقال لا يعرف هذا الا نبي
وقال حين آمن

تابعت دين محمد ورضيته كل الرضا لامانتى ولدينى
مازلت آمله وأرغب وقته والله قدر أنه يهدينى .
ومنهم (عبد الطابخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاة) وروى له الشهرستاني في الملل قوله
أدعوك يا ربى بما أنت أهله دعاء غريق قد تشبث بالمصم
لأنك أهل الحمد والخير كله وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلم
وأنت القديم الاول الماجد الذى تبتأت خلق الناس فى أكرم العدم
وأنت الذى أحاللتنى غيب ظلمة الى ظلمة من صلب آدم فى ظلم
ومنهم (علاق بن شهاب التميمى) القائل فى الايمان بالله ويوم الدين
وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب باحسن الاعمال
ومنهم زهير بن أبى سلمى وقد اعترف بوجود الله واثبت له الحياة والعلم
والقدرة وأقر بالبعث والنشور والثواب والعقاب وكتابة الاعمال مما جاءت
به الحنيفية فى قوله

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
ومنهم (عبد الله بن ثعلب بن وبرة بن قضاة) وكان ينهج فى ديانتته منهج الحنيفية
ومنهم عبيد بن الابرص الاسدى القائل

ولتأتين قبلى قرون حجة ترى مخارم أيكه ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف والنجم يجرى انحسا وسعودا
وليفنين هذا وذاك كلاهما الا الآله ووجهه المعبودا
ومنهم (عامر بن الظرب المدوانى) وقد منا قوله فى البعث ومنهم (سيف بن ذى يزن)
وقد بشر عبد المطلب بن هاشم ببعثته عليه الصلاة والسلام . ومنهم (أبو قيس

صرمة بن أبي أنس) قال ابن قتيبة وهو من بني النجار وكان ترهب ولبس المسوح وقارق الاوثان وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ثم دخل بيتاً له فاتخذ مسجداً لا يدخله طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام أسلم وحسن اسلامه وقال في الجاهلية

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسك وكل هلال

يا بني الارحام لا تقطموها وصلوها قصيرة من طوال

ومنهم (أمية بن أبي الصلت الثقفى) فقد حدث الزبير بن بكار عن عمه ان أمية نظر في الجاهلية الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً وذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرم الخمر وتجنب الاوثان وصام والتمس الدين طمعا في النبوة لانه علم ببعثة نبي من العرب وكان يرجو أن يكونه فلما بعث عليه السلام حسده وقال فيه النبي عليه السلام ، آمن شعره وكفر قلبه ، ومنهم (الناطقة الجعدى حسان بن تيسر بن عبد الله) شاعر قديم مفلق طويل البقاء في الجاهلية والاسلام ، وأذكر في الجاهلية الخمر وهجر الاوثان والازلام وقال في الجاهلية قصيدته التي أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وكان يذكر دين ابراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقع أشياء لعواقبها

ولما جاء الاسلام وفد على النبي وأسلم فحسن اسلامه

﴿ اليهودية ﴾

اليهودية هي الشريعة المنزلة على موسى الكليم عليه السلام نسبة الى يهوذا أحد اسباط اسرائيل الذي تناسل منه أكثر الملوك ونشأت هذه الديانة في مصر ولما لم يؤمن بها فرعون وقومه خرج موسى وبنو اسرائيل من مصر سنة ١٤٩١ قبل الميلاد وضرب بمصاه البحر فانشق فجاوزه موسى وأغرق فرعون وجيشه فوصلوا جبل طور سيناء بعد خمسة وأربعين يوماً من خروجهم من مصر ثم انتقلت اليهودية الى الاراضي المقدسة ومنها الى بلاد العرب وكان دخولها

اليها زمن موسى على ما رواه ابن زبالة بسنده عن عروة بن الزبير قال : كانت العماليق قد انتشروا في البلاد فسكنوا مكة والحجاز كله وعتوا عتوا كبيرا فلما أظهر الله موسى عليه السلام على فرعون وولى الشام أو بعث اليها بعثا فأعلمك من بها من الكنعانيين ثم بعث بعثا آخر الى الحجاز للعماليق وأمرهم الا يستبقوا أحدا منهم بلغ الحلم فقدموا عليهم فأظهرهم الله فقتلوهم حتى انتهوا الى ملكهم الارقم بن أبي الارقم فقتلوه وأصابوا ابنا له وكان شابا من أحسن الناس فضنوا به عن القتل وقالوا نستحييه حتى تقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فأقبلوا وهو معهم فقبض الله موسى قبل قدوم الجيش فلما سمع بهم الناس تلقوهم فسألوهم فأخبروهم بالفتح وقالوا لم نستبق منهم الا هذا الفتى فاننا لم نر شابا أحسن منه فتركناه حتى تقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فقالت لهم بنو اسرائيل ان هذه لمعصية منكم لما خالفتم أمر نبيكم لا والله لا تدخلون علينا بلادنا أبدا فقال الجيش ما بلد اذ منعتم بلادكم بخير من البلد الذي خرجتم منه وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق . وفي الروض الانف عن أبي الفرج الاصبهاني ان السبب في كون اليهود بالمدينة وهي وسط أرض العرب مع أن اليهود أصلهم من أرض كنعان ان بنى اسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز وكانت مبارهم يثرب والجحفة الى مكة فشككت بنو اسرائيل ذلك الى موسى فوجه اليهم جيشا وذكروا نحو ما تقدم ثم قال ولا أحسب هذا صحيحا لبعث عمر موسى عليه السلام وذكروا الطبري ان نزول بنى اسرائيل بالحجاز كان حين وطي بختنصر بلادهم بالشأم وخراب بيت المقدس وذكروا صاحب كتاب وفاق الوفا لليهود الذين نزلوا المدينة فمنهم قريظة والنضير والنحام وهديل . وفي خطط المقرئ ان العرب تعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شعوبيل نبي بنى اسرائيل وهو صمويل المتوفى سنة ١٠٥٧ قبل الميلاد وفي كتاب وفاق الوفا باخبار دار المصطفى «وحكى ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود ان سبب نزولهم الحجاز ان ملك الروم حين ظهر على بنى اسرائيل وملك الشام خطب

الى بنى هرون وفي دينهم ألا يزوجوا النصارى فخافوه وأنعموا له وسألوه ان يشرفهم باتيانه اليهم فأتاهم فمتمكوا به وبمن معه ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فأقاموا بها وزعم بنو قريظة ان الروم لما غلبوا على الشام خرج قريظة والنضير وهدل هاربين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بنى اسرائيل فوجه ملك الروم في طلبهم فاعجزوا رسله «

أما الذى ادخل اليهودية بلاد اليمن فهو تبع الاصغر أبو كرب تبان اسعد وقد منا خبر ذلك عند الكلام على المختلف في نبوتهم من العرب وقيل سبب تهود العرب غير ذلك . ولما خربت اورشليم على عهد طيطوس فى القرن الاول للميلاد نزح كثيرون من اليهود الى بلاد العرب وتوطنوها ونشروا تعاليم دينهم بين العرب واشهر من دان باليهودية من قبائل العرب بنونعير وبنو كنانة وبنو الحارث بن كعب وبنو كندة ولعلها سرت اليهم من مجاورة اليهود لهم فى ثيما . ويشرب وخيبر

ولم تتغلب اليهودية على الوثنية فى بلاد العرب لان كثيراً من احكامها مبنى على المشقة وتلك لا يسلس لها قياد العربي ولانها وان أباحت قتال الوثنيين والقتال دين العربي الا انها لا تبسح الانتفاع بغنائمهم بل تحرقها والعربي انما يقاتل لينتقم من عدوه فى نفسه وينتفع بماله واهله ومن طرق معاشهم الغزو والسلب والنهب وكانت بعض نساء العرب تنذر تهود ابناهن فى الروض الانف (ان جملة من كان من اليهود بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن فى الاوس والخزرج من قد تهود . وكان من نساءهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها أن تهوده لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب) وقد ذكر لبيد بن ربيعة صلاة اليهود من قصيدة له يصف رجلاً غلب عليه النعاس يلمس الاحلاس فى منزله بيديه كاليهودى المصل (١)

(١) فاعل يلمس : ضمير اليهود فى البيت قبله وهو (ويجود من صبايات الكرى) والمجرد الذى جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فنام و (الاحلاس) جمع حلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله أى

قال البغدادي في خزانة الادب « وقوله كاليهودى المصل . قال الطوسي في شرحه كأنه يهودى يصلى في جانب يسجد على جبينه هذا كلامه واليهودى يسجد على شق وجهه وأصل ذلك أنهم لما تتق الجبل فوقهم قيل لهم اما أن تسجدوا واما أن يلتقى عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل فصار عندهم سنة الى اليوم »

﴿ النصرانية ﴾

هى دين المسيح بن مريم عليه السلام نسبة للناصره اول قرية بث فيها عيسى دعوته فقال العرب ناصرى ونصرانى . وكان يقال للمسيح الناصرى ودخلت النصرانية بلاد العرب زمن الحواريين فقد نقل ان القديس توما اول من دعا اليها في بلاد اليمن اثناء مسيره الى الهند وان بولس دعا اليها في الشام فاعتنقها كثير من عرب الشام وفي بعض التواريخ المسيحية ان اوريجانوس في القرن الثالث للميلاد زار أحد حكام العرب فهدى قبيلة للنصرانية وفي القرن الرابع سار موسى الراهب المصرى الى العرب ودعا لهم للنصرانية فتنصرت زوجة حاكمهم المسماة موفية . وفي تاريخ القرون الوسطى ان عرب غسان تنصروا في أيام القيصر والنتين وكان تنصرهم على يد عباد الصحراء بالشام ، (يعنى النساك) وقال ابن خلدون كان أهل نجران (هم بنو الحارث بن كعب من مذحج) من بين العرب يدينون بالنصرانية وكان لهم فضل في الدين واستقامة أخذوا هذا الدين عن رجل سقط لهم من ملك التبعية يقال له سيمون من بقية اصحاب الحواريين) وكانت العرب تسمى عيسى عليه السلام ابيال ايلين والاييل « الراهب أو الناسك والزاهد في الدنيا » وشاهده قول عمرو بن عبد الجن .

أما والدماء المائرات تخالها على قة العزى وبالنسر عند ما (١)

يطلب الاحلاس بيديه وهو لا يعقل من غلبة النماس (٢) نسر صنم و« المائرات » المترددات من مار الدم على وجه الارض يمور اذا تردد و(قة العزى) اعلاها و(العندم) البقم ودم الاخوين

٢٠٣

وما سبغ الرهبان في كل ليلة أبيض الابيلين المسيح بن مريم (١)
لقد هزمني عامر يوم لعلع حساما اذا ماهز بالكف صمما (٢)
وكان ولدان النصارى يتبركون بالراهب الذي يجي من بيت المقدس وبمسحه
الذي هو لابسه وأخذ خيوط منه حتى يتمزق ثوبه وشاعده قول امرئ القيس
الكندي يصف أدراك كلاب الصيد لفرسه

فأدر كنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس (٣)
وكانت النصرانية تقيم اعيادها في بلاد العرب فنما يوم السباسب ويسمونه
يوم السمانين . ويقال شعانين وعيد الفصح وهو ما يتقدم عليه صوم الاربعين
أنشد سيبويه لبعض العرب

صدت كما صد عمالاجل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام
وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل قال اوس بن حجر يصف رمحه ويشبه سناناه
بمصباح يوقده رئيس النصارى يوم الفصح
عليه كعباح العزيز يشبه بمصيح ويمشوه الذبال المفتلا
وقال عدى بن زيد يشير الى تعمير قنديل الفصح

بكروا على بسحرة فصبحتهم بأناء ذى كرم كقعب الحالب
بزجاجة ملء اليدين كأنها قنديل فصح في كنيسة راهب
ومن اعيادهم الدنح ذكره ابن سيده في المخصص عن ابن دريد . وكانت
الراهبات تلبس في الاعياد الملاء والانسجة الطويلة الاذيال . قال امرؤ القيس
يصف سربا من بقر الوحش

فآنت سرباً من بعيد كأنه رواه عيد في ملاء مهذب
ولم تستطع النصرانية أن تتغلب على الوثنية في بلاد العرب لان
تعاليمها تبين اخلاقهم الغريزية فن من العرب يرضى اذا ضربته على خده

(١) سبغ أى نزه وسمى الراهب أبيضاً لتأبله وبعده عن النساء
(٢) يريد أن عامراً وجدته حساما ذلك اليوم و« صمم » مضى يقال
صمم الرجل في الامر اذا جد فيه . (٣) شبرق جلده أى قطعه .

الايمان ان يدبر لك خذ الايسر لتصفعه عليه مرة أخرى بل قلد النصرارى العرب
فى كثير من أمورهم الدينية فكانوا يحجون ويعتصرون ألا أنهم كانوا يقفون
فى الحج فى بطن محسر . وأنشد عليه السلام لما أفاض من عرفة الى مزدلفة
وكان فى بطن محسر الذى كان موقف النصرارى قول شاعر جاهلى
اليك تعدو قلقاً وضينها معترضاً فى بطنها جنينها
مخالفاً دين النصرارى دينها

يشير الى الناقة التى كان راكبها فى مسيره الى الحرم . وكانوا يعظمون
الكعبة ووضعوا فيها صورة السيدة مريم وسيدنا عيسى مع ما وضع فيها
من صور الملائكة والانبياء كوسى وابراهيم . وكانوا لا يذكرون اسم الله
على الذبيحة يقلدون فى ذلك مشركى العرب . وخالفوا تعاليم المسيحية فى
شتم الفارات وطلبهم الثارات لان العربى جعل رزقه فى ظل رحمه ولذلك
لما قدم عدى بن حاتم الطائى على رسول الله عليه السلام قال له . أو لم تكن
تسير فى قومك بالمربع . فقال عدى . بلى . فقال عليه السلام فان ذلك لم يكن
يجل لك فى دينك . فقال أجل . ذلك لان الدين الذى يحرم القتال لا يجمل
غنائم الحرب . وقد بين عقيدة العرب هذه جابر بن حنى النخلى النصرانى
فى قوله

وقد زعمت بهراء أن رماحنا رماح نصرارى لا تخوض الى دم
وأشهر من تدين بالنصرانية من العرب ربيعة وبعض قضاة وكأنتهم
تلقوها عن الروم فقد كانوا يكثرون التردد الى بلادهم للتجارة والفساسنة
بالشام لجاورتهم نصرارى الروم ودان بالنصرانية كثير من بنى تغلب وتنوخ
وحير وطيب . وشاعت النصرانية فى قبائل شتى بالحيرة يقال لهم العباد « بكسر
العين وتخفيف الباء » منهم عدى بن زيد العبادى . وتنصر ملوك الحيرة على
عهد امرىء القيس الاول ابن عمرو فى أوائل القرن الرابع على قول . وقيل
ان أول من تنصر منهم النعمان بن المنذر فى آخر القرن السادس . وفى سجل
الكنيسة الشرقية أن الحيرة كان عليها أسقف سنة ٤١٠ ميلادية وأن ملكها

حتى النصرانية سنة «٤٢٠» ميلادية . وقيل أن ملوك الحيرة كانوا في أواسط القرن السادس وثنيين وأن المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء كان يقدم ذبائح من بني آدم الى العزى وكان من بين نسائه امرأة من غسان اسمها هند الكبرى ام عمرو بن هند كانت مسيحية فبثت مبادئ النصرانية في ابنها فنشأ نصرانياً . ويستظهر بعضهم أن النصرانية لم تثبت بعد عمرو المذكور . فلما مات طاد خليفته المنذر الى الوثنية ونشأ ابنه النعمان وثنياً حتى تنصر على يد الجاثليق صبر يشوع او على يد عدى بن زيد العبادي كما يقول مؤرخو العرب . وكان نصارى العرب يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح كاعتقاد اتباع يعقوب البرادعي اسقف اورفا سنة ٩٢٨ وهم اليعقوبيون ونسب هذا المذهب ليعقوب لانه قال به بعد ان كاد يندثر والا فقد سبقه بالقول بالطبيعة الواحدة ديوسقوروس وبرسوماس وزينياس وفلو وغيرهم من القائلين بأن طبيعتي المسيح قد اتحدتا حتى صارتا طبيعة واحدة . وكانت النصرانية شائعة في بعض أمكنة من جزيرة العرب وذكر حاتم الطائي شيوعها بين ناب ودارة في قوله

واني لمزج للمطى على الوجا وما انا من خلانك ابنة عفزرا
ومازلت أسعى بين ناب ودارة بلحيان حتى خفت أن اتنصرا
والمعجب لصاحب شعراء النصرانية كيف عد حاتما من النصارى مع
نقله له قوله خفت أن اتنصراى خفت الدخول في دين النصارى وذلك منه كثير
فقد عد طرفه بن العبد والمتلمس نصرانيين مع نقله حلف طرفه بالنصب في قوله
فأقسمت عند النصب انى لمالك بمتلفة ليست بعبط ولا خفض
ونقله حلف المتلمس بالانصاب في قوله في هجاء عمرو بن هند
اطردتنى حذر الهجاء ولا والله والانصاب لا تثل
وعد أعشى قيس في النصارى مع نقله قوله يخاطب ناقته من قصيدة يمدح
بها سيدنا رسول الله .
وآليت لا أرثى لها من كلاله ولا من حنى حتى تزور عمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا
متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراخي وتلقى من مكارمه يدا

﴿ الاسلام ﴾

كانت العرب في الجاهلية في شر حال من الاضطراب والفوضى سواء في ذلك نظام الحكومة أو سياسة البيت أو غيرها فكانت النفوس في كل حين عرضة للسفك والاموال في كل وقت معرضة للسلب والنهب لانهم كانوا شموها وقبائل تغلى صدورهم بالاحقاد وكل قبيلة اما مقاتلة أو لقتال غيرها على قدم الاستعداد أخذاً بثأر مقتول عمداً أو خطأ أو لهفوة لم يتناولها الصفيح ولم يغفرها المغو وكانوا يورثون ابناءهم الاحقاد وناهيك بحرب داخس والغبراء التي لم تضع أوزارها الا بعد اربعين سنة وسببها أهون من أن يرى فيه سهم عن كبد قوس او مجرد فيه حسام من غمد وكان الصماليك المدلون بقوتهم يؤلفون عصابات للغارة على المراعى لسلب الانعام ورطاتها او على الاحياء اذا علموا أن المخلفين بها من الرجال لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم لنهب ما بها من الاموال وأسر النساء والولدان والرجال وكان أسر النساء يجيز الاستمتاع بهن ولو كن ذوات أزواج أما الاسرى من الرجال فكانوا يكبلون بالسلاسل والاغلال وجزاؤهم القتل او الغداء وكم قتلوا من رجال وولدان او استذلوهم او باعوهم أرقاء وكان الفتى المدل بقوته او بمنعة عشيرته يرى الفتاة فيصبيه حسنها فيختطفها من أبيها أو أخيها أو غيرها ولو كانت في مدينة أهلة بالسكان بلا حياء ولا خجل كأنما يفعل امراً معروفاً غير منكر ومثل هذه الحادثة كان سبباً في حاف الفضول وناهيك بقوم باغ من اعتدائهم على المرأة انهم كانوا يكرهون فتياتهم على البغاء يبتغون عرض الحياة الدنيا ولم يكن عندهم قانون للقصاص يمنع البنى ويقف في سبيل الظلم بل كان اولياء الدم يقيمون على الخسف ان كانوا ضعفاء انتهازاً لسنوح الفرصة للاخذ بثأرهم غدرآ وان كانوا أقوياء اسرفوا في القتل فربما قتلوا بظنة واحد العدد العديد والجماء الغفير قال شاعرهم .

قتلنا سبعة بأبي لبيني وألحقنا الموالى بالصميم (١)
حتى قال مهلهل بن ربيعة وهو يثأر لآخيه كليب لبجير بن الحارث بن
عباد وهو يقتله وكان غلاماً بثوبشع نعل كليب فقال له بجيران رضيت بذلك
بنو ضبيعة بن قيس رضيت فلما باع الحارث مقتله ولم يكن دخل في حربهم
قال نعم الغلام غلام اصلح بين ابني وائل وباء بكليب فأبلغوه قول مهلهل
اذقله فغضب وأدخل يده في الحرب وقال

قربا مربط النعامة منى لقتحت حرب وائل عن حيال (٢)
لا بجير أغنى قتيلا ولا ره ط كليب تزا جروا عن ضلال
قربا مربط النعامة منى ان قتل الغلام بالشع غالى
لم أكن من جناتها علم الا ه وائى بجرها اليوم صالى

أما سياءتهم للبيت فكانت أشد خرقاً وآلم جرحاً وناهيك بقوم يدفنون
بناتهم احياء خشية الفقر أو توهم العار ولقد بلغت القسوة بأحدهم أن ولدت
امراته في غيبته بنتاً فخبأها عند احد أقاربها لئلا تفتك بها يد القسوة حتى
اذا ترعرت واصبح مثلها قررة عين والدها وظنت انها قد أمنت قسوة ايها
وعدوانه وان عاطفة الابوة تحول بينه وبين وأدها احضرتها من مكانها وقد
زينتها وقدمتها لايها فسألها عنها فأخبرته خبرها فسكت منتهزاً فرصة غفلة
أمها حتى اذا سنحت أخذ الفتاة حفرة لها حفرة ودفنها فيها حية وهى تمسح
التراب عن لحيته وتقول ما الذى تفعله بى يا أبى ذلك صنعهم بالبنات وهن
رد الا كباد ومسرة الفؤاد

ولم يكن صنع بعضهم بالشيوخ والمعجزة بأقل قسوة من ذلك فقد روى عنهم
انهم كانوا اذا تبرموا بشيخ تركوه وارتملوا ليموت أو يأكله الذئب أو حملوه
على بعير تقور يسقطه فيموت فيستريحوا منه وجاء فى امثالهم (أهون هالك

(١) أى قتلنا ساداتهم فصار الموالى سادة (٢) النعامة اسم فرس الشاعر و(لقتحت)

حملت و (الحيال) ان تضرب الناقة فلا تحمل وضربه مثلاً لما تولد عن الحرب
وانتج منها من الامور التى لم تكن تحتسب بعد ذلك

شيخ يقادبه البعير) وقولهم (أهون هالك عجوز في سنة جذب) نعم لم يكن هذا العمل عاما فيهم

أما حالة العرب الدينية فما قدمناه في هذا الكتاب تعلم ان الدهماء منهم قد انغمسوا في عبادة الاوثان واتخذوا آلهة شتى ووصل من انحطاطهم في احكام العقل أن اتخذوا الها من حيس فلما جاعوا أكلوه وصاروا يتعرفون الخير والشر من أمور دنياهم بالاستقسام بالازلام لا بما فيها من نفع وضرر وكانوا على بقية من دين ابراهيم خلطوها بالوثنية خلطا غير محاسنها وطمس معالمها فأهلوا في الحج للاصنام وأشركوها في التلبية وجعلوا صلاتهم عند البيت الحرام وهي التي شرعها الله في دين ابراهيم خالصة لله وخضوعاً له مكاء وتصدية (١) ولم تكن اليهودية ولا النصرانية عندهم خيرا من اختهما الحنيفية . أما اليهودية فقد عبثت بها أيدي الاحبار يحرفون فيها الكلام عن مواضعه فغيروا كثيراً من الاحكام التي شرعها الله بالحيل التي استحلوها والاهواء التي ابتدعوها ومالوا للتشبيه وغلت فرقة منهم فيه فقالوا غزير ابن الله وتأولوا التوراة بالرأي والهوى واخبروا ان تأويلهم من عند الله ولقد نعى عليهم القرآن ذلك بقوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً) ومنهم من وقف عند الفاظ التوراة دون أن يبين معانيها ويشرح المراد منها وعم الذين وصفهم القرآن بقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) . أما النصرانية فقد انحطت في بلاد العرب الى درك الوثنية فكانوا يتركون ذكر اسم الله صمداً على

(١) مكاء الرجل يمكوا اذا جمع بين يديه وصفرفيهما و (التصدية) التصفيق قال ابن عطية والذى مر بي من اثر العرب في غير ماديوان ان المكاء والتصدية كانا من فعل العرب قديماً قبل الاسلام على جهة التقرب به وكان مخزومة بن قيس بن عبد مناف يصفر عند البيت فيسمع من حراء وكانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفقون ويصفرون

الذبيحة مجارة للمشركين واتخذوا في كنائسهم الاصنام اما لانهم لم يتجردوا من الوثنية وأما لترغيب الوثنيين في المسيحية كما اتخذوا الصنم كميماً في كنيسة القليس وكانت تعاليم المسيحية لا تناسب اخلاق العربي الطامح بطبيعته الى الفخر والخيلاء والسفك لا يعرف القعود على الضيم ولا الصبر على أذى المؤذنين وصنع الصافعين فنذأوا سرها اكثرهم حتى لم يبق لهم من المسيحية الا اسمها ولا من النصرانية الا وسمها . نبذوا على اختلاف اديانهم الاوامر الالهية فاكوا الربا أضمافا مضاعفة وعدوا شرب الخمر ولعب الميسر من مفاخرهم التي يفاخرون بها

هذا حال العرب أما غيرهم من الامم في ذلك العصر فلم يكونوا أحسن حالا منهم فكان من رحمة الله بالعالم ان يرسل اليه رسولا يخرج الناس من الظلمات الى النور فبعث محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب عليه الصلاة والسلام بدين الاسلام . جاء الاسلام ينشر لواء السلام ويضع الدعائم الثابتة لنظام الاجتماع ويزيل الأثرة من النفوس ويفهم كل فرد انه جزء من جماعة لا يصلح الا بصلاحها ولا تصالح الا بصلاحه (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا) سوى بين الناس في القصاص ووضع من الحدود ما يكفل سمادة كل انسان ويصونه من غائلة غيره وبين ما يجب على كل فرد اداؤه والقيام به من الواجبات التي فيها صلاحه وحياة المجتمع وبت في النفوس روح العطف والرفق والتسامح حتى في أحوال الخلاف في الدين والعقيدة قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) صان الاسلام حقوق المرأة ونهض بها الى أوج لم تصل اليه في أمة من الامم ولا في شريعة من الشرائع فاعاد لها حقها المسلوب وجعل لها وحدها حق التصرف في مالها ونفسها وسوى بينها وبين الرجل في التكليف وغيرها ولم يميز الرجل عنها الا في الاحكام التي لا يقدر عليها اكثر افراد جنسها كالجهاد أو لامر اقتضى تمييزه عنها . والمتصدى لمعرفة ذلك يراه مفصلا في الكتب التي تبين اسرار التشريع . نهى الاسلام عن كراهة البنات وعد وأدهن أمرا إذا فقال (واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) وقال واذا بشر احدكم بالانثى

ظل وجهه مسودا وهو كظيم
كثيرا ما وصى النبي الكريم بالمرأة ودعا الرجال للرفق بها والاحسان
اليها . احاط الاسلام الرق بسياج يحميه من عبث العابثين وسلب السالبين
فلم يضرب الرق الا على الاسير الذى حارب المسلمين للايقاع بهم والاذلال
بدينهم ثم طفق الشارع الحكيم يدعو الى عتق الارقاء بمختلف الوسائل حتى
جملة قربة القرب وكفارة القتل والظهار واليمين والافطار في رمضان وندب اليه في غير
العتق واجبا في كفارة القتل والظهار واليمين والافطار في رمضان وندب اليه في غير
ذلك مرضاة لله تعالى فقال عليه السلام ايما مؤمن اعتق مؤمنا في الدنيا اعتق الله
تعالى بكل عضو منه عضوا منه من النار . سوى الاسلام بين الناس في الحقوق فلم
يميز جنسا من الاجناس للبشرية على آخر وضرب على أيدي الامراء والرؤساء
ليرفعوا عن رؤوس العامة عصا الاستبداد وينزعوا من اعناقهم غل الاستعباد
وقضى على التعاليم التي ابتدعتها رؤساء الاديان من وجود الوساطة بين العبد
وربه فاجتث بذلك أصلا من أكبر أصول الوثنية . فلقد كان يتوسل لذلك
الوسيط بأنواع التعظيم وبمات له بضروب التكريم مما لا يليق الا بالخالق الحكيم
أمر كل واحد بالاجتهاد والعمل بما يصل اليه اجتهاده فيما لم ينزل فيه حكم بين
ولانص صريح فلم يجعل الدين بذلك بعيد التناول علي احد ومقصورا على
طائفة تطاع فيما تدعيه ديننا من غير تبصر ولا تفكير * نبه العقل من نومه
واحترمه وامر بالبظر والتفكر ففرق بذلك حجب الاوهام التي اسد لها رؤساء
الدين علي اهل اذ صموا ان الدين عدو العقل وما يشمره العقل الا ما كانت
تفسيرا لكتاب منزل * جعل الاخلاق مصدر حياة الامم والمصر في بقائها قال
تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال (ان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) نهى عن الكسل والخمول
والمسكنة التي زعمها رؤساء الدين من الدين فأمر بالعمل كل قادر عليه وأباح
لكل انسان ان يتمتع بما شاء من الطيبات (قل من حرم زينة الله التي أخرج
لعبادته والطيبات من الرزق) حث على التعليم ورغب فيه ودعا لارشاد العامة

الى الصراط المستقيم والطريق القويم قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) . أمر الاغنياء ان يجمعوا من اموالهم حقا معلوما للفقراء تطييبا لنفوسهم وسدا لعوزهم وعظما على ابناء جنسهم ليستأصل من نفوس الفقراء الحسد والضعفينة على الاغنياء . لم يترك الاسلام فضيلة من الفضائل الا أمر بها ولا سنة من سنن الترقى والاصلاح الا قررها ولا رزية يعود وبالها على المجتمع الا نهى عنها وقبحها . اعاد الاسلام للحنيفية شبابها وجدده عهدها وجردها من الوثنية التي أبلت محاسنها وغيرت معالمها فالاسلام دين ابراهيم حكي ذلك القرآن في غير ما آية فقال (ان ابراهيم كان قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباها وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة ولانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وقالوا كرونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) والآيات في ذلك كثيرة ولذلك قال ابن حزم (وكان الذي ينتحله الصابئون اقدم الاديان على وجه الارض الى ان أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعها فبعث الله عز وجل اليهم ابراهيم خليه بدين الاسلام الذي نحن عليه الآن وتصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى) ومعنى مجيء الاسلام بالحنيفية دين ابراهيم دون اليهودية أو النصرانية مع ان أصول الشرائع من حيث الآلهيات وتحريم المتحقق ضرره وتقرير أمهات مكارم الاخلاق واحدة أن الاسلام قرر الاحكام والمباديات التي شرعت في دين ابراهيم بمد أن جردها من الوثنية التي الصفت بها وهذا مرما تراها من موافقة الاسلام للاحكام التي كان العرب عليها وذكرناها مفصلة في هذا الكتاب . لم يقف الاسلام عند ما شرع في دين ابراهيم بل زاد كثيرا من الاحكام التي

اقتضاها الزمان فانقذ الاحوال الاجتماعية من براثن الفوضى التي فتكت بها
أيام الجاهلية وأصبح الاسلام بنظامه الدقيق المحكم صالحا لكل زمان ولكل
أمة لا يزيدده رقي العقول في المدنية إلا ثباتا ولا تنمو العلوم الاجتماعية
والكونية الا لتضم برهانا بمد برهان على سداده ولطيف حكمته . كيف
لا يكون كذلك وهو الدين الخالد التالد الذي أراد الله أن يتعبد به الخلق
الي قيام الساعة قال تعالى (ما كان محمداً أباً احد من رجالكم ولكن رسول
الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً)

وكان الفراغ من تأليفه وتهذيبه وترتيبه صباح يوم الجمعة رابع شهر
رمضان المعظم سنة ثلثائة واحدى وأربعين بمعد الالف من الهجرة
الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

﴿ فهرست الكتاب ﴾

مقدمة	٤	٨٩	الصلاة على الميت
ابراهيم واسماعيل	٧	٩٠	سرير الميت
المختلف في نبوتهم من العرب	١٣	٩١	تشديم الجنازة
الحرم ومكانته عند العرب	١٦	٩٢	قولهم للجنازة
حلف الفضول	٢١	٩٢	مقابرهم
بناء الكعبة وكسوتها	٢٦	٩٥	حى القبر
تعظيم المعجم والعرب للكعبة	٣٢	٩٥	نضح القبر بالحجر
الاربعة الاشهر الحرم والبسل	٣٧	٩٦	السقيا للقبر
النسي	٤٣	٩٨	العقر على القبر ونضجه بالدماء
الحج . احكام الاحرام به . الخمس	٤٧	١٠٥	العقر للضيافة نيابة عن الميت
التلبية . الطواف بالبيت السعى	٥٢	١٠٦	اتخاذ البلية
الوقوف بعرفة	٦١	١٠٧	قولهم للميت لا تبعد
النزول بمزدلفة ومنى وبقية اعمال	٦١	١١٠	ممتقداتهم الدينية
الحج من سوق الهدى والنحر	٦٨	١١١	الانبياء والرسل
والحلق ورمي الجمار والطواف	٧٠	١١٢	البعث والحساب
العمرة	٧٠	١١٤	الايمان بالقدر
الطهارة - الصلاة - الزكاة	٧٥	١١٤	خالق افعال الانسان
الصوم - الاعتكاف	٧٥	١١٥	التناسخ
الاستسقاء بالدعاء والنار	٨١	١١٦	المسخ
النذر	٨٤	١١٧	احكامهم الدينية
ذبح الظبي في نذر الشاة	٨٤	١٢١	الختان
ما يفعلونه للموتى	٨٥	١٢٢	الدين القتشى
نعى الميت	٨٥	١٢٣	عبادة الحيوان
غسل الميت	٨٧	١٢٤	عبادة الانسان
تحنيط الميت	٨٧	١٢٥	عبادة الملائكة والجن
كفن الميت	٨٨	١٢٧	عبادتهم للاشجار

﴿تابع الفهرست﴾

الصابئون	١٨٤	الوثنية في العرب	١٢٨
عبادتهم للكواكب واثار عبادتهم لها	١٨٦	اصنام العرب وبيوت عبادتها	١٣٢
المجوسية	١٩٠	كثرة الاصنام	١٥٥
الموحدون من العرب	١٩٣	عبادة الاصنام وما يتقرب به لها	١٥٨
اليهودية	١٩٩	الاستقسام بالازلام	١٦٨
النصرانية	٢٠٢	الاقسام	١٧٢
الاسلام	٢٠٦	التحالف	١٨٠
		الدعاء	١٨٤

(الخطا والصواب)

صحيحة	سطر	الخطا	الصواب	صحيحة	سطر	الخطا	الصواب
١١	١٠	رقولى	وقولى	١٢٥	٢١	الجررة	الجررة
١٢	٦	فاقرىء	فاقرئى	١٢٩	٣	ملثوا	ملثوا
١٣	٢٤	اللائف	اللائف	١٣٠	٢١	ركان	ركان
٣٠٠	٢٢	المثقى	المثقى	١٣١	١٧	يفقثون	يفقثون
٣٧	٦	يامروا	يامروا	١٣١	١٨	فقثوا	فقثوا
٣٧	١٢	طبي	طبي	١٣٢	٤	٢٠٨١	٢٠٨١
٣٩	١١	بغناه	بغناه	١٣٦	٢٥	واسكان	واسكان
٤٧	١٧	يجمع	يجمع	١٣٩	٢٣	بصيفة	بصيفة
٥٨	١	الارد	الارد	١٤١	١٤	الضيزن	الضيزن
٦١	١١	مزلفة	مزلفة	١٤١	٢٠	ععب	ععب
٦٦	١٣	انقرضوا	انقرضوا	١٤٤	١٠	يعوق	يعوق
٦٧	٢٣	ككتف	ككتف	١٤٦	٩	حول عرض	حول عرض
٧٠	١٦	بن	ابن	١٥٢	٢٢	سمت	سميت
٧٩	١٠	بالقطر	بالقطر	١٥٤	١٣	هابيل	هابيل
٧٩	١٠	جناهم	جناهم	١٥٥	١٦	موتدا	موتدا
٨٩	٢٢	المختار	المختار	١٥٦	١٦	ياسم	ياسم
٩١	٢٢	الزوج	الزوج	١٧٦	٤	البطليوسى	البطليوسى
٩٧	١١:٧	موتة	موتة	١٧٨	١	تستحلف	تستحلف
١٠٣	٥	لاعقرى	لاعقرى	١٨٣	٤	يخاف	يخاف
١٠٥	٢٤	وأخذ	وأخذ	١٨٣	٥	تخالفت	تخالفت
١١٣	٤	وفى	وفى	١٨٦	١٣	العباداة	العباداة
١١٦	١٦	المسح	المسح	١٩١	١٥	والاملاك	والاملاك
١١٩	٢٥	وحرمة	وحرمة	١٩٢	٢٢	زن	زن
١٢٢	١٩	السود	السود	١٩٧	١٣	وكبع	وكبع
١٢٤	١٢	حببيهم	حببيهم	٢٠٤	٥١	التغلبى	التغلبى

مؤلفات مؤلف هذا الكتاب

- (١) المرأة العربية في الجاهلية - كتاب تتبع فيه مؤلفه حال المرأة عند العرب في الجاهلية من المهد الى الالحد لجمع عاداتها وجميع أحوالها وهو نحو ثمانمائة صفحة
- (٢) اللباب في علم الانساب - كتاب جمع انساب العرب في الجاهلية بأحسن ترتيب
- (٣) كتاب يبحث عن عادات العرب في الجاهلية في الحروب وعدتهم لها
- (٤) الاحوال المدنية والاجتماعية عند العرب في الجاهلية
- (٥) رسالة في الكلام على الحديث الموضوع وبيان القواعد التي يعرف بها وضع الحديث والاسباب الداعية اليه
- (٦) كشف اللثام عن أشعار العوام - رسالة اسهب فيها الكلام على جميع الاوزان التي لم ترد عن العرب من الموشحات والزجل والدوبيت وبحر السلسلة وغيرها وبيان اوزانها
- (٧) رسالة في العلوم الموضوعة لمعرفة الغيب كعلم الرمل والاحكام والزابجة وغيرها وبيان عدم صحة دلالتها
- (٨) علوم العرب في الجاهلية - كتاب جامع لما كان عندهم من علم الاخبار وفن القصص - وعلم الريافة - وعلمى المروض والقافية - والشعر والخطب والوصايا - وعلم الانغاز - وعلم الفراسة وعلم فراسة اعضاء الانسان - وعلم الشامات - وعلم الاسارير - وعلم الاختلاج - وعلم قيافة البشر والاثر - وعلم نزول الغيث - وعلم تعبیر الرؤيا - وعلم ايجاد نسل قوى جميل في اخلاقه وتناسب اعضاءه - وعلم الكهانة - والطرق بالحصى - والعرافة - وعلم الرمل وعلم النجوم وعلم الطيرة والفأل - وعلم الطب والجراحة - وفن الولادة والتشريح - وعلم الالبيطرة - وعلم الرقى - وعلم السحر والطلاسم - وعلم الانواء - وعلم الفلك - وعلم الموسيقى - وعلم الحساب وعلم الانساب - وعلم تقويم البلدان - وعلم الاهتداء في البراري وعلم الميراث - وعلم ماوراء المادة وعلم ايام العرب - وعلم الرمي - وعلم الفلاحة وعلم الحيوان - وعلم الابل والخيول وهو نحو ثمانمائة صفحة